كتابي
١٠ قروش
حلمي مراد
غرام في ڤنيسيا
للرسام الانجليزى "هنرى وودز"

« ذكريات ! » لوحة رائعة للفنان « شارل شابلن »

الطفل والحمل .. (لوحة للرسام العالمى « موريللو » معروضة بمتحف « ناشيونال جاليرى » بلندن)

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار « كتابى »

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الحادى والخمسون (السنة الخامسة) : يونيه ١٩٥٦
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة: اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

الأمـير .. والعـانس !

عزيزى القـارئ ..

◆ جريا على مألوف عادتى فى التحدث اليك عن كل ما يتصل برسـالة « كتابى » و « مطبوعاته » ، احب ان ألفت نظـرك الى ثلاثة من شـوامخ الموضوعات يتضمنها هذا العدد :

اولها كتاب « مكيافيللى » الخالد : « الامير » .. الذى يغلب على ظنى انك طالما سمعت أو قرأت عنه اشارات عابرة ، فى معرض الكلام عن السياسـة « الماكيافيللية » ، التى تضرب بها الامثال منذ مئات السنين كلما أريد التحدث عن المكر والدهاء والاساليب الملتوية .. ومع ذلك لم يتح لك من قبل ان تقرأ خلاصة وافية مطولة لهذا الكتاب المشهور ، مثل الخلاصة التى اقدمهـا اليك اليوم بين دفتى هذا العدد ..

والكتاب الثانى الذى يسرنى ان اقدمه لك فى العدد الذى بين يديك ، هو كتاب « ستيفان زفايج » الممتـع عن السياسى الفرنسى الداهيـة « جوزيف فوشيه » ، الذى سـاهم فى الاطاحة برأس كل من « روبسبيير » ، ولويس السادس عشر ، ولعب أدوارا خطيرة فى السياسة الفرنسية فى عصر الثورة وعصر نابليون . وقد ابدع « زفايج » - كعـادته - فى ان يصـوغ لنا من سيرة هذا الرجل والادوار السياسية التى لعبها ، قصـة شائقة تجمع بين الفائدة والمتعة ..

اما الموضوع الثالث الذى ازكيه لك من محتويات هذا العدد ، فهو قصـة « موباسان » الرائعة : « العانس » ، التى سوف تلمس من قلبك وعواطفك ولا شك أوتارا لايستطيع غير « موباسان » ان يلعب عليها ، ويتلاعب بها !

قصة العواطف فى فنلندا !

◆ فاذا فرغت من حديثى اليك عن هذا العدد ، آن ان احدثك عن العـدد القادم من « مطبوعات كتابى » . وقد اعددت لك فيه قصة طويلة ممتـازة ، للأديب الفنلندى المعـاصر « ميكا والتارى » ، الذى يتحف العـالم كل حين بقصة طويلة عميقة الفكرة موفورة الدراسة . وقـد كانت قصته « المصرى » - التى اقتبس منها فيلم سينمائى منذ عامين ، والتى تصـور أمجاد الفراعنـة كما لم يصورها مؤلف آخر - أول ما لفت أنظار العالم الى موهبة هذا الاديب والبحاثة الواسع الاطلاع

وهكذا تنقل اليك « مطبوعات كتابى » من كل حديقة ثمرة ، وتنتقل بك من أجواء الهند ، الى ايطاليا ، الى فنلندا .. ومن قبل ذلك نقلت اليك أجواء انجلترا ، وفرنسا ، واليونان .. الخ

وفى انتظار التقائنا على صفحات « الظما .. للحب » فى منتصـف هـذا الشهر باذن الله ، أهديك أطيب تحياتى ..

حلمى مراد

محتويات الكتــاب

الموضوع | الصفحة

رأيت وسمعت لك فى باريس : مشاهدات وتعليقات للمحرر ١١

ابن الزلة : قصة مصرية بقلم محمد بدر الدين خليل ٣٩

جوزيف فوشيه (ثعلب السياسة فى عهد الثورة الفرنسية ونابليون) : للكاتب النمسوى الأشهر « ستيفان زفايج » ٤٧

عذراء الغابة (تشيترا) : قصة تمثيلية لأديب الهند الاكبر رابندرانات تاغور ٧٧

خفايا العلوم الفرعونية (الكتاب الذى يكشف أسرار بناء الاهرام) : للأب والعالم الفلكى والاثرى « ت . مورو » ٩٣

العانس : قصة للروائى الفرنسى الكبير « جى دى موباسان » ١١١

الأمير (دستور السياسة منذ القرن ١٦) : لداهية السياسة « نيكولو مكيافيللى » ١٣٩

حب وجنس وخيانة : للعالم النفسى الامريكى الدكتور لويس بيش ١٦٩

مذكرات كازانوفا : الكتاب الكلاسيكى الخالد فى أدب العشق والمغامرة ١٨٥

تاريخ العالم : للمؤرخ الفرنسى رينيه سيديللو ... ١٩٣

كتابى

أعداد نفدت

الكتب السنة الأولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ، والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع «**صنم تحطم**» ، والعاشر «**حديقة الله**» ، والحادى عشر « **عندما تحقد المرأة** » والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **أيها الربيع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشيطان على الارض** » ، والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الارملة المرحة** » ، والثامن عشر « **حياة جورج صاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سارة برنار** » ، والعشرون « **رباعيات عمر الخيام** » ، والحادى والعشرون « **حياة بيتهوفن** » ، والثانى والعشرون « **حياة موسولينى** » ، والثالث والعشرون « **كوخ العم توم** » ، والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » ، والخامس والعشرون « **البوهيمية** » ، والسادس والعشرون « **فتاة لها ماض** » ، والسابع والعشرون «**ترويض النمرة**» ، والثامن والعشرون «**فن الحب**» ، والتاسع والعشرون «**الجريمة والعقاب**» ، والثلاثون « **المنافق** » ، (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **اميرة مصر** » ، والثانى والثلاثون « **الامطار** » ، والثالث والثلاثون « **افروديت** » ، والرابع والثلاثون « **اقنعة الحب السبعة** » ، والخامس والثلاثون « **سالومى** » ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ؛ ٤٩ ؛ ٥٠

◆ **وتطلب من ادارة «كتابى» : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة(عمارة الجندول) وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل) ماعدا العددين ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر ، والعدد العشرون ، وثمن كل منهما عشرون قرشا .. وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا**

مطبوعات « كتابى »

◆ **ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على احد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية او اذون البريد الخارجية . وتحرر الاذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا**

صدر منها :

قصة مدينتين ـ ذات الثوب الابيض ـ الخالدون ـ الخاطئة ـ حياة امرأة (جزءان) ـ الخطيئة الاولى وفتاة من الاقاليم ـ اوديب ـ مدام بوفارى (جزءان) ـ عاشقات فى الخريف ـ قلوب ضالة ـ ديكاميرون (الف ليلة وليلة الايطالية)

وثمن كل من الاول والرابع والسابع ، عشرون قرشا خالصا أجرة البريد المسجل (نظرا لوشك نفادها) ، والثانى والتاسع والعاشر والحادى عشر والثالث عشر ١٢ قرشا ، والثالث والخامس والسادس ١٠ قروش ، والثانى عشر ١٤ قرشا

« كتابى » يشترى الأعداد الستة الاولى من القراء

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعـــداد الستة الاولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الاعداد المذكورة ٠٠ فقد رأت ادارة « كتابى » أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الستة الاولى تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائهـــا بعد ذلك من الادارة ٠ فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشان ، عـــلى أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا او بالبريد المسجل ٠

الاشتراك فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل ٠ وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) ٠ ١٢٠ قرشـــا وعن نصف سنة (٦ أعداد) : ٦٥ قرشا ـ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن والحجاز الخ ٠٠) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية Money Order عن طريق مكاتب البريد وتحتسب القيمة بما يوازى ١٤٠ قرشا (عن سنة) و ٧٥ قرشا (عن نصف سنة) ٠ وفى الكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وامريكا وفرنســا وألمانيا واستراليا الخ ٠ قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) و٨٥ قرشا (عن نصف سنة) خالصة أجر البريد المسجل بخلاف أجر البريد الجوى

المطبعة العالمية

١٦ ، ١٧ شـــارع ضريح سعد بالقاهرة

تليفون ٢٩٣١٧

نافذة "كتابي" تطل على العالم :

رأيت وسمعت لك في أوربا

للمحرر

من « فرساى » و « فونتنبلو » ٠٠ الى « الريفييرا »

◆ حدثتك فى الفصل السابق عن معجزة باريس الهندسية الكبرى: المتروبوليتان : أو المترو الذى يسير تحت الارض ٠٠ ثم غادرنا العاصمة الفرنسية الى ضاحيتها التاريخية العريقة : (فرساى) ، فاستعدنا ونحن نجول فى قصورها الملكية طرفا من ماضيها المجيد الباذخ ٠٠

واليوم نواصل جولتنا فى فرساى ، ثم نغادرها الى شقيقتها الاخرى (فونتنبلو) ٠٠ وبذلك نكون قد فرغنا من زيارة اهم معالم باريس ، فنستقل القطار منهـا الى « الريفييرا » : الى (نيس) و (كان) و (مونت كارلو) ٠٠ الخ

الثوار يطردون الملك منه ٠٠ الى غير رجعه !

◆ على اثر وفاة العاهل الطاغيـة « لويس الرابع عشر » ، أدخلت على « قصور » فرساى فى عهد حفيده وخليفته لويس الخامس عشر ، تعديلات جمة ، وتغيير فى الرياش والاثاث ٠٠ فحل طراز « لويس الخامس عشر » ـ « لوى كانز » ـ الاقل فخامة ، والاكثر راحة ، مكان طراز سلفه الكبير ، فى كثير من الحجرات ٠٠ وشيدت فى القصر قاعة خاصة للاوبرا ، مبطنة من الداخل بالخشب المحفور أو المنقوش بالرسوم ٠٠

ولم تحدث فى القصر تعديلات تذكر فى عهد لويس السادس عشر ـ الذى كان بدوره « حفيد » سـلفه ـ **حتى اذا نشبت الثورة الفرنسية الكبرى ، وانقضى على نشوبها نحو أربعـة أشهر ، اضطر الثوار الملك الى مغادرة قصر (فرسـاى) ، فى ١٦ أكتوبر سنة ١٧٨٩ ، الى غير رجعة !٠٠ ونجا القصر ذاته من التدمير الكامل ، بمعجزة ـ وان نهب المتظاهرون الـكثير من رياشه !**

وعندما توج نابليون امبراطورا ، رد قصر فرساى الى أملاك

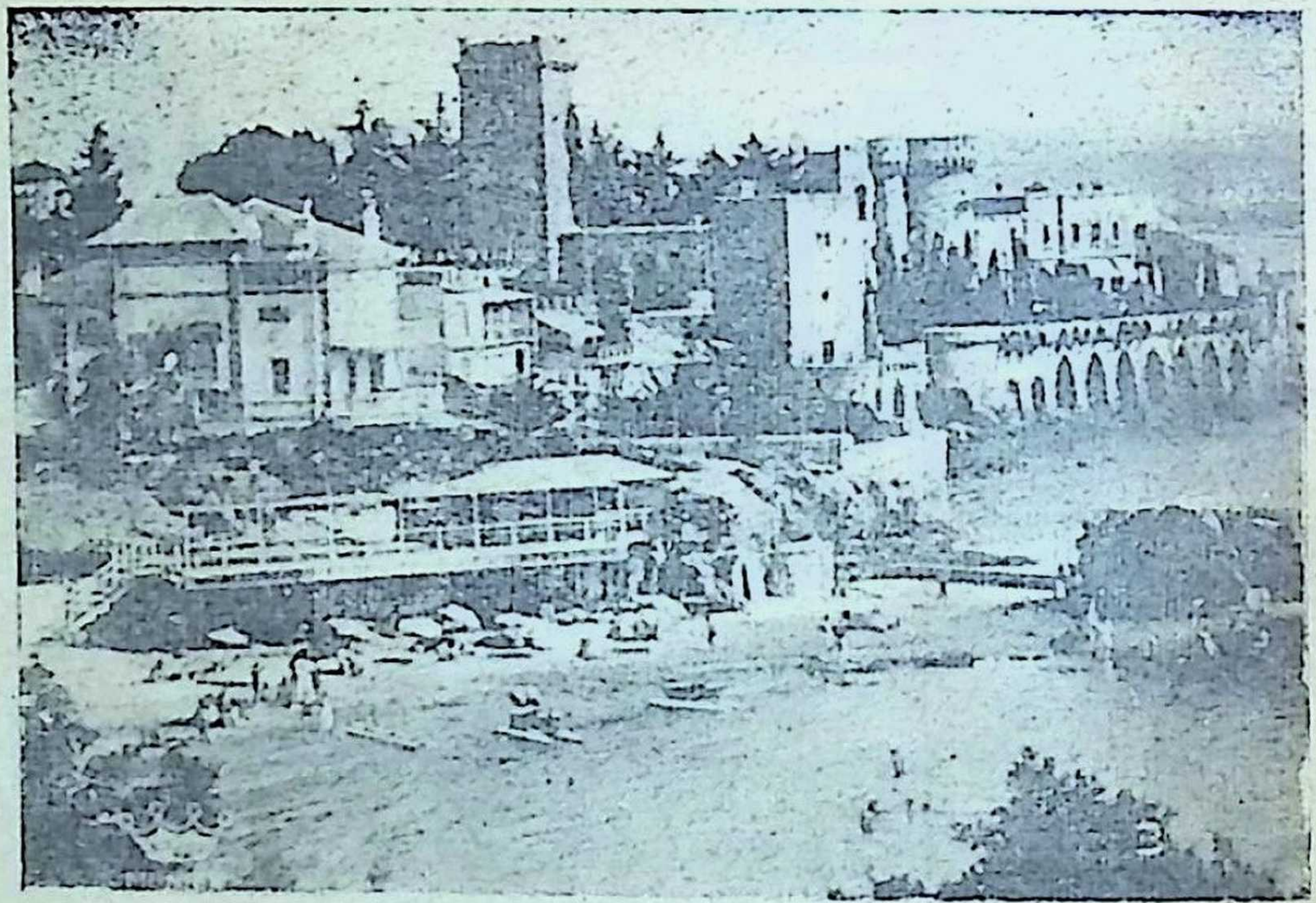

منظر تقليدى فى الريفييرا الفرنسية ، يجمع بين : قلاع القرون الوسطى ، والفيللا العصرية ، وكازينو الاستحمام المشيد على أحدث طراز !

التاج ، لكن طابع القرنين السابع عشر والثامن عشر لم يعجبه فيه ، فلم يقطن القصر ـ مؤثرا عليه قصر فونتنبلو ـ ثم جاء الملك لويس فيليب فأعاد تجديده ، وأعد بعض قاعاته لتكون متحفا « لامجاد فرنسا » ـ (ومن هذه القاعات : رواق المعارك ، بهو الحروب الصليبية ، بهو الجمهورية ، بهو الامبراطورية ، بهو افريقيا .. الخ ..) ثم أعقبه نابليون الثالث فأنشأ فيه ـ بالروح ذاتها ـ القاعات : الايطالية ، والمكسيكية ، وقاعة القرم (نسبة الى حرب القرم المعروفة) .. الخ

توج فيه غليوم .. وأبرمت معاهدة فرساى

• وكما شهد قصر فرساى أمجاد فرنسا ، شهد مذلتها

وعارها ٠٠ ففى ٨ يناير سنة ١٨٧١ ـ أثناء احتلال الالمان لها فى أعقاب انتصارهم فى الحرب السبعينية ـ تلقى « غليوم الاول » تاج ألمانيا الامبراطورية فى بهو المرايا بالقصر !

وخلال حكم الحكومة المؤقتة التى تألفت عقب هزيمة فرنسا فى تلك الحرب ، « أقامت » هيئة الحكومة والجمعية الوطنية فى قصر فرساى ٠٠ كما عقدت الاخيرة اجتماعاتها فى قاعة الاوبرا بالقصر !٠٠ **وفى ٢٥ فبراير سنة ١٨٧٥ أعلنت الجمهورية فى فرنسا مرة أخرى من أروقة قصر فرساى ، واستمرت اقامة الحكومة والبرلمان فى القصر ٠ بل ما يزال مجلسا البرلمان يجتمعان هناك الى اليوم عند انتخاب رئيس الجمهورية كل بضع سنوات** ٠ وحين وضعت الحرب العالمية

شاطىء (سانت رافاييل) بالريفيرا الفرنسية ، وقد أطلت على البحر مجموعة من الفنادق وكازينوهات الاستحمام الحديثة

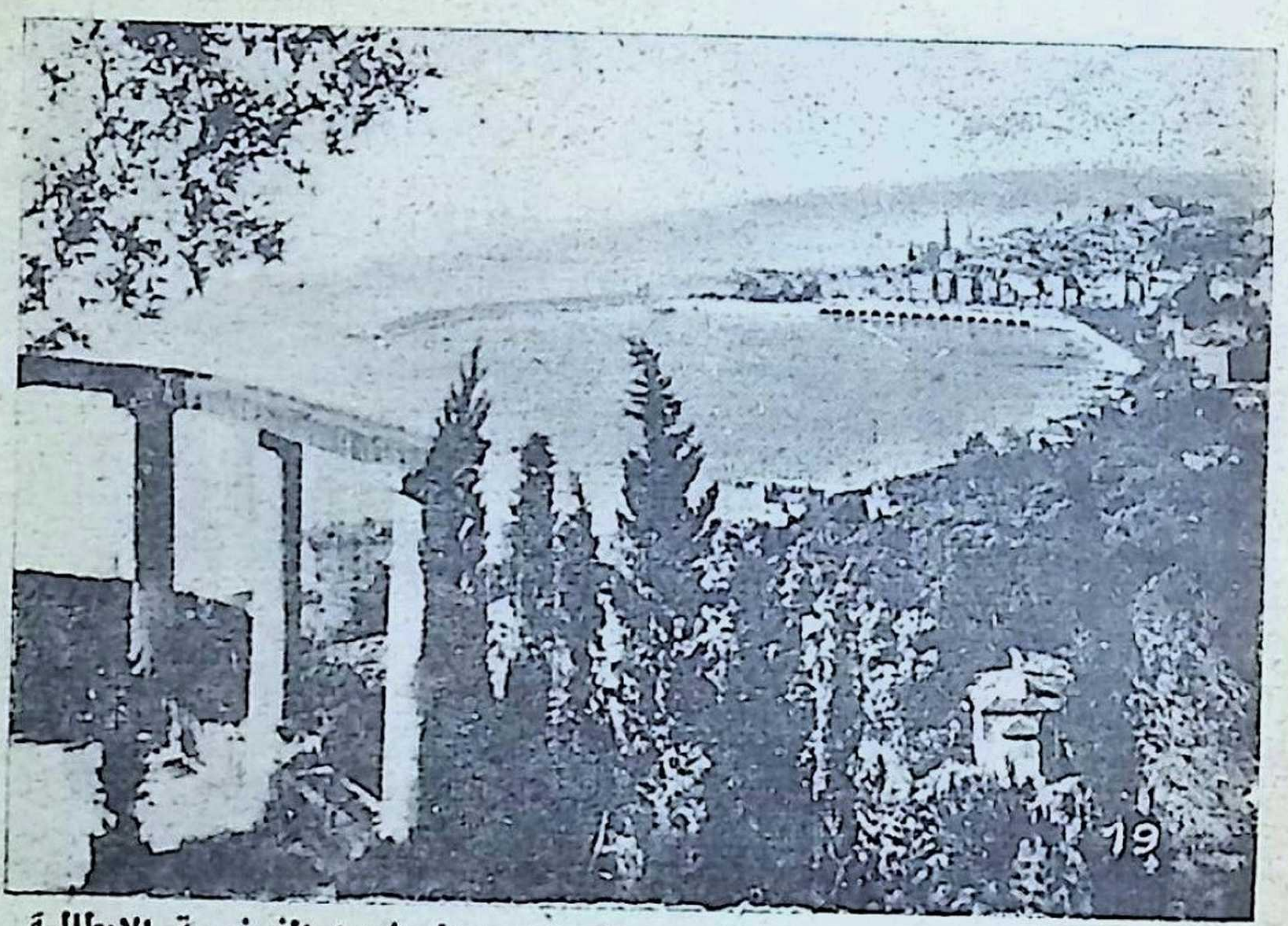

منظر عام لشاطىء بلدة (منتون) ، على حدود الريفييرا الفرنسية الايطالية

أوزارها ، أبرمت معاهدة الصلح ـ المشهورة باسم معاهدة فرساى ـ فى بهو المرايا بالقصر ، يوم ٢٨ يونية عام ١٩١٩

قصرا « التريانون » : الكبير والصغير

◆ وفى بقعة مكشوفة من حدائق فرساى ، عند الطرف الشمالى لفرع من القناة الكبيرة التى تخترقها ، يقوم قصر « الجران تريانون » .. ولهذا القصر تاريخ طريف : ففى عام ١٦٦٨ شيد لويس الرابع عشر فى تلك البقعة جناحا فاخرا خصصه لمآدب العشاء وحفلات الموسيقى ، وقد زين الجناح من الخارج بالخزف الملون ، ومن ثم أطلق عليه اسم « تريانون الخزف » . لكن الجناح المذكور ـ رغم فخامته ـ لم يلبث ان هدم بعد عشر سنوات ، ليشيد مكانه قصر « التريانون » الحالى .. الذى لم يكد يراه ملك بروسيا « فردريك الثانى » حتى

أمر بأن يشيد له قصر على طرازه فى (بوتسدام) ، أطلق عليه « بلا هموم » !.. لكن هذا الاخير لم يبلغ مبلغ القصر الاصيل فى جلاله وأبهته

وقد أقام نابليون فى « الجران تريانون » من سنة ١٨٠٩ الى سنة ١٨١٣ .. كما قضى فيه كل من شارل العاشر ولويس فيليب ليلته الاخيرة ، فى طريقه الى منفاه !

وبالقرب من هذا القصر يقع سميه الصغير : « البتى تريانون » الذى شيد عام ١٧٦٢ بناء على طلب المركيزة دى بومبادور ، خليلة لويس الخامس عشر .. لكنها لم تعش لتحضر افتتاحه ، الذى احتفل به لويس مع عشيقته التالية « مدام دى باري » !

وفى عهد لويس السادس عشر اتخذت « مارى انطوانيت »

« خليج جوان » .. بقعة ساحرة على شاطىء الريفيرا الفرنسية

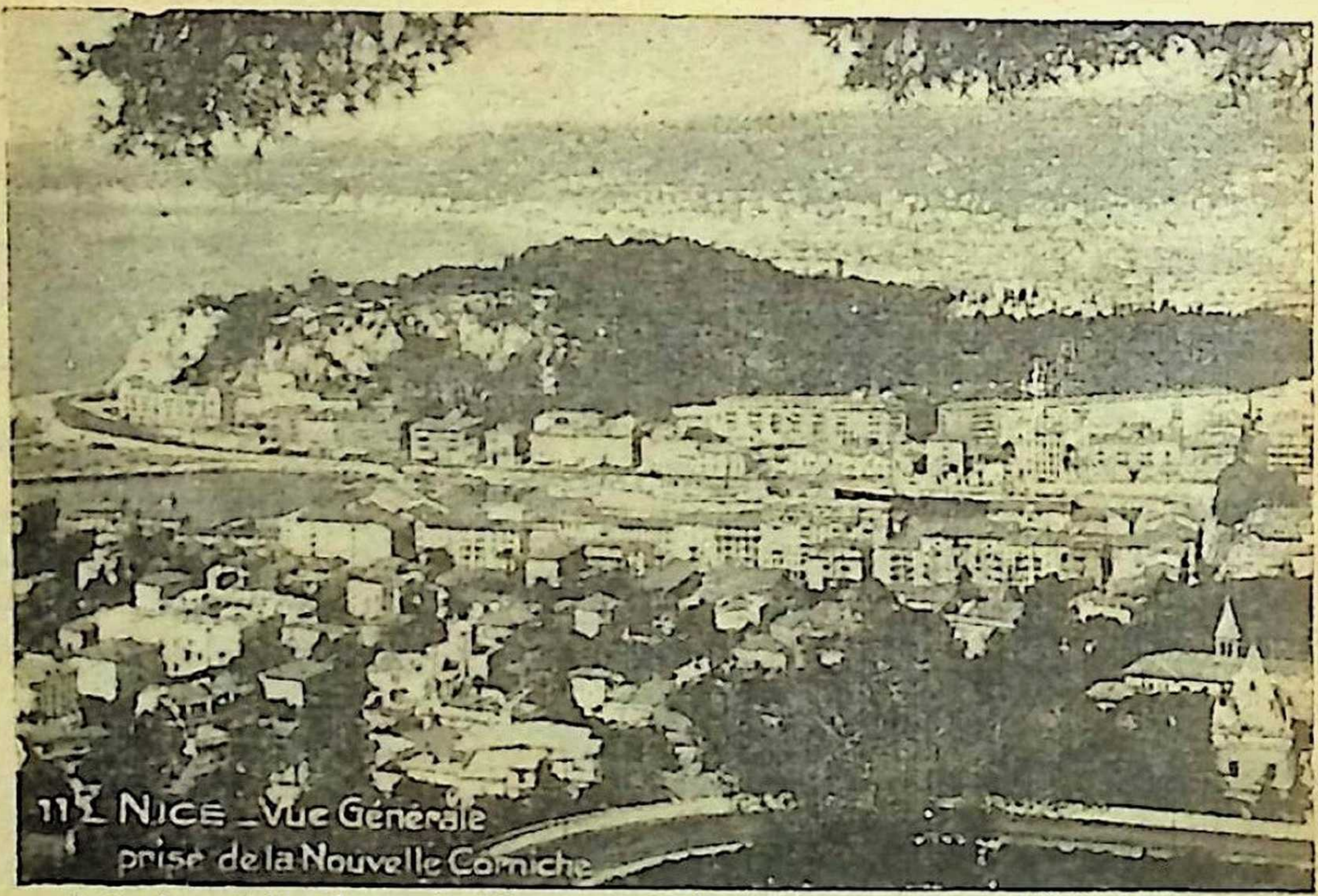

منظر عام لمدينة نيس « عروس الريفيرا » ، ماخوذ من كورنيش المدينة المحاذى لشاطىء البحر الابيض

من هذا القصر مثوى خاصا لها ، وأنشأت فى حديقته « معبد الحب » ، وهو هيكل مستدير ذو أعمدة على الطراز الرومانى .. كما أنشأت الملكة بالقرب منه مبنى على طراز الاكواخ الخشبية أطلقت عليه « الهامو » ـ أى القرية ـ وهو يحتوى على نموذج لمزرعة ، وطاحونة ، ومعمل ألبان !.. وفى هذا الكوخ الملكى الجميل كانت مارى أنطوانيت ترتدى وشباب البلاط ثيابا قروية ويقضون سهراتهم فيه بغير كلفة .. على الطريقة الملكية !

قصر « فونتنبلو »

◆ **والآن** تعال نغادر فرساى الى ضاحية أخرى لاتقل عنها شهرة ، وان فاقتها بعدا عن باريس ، وهى ضاحية (فونتنبلو)

٠٠ التى تستمد اسمها من القصر الهائل الذى يقوم فيهـــا ، والذى شهد الكثير من أمجاد نابليون ، اذ أقام فيه الامبراطور ردحا طويلا من الزمن ، مؤثرا اياه على قصر فرساى

ويرجع تاريخ قصر « فونتنبلو » الى بدايه القرن الثـــانى عشر ، الى عهد الملك « لويس الشاب » ، الذى عاش مع بلاطه فى هذه القلعة الاقطاعية ذات القباب والابراج ٠٠ ثم خلفـــه « فيليب اغسطس » ، الذى لم يقطن القصر ، وانمـــا اكتفى بالتردد عليه كلمـــا أراد الصـــيد فى غاباته ٠ **وحـين عاد من الحروب الصليبية فى عام ١١٩١ أقام فيه وليمة عيد الميلاد**

وفى عهد شارل العاشر ، أسست فى القصر مكتبة كبرى ، عام ١٣٥٠ ، لكن القصر هجر مرة أخرى فى عهـــود كل من

منظر ساحر لبقعة « كاب فيرا » بالريفيرا الفرنسية ، ويقيم فيها الروائى الانجليزى « سومرست موم » فى فيللا انيقة شيدها لنفسه هناك

حسناء تستمتع بحمام شمس ، فى بقعة من شاطىء الريفييرا المجاور لنيس

لويس الحادى عشر ولويس الثانى عشر ، كما هجر من قبل فى عهد شارل الثامن ٠٠ لكنه عاد فاسترد بهاءه فى عهد فرانسيس الاول ، الذى هدم أكثره وأقام مكان القلعة الافطاعية قصرا فاخرا ، وزين حديقته بالكثير من التماثيل الايطاليه ٠٠ ثم استدعى الفنان الفلورنسى المشهور « تشيلليني » للاشراف على تزيين القصر ، لكن ذوقه لم يعجب محظية الملك ـ « دوقة ايتامب » ـ فلم يلبث أن عاد من حيث أتى !

وفى عام ١٥٣٦ زار « جيمس الخامس » ملك اسكتلندا قصر « فونتنبلو » ، حيث نزل ضيفا على ابنة الملك فرانسس الاول ٠ وفى العام التالى تزوج منها ، لكنها ماتت بعد ستة أشهر من الزواج ، فى اسكتلندا

وشغف « هنرى الرابع » بقصر فونتنبلو ، فأنفق على تزيينه مليونين ونصف مليون من الفرنكات ، وقضى فيه فترات طويلة من حياته ٠٠ **وفيه كان يستقبل عشيقته الحسناء « جابرييل ديستريه » ٠٠ وفيه رزق بابنه الذى صار فيما بعد « الملك لويس الثالث عشر » ٠٠ الخ**

واستأنف الابن هواية تزيين القصر ، وتجديده واصلاحه ، وصار يستقبل فيه مستشاره الداهية « ريشليو » ، بالكثير من مظاهر الحفاوة والترحيب ٠ وكانت زيارته الاخيرة فى عام ١٦٤٢ ، على أثر مذبحة ٥ مارس التى تخلص فيها من أعدائه السياسيين

أما لويس الرابع عشر فقد شغلته مهام الدولة عن هواية

كورنيش البحر على شاطىء (نيس) ، وقد ازدحم بأشجار النخيل السامقة التى تضفى عليه جوا شرقيا ٠ والى جوار الرصيف الاوسط عربة (حنطور) !

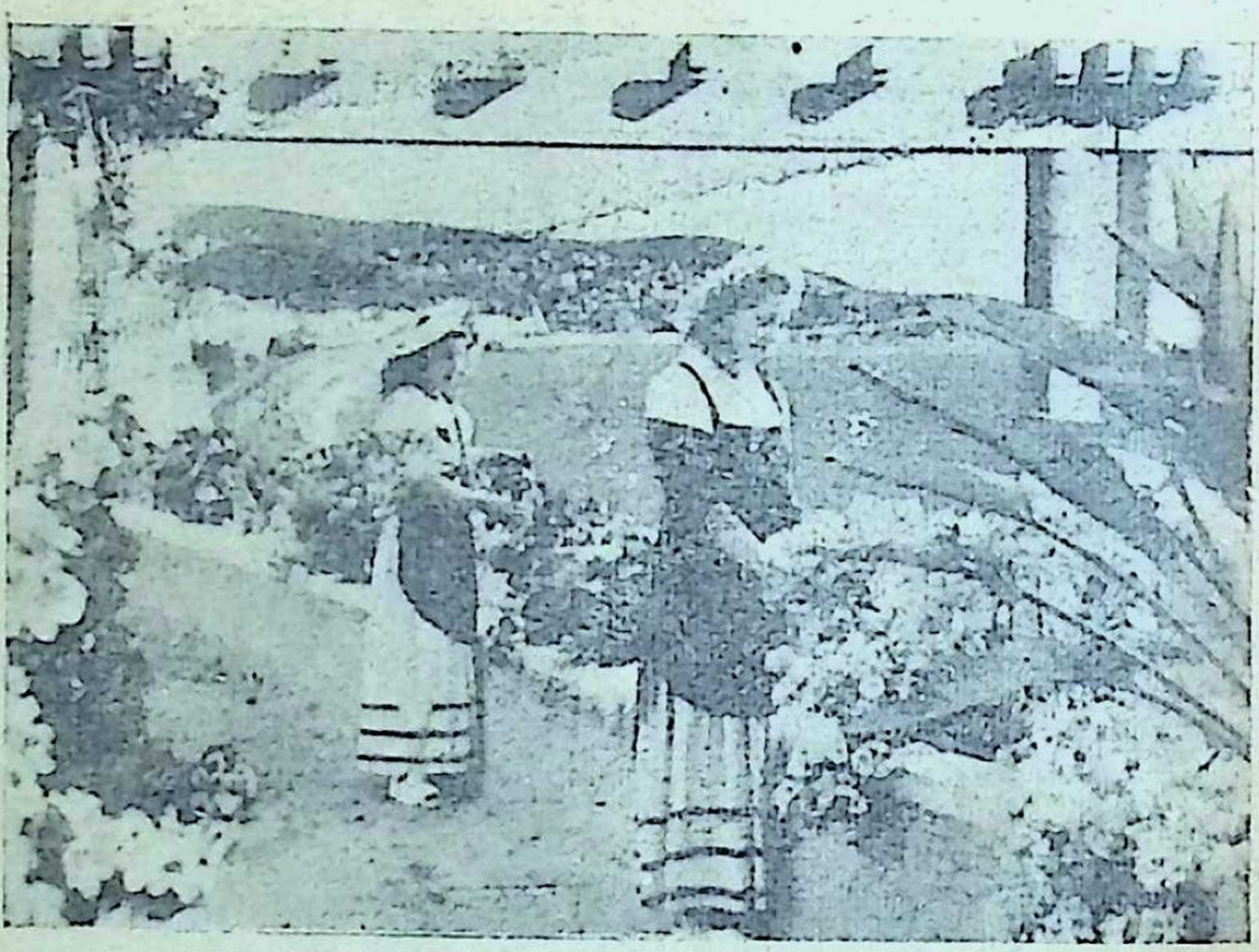

حسناوان من فتيات (نيس) تقطفان ازهار حديقتهما الخاصة المطلة على البحر

سلفه . وفى عهده شهد القصر جريمة اغتيال « مونالديتشى » ، عشيق الملكة « كريستين » السويدية !.. وفى ٩ نوفمبر سنة ١٧٠٠ استقبل القصر رسولا من أسبانيا ينبىء بأن ملكها قد مات ، تاركا عرشه لحفيد لويس الرابع عشر . وفى عام ١٧١٧ زار (فونتنبلو) القيصر بطرس الاول عاهل الروس . وفى عهد لويس الخامس عشر زاره ملك الدنمرك ، كما أقامت فيه مدام دى بومبادور أثناء الاستعداد لتمثيل رواية « عراف القرية » التى أشرفت عشيقة الملك على اخراجها ؟

نابليون يعيد الى القصر أمجاده

● وجاءت الثورة الفرنسية فأتلفت بعض أجزاء القصر ، فلما اختار نابليون القصر مقرا لاقامته ، أنفق على اصلاح التلف ١٢ مليون فرنك . وفى سنة ١٨٠٤ استقبل القصر

البابا « بيوس السابع » حين جاء ليتوج الامبراطور . وبعد ثمانى سنوات اعتقل البابا المذكور فى القصر نفسه حتى وافق على التنازل عن سلطته الدنيوية (عام ١٨١٣) !

وفى ٣٠ مارس سنة ١٨١٤ وجه نابليون من فونتنبلو رسالته المشهورة الى قواد جيوش الاعداء ، معلنا فيها اختيار ابنه وصيا على العرش ، وتنازله هو عن جميع سلطاته الشخصية . **وفى يوم ٢٠ ابريل ، قرب الظهر ، ترك نابليون جناحه وهبط الى فناء « الحصان الابيض » ، يتبعه القائدان « دروو » و « برتران » ، وهناك ألقى خطاب الوداع التاريخى فى جنود حرسه القديم . وبعد عام ، فى ٢٠ مارس سنة ١٨١٥ ، وقف نابليون فى الفناء ذاته ، يستعرض جنوده**

منظر جميل لكورنيش نيس ، تتوسطه جزر زرعت فيها أشجار النخيل ، والى اليسار شماسى المستحمين . وترى سفينة صغيرة ترسو على الشاطىء

صورة « ناطقة » تعطيك فكرة عن ضيق « بلاج » نيس الذى لا يزيد عرضه على عشرة امتار .. كما ترى فيها ارض الشاطىء وقد اكتست بالزلط من الوزن الثقيل !

الذين رافقوه فى عودته من (البا) ، والذين تبعوه بعد ذلك الى (التويلليرى) ، فى مداعبته الاخيرة للمجد الذى فقده !

وبعد سقوط بونابرت ، ساهم فى تجديد قصر فونتنبلو كل من الملك « لويس فيليب » و الامبراطور « نابليون الثالث » . وفى عام ١٨٦٧ نزل ضيفا بالقصر ، القيصر الكسندر ملك بروسيا ، ثم ملك بلجيكا ، وغيرهما من الملوك الذين زاروا باريس لمناسبه معرضها الدولى

وبعد هذه المقدمة التاريخية ، تعال الآن ندخل القصر ... انه يتألف من مساحة شاسعه من المبانى ، ذات الهندسة والطرز المتباينة ، تشغل نحو ٨٠ ألف متر مربع ، وبه خمسة

أفنيه ، أشهرها « فناء الحصان الابيض » أو فناء الوداع ـ اشارة الى وداع نابليون لجنوده ، السالف ذكره ـ وتبلغ مساحته الهائلة ١٦٠ × ١٢٠ مترا ، وتحيط به ابنية القصر من ثلاث جهات ٠٠ فاذا دخلنا القصر من « السلاملك » الهائل العريض ، ألفينا به من القاعات التى تشبع هواية عشاق الفن ما لا سبيل الى وصفه أو تعداده ٠٠ وحسبنا منها مجرد الاشارة : فهذا جناح « الملكة الوالدة » ٠٠ وذاك جناح البابا « بيوس السابع » ٠٠ وجناح نابليون ، بأثاثه الفاخر من طراز الامبراطورية ـ « أمبير » ـ وهذه غرفة مكتب الامبراطور ، ومخدعه ، وقاعة مجلس الوزراء ، وقاعة العرش ـ بسقفها الرائع ـ وقاعة التنازل عن العرش ٠٠ الخ

صورة أخرى لكورنيش (نيس) ، والى اليمين فندق من الفنادق العديدة الفاخرة التى يزخر بها الشارع

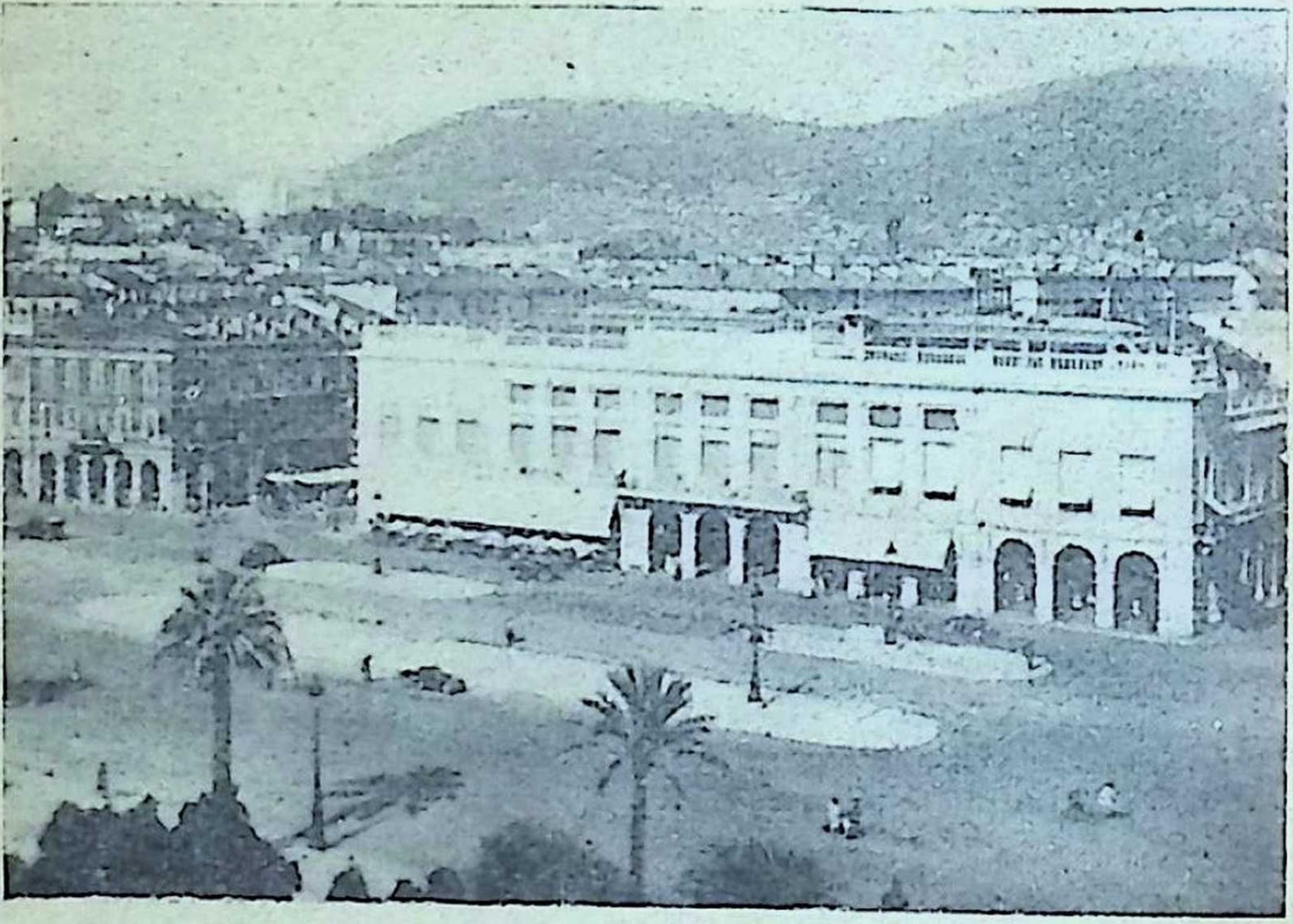

ميدان « ماسينا » ، أحد ميادين (نيس) الفسيحة

وهذه لوحة كبرى تمثل لويس الثالث عشر .. وهذا « شمعدان » من الكريستال يقال ان نفقاته بلغت خمسين ألف فرنك .. وهذا مخدع « مارى انطوانيت » ، وجناح الصيد ، ورواق الهته « ديانا » ، وبهو سجاد الحائط ، وصالون فرانسوا الاول ، وصالون لويس الثالث عشر ، وصالة الحرس ، بأرضها المصنوعة من الخشب المشغول .. وصالون لويس الرابع عشر ، وسلاملك الملك ، وجناح مدام دى مانتون، ورواق هنرى الثانى ، والمكتبة التى أنشأها نابليون .. الخ

ثم تعال نخرج الى الحدائق الجميلة المحيطة بالقصر ، والبحيرة التى تسبح فيها الاسماك ، والغابة الساحرة التى تمتد مسافة ٨٠ كيلو مترا ، والتى أغرى جمالها كلا من الرسامين « كورو » و « ميلبيه » و « ترويون » و « دوبريه »

كورنيش (نيس) كما يبدو فى حلته الساحرة ليلا ، وقد توهجت فيه أشجار النخيل بالثريات ، ومدت عقودها على طول الطريق من الجانبين على نسق رائع

وغيرهم بارتيادها لرسم مشاهد منها فى لوحاتهم الخالدة

وأخيرا ، بفراغنا من هذه الجولة فى (فونتنبلو) ، نكون قد ذرعنا أهم معالم باريس ٠٠ واذن فلنحزم أمتعتنا ولنستقل قطار المساء الراحل الى ٠٠ (نيس) ، والريفييرا ، أو الشاطىء اللازوردى (الكوت دازور)

عروس « الريفييرا » !

◆ **وبعد** نحو ١٢ ساعة ، يخترق خلالها القطار ثلاثة أرباع أرض فرنسا ، مارا بمدينة (ليون) ، نصل فى نحو الساعة الثامنة صباحا الى (نيس) فيطالعنا بمجرد خروجنا من المحطة منظر حبيب الى نفوسنا : منظر العربة « الحنطور » ذات الجواد ٠٠ ولكن ، مع الفارق ٠ فعربتهم نظيفة أنيقة ، ترتفع

فيها فوق رؤوس الركاب مظلة كبيرة ملونة كمظلات الشاطىء ٠٠ وصدقنى اننا فى حاجة اليها ، فرغم اننا كنا فى أوائل سبتمبر ، فان الشمس فى (نيس) كانت حامية ، والهواء ساكنا ، مثل طقس القاهرة فى الشهر نفسه !٠٠ حتى على كورنيش الشاطىء ـ الذى يطلقون عليه « نزهة الانجليز » ـ لم نحتمل السير فى الشمس بسترة صيفية بيضاء ، فخلعناها وسرنا بالقميص !

ورغم انهم يطلقون على نيس « عروس الريفييرا » و «عاصمة الكوت دازور » ، فانك اذا زرتها فى الصيف ، ألفيتها جحيما بالقياس الى نعيم كورنيش الآسكندرية !٠٠ وتعليل ذلك بسيط للغاية : فشاطىء (نيس) يقع فى جنوب أوربا ، بينما

منظر عام لمونت كارلو عاصمة دولة موناكو الحرة ، التى تعيش من ايراد كازينو القمار !

الصواريخ الخلابة التى اشتهرت بها مونت كارلو ، تعلن افتتاح موسم الصيف فى النادى الرياضى بالمدينة

شاطىء الاسكندريه ـ وسواها من المصايف المصرية ـ يواجه الشمال ، ويقع في مهب رياح الشمال .. وشتان بين هواء الناحيــة البحريه و « جحيم » الناحيـة القبلية فى أشهر الصيف !

وثمة فارق آخر بين عروس الشاطىء الاوربى وعروس الشاطىء الافريقى : فأنت اذا هبطت من كورنيش نيس ـ أو طريق « نزهة الانجليز » ـ الى البلاج ، لتستحم ، صدمت وروعت .. فلن تجد أمامك سوى « شريط » من الارض ـ أى والله ، شريط لايزيد عرضه على العشرة أمتار ، مفروش كله بالزلط .. وأى زلط ؟.. انه زلط من الوزن الثقيل ،

لا تقل زنة الزلطة الواحدة منه عن الرطل ! - فهو « زلط » وليس « حصى » ! - واعجب معى بعد هذا من منظر حسان العالم وقد رقدت الواحدة منهن فوق هذا الفراش المروع ، تنعم بحمامها الشمسى وكأنها فى جنة عدن !٠٠ واهمس معى فى اذن مصلحة السياحة : يكفى لجلب ألوف السياح الى مصر - فى الصيف ! - ان تركزى دعايتك للمصايف المصرية فى نشر صور بارعة تظهر « نعومة » رمال شواطئنا ، ورحابتها الهائلة !٠٠ وأنا واثق أن صورة لبلاج بور سعيد الفسيح ، أو بلاج رأس البر ، مع صورة تعبر عن قوة الريح على كورنيش الاسكندرية ، كفيلتان باغراء الافواج تلو الافواج من السائحين

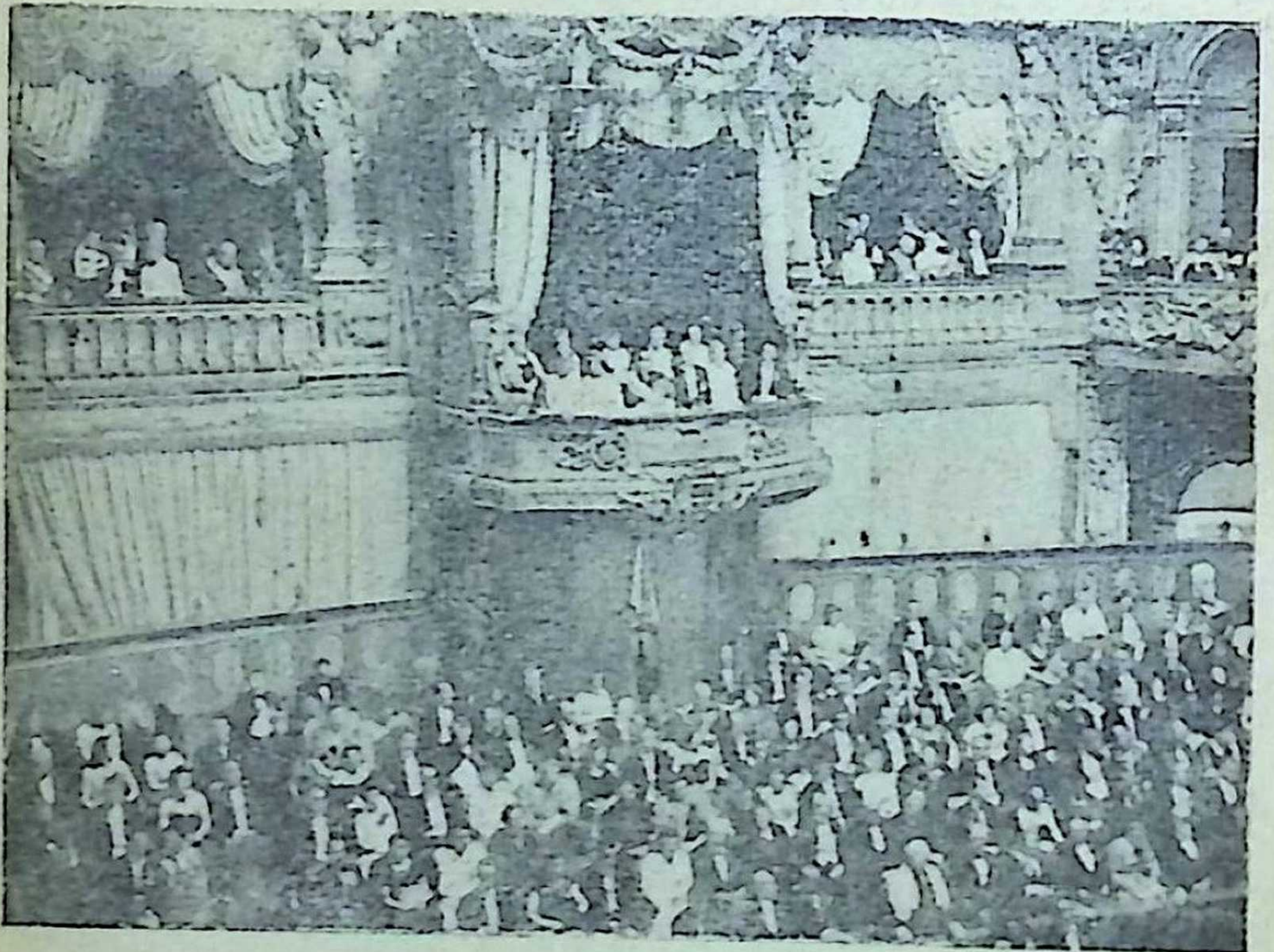

جزء من قاعة اوبرا مونت كارلو ، ويرى فى الشرفة الوسطى الامير رينييه الثالث وحاشيته

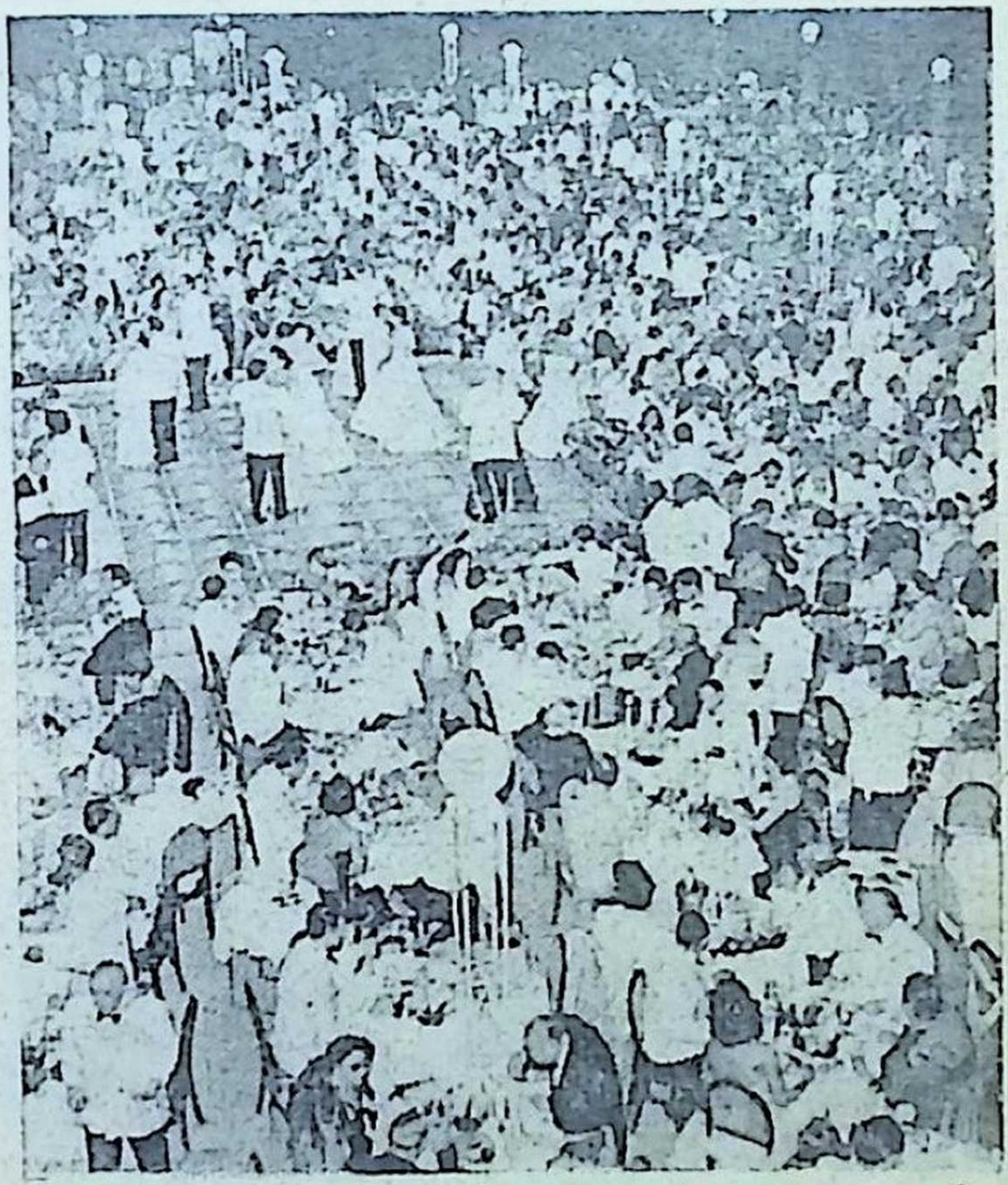

« ليالى الانس » على روف جاردن النادى الرياضى الصيفى ، وقد ازدحم المكان بالراقصين والطاعمين

على أن يهرعوا الى شواطئنا فى الصيف !

المدينة التى تتحول ليلا الى ٠٠ جنة !

◆ على ان لمدينة (نيس) اغراء آخر تتفوق به علينا ، فى الليل !٠٠ اذ لا يكاد يهبط الظلام حتى يسحرك منظر كورنيش المدينـــة ، ويسلبك لبك ، اذ يتحول فجأة الى شـعلات من الاضواء الباهرة لم أر لها مثيلا فى مكان آخر !٠٠ أضـــواء بيضاء قوية ناصعة من مصـــابيح الشارع الانيقة ـ الى حـد الخلاعة ! ـ وأضواء ملونة تنبعث من وسط أشجار النخيـل الظليلة التى تمتد صفوفها فى وسط الكورنيش العريض ـ حتى ليبلـــغ عرضـــه أكثر من ثلاثة أضـــعاف كورنيش الاسكندرية !

والى جانب هذه الأضواء ، وتلك ، تمتد عقود من الثريات فتصل بين مصابيح كل جانب من الطريق وبعضها البعض ، وبين هذه وأشجار النخيل فى الوسط .. الخ .. فاذا أنت فى شبه مهرجان ساطع من الزينات ، وكأنك فى وضح النهار ! .. ولا عجب بعد ذلك فى ان يخرج أهل المدينة وزائروها زرافات ووحدانا ، يملأون الطريق الساحر ، ويتسكعون أمام المقاهى و « الكازينوهات » العديدة المتراصة على جانبيه ، فتقف أفواجهم أمام كل مقهى منها فترة من الوقت ، لتشنف الآذان بما يعزف فيه من موسيقى سماوية ،

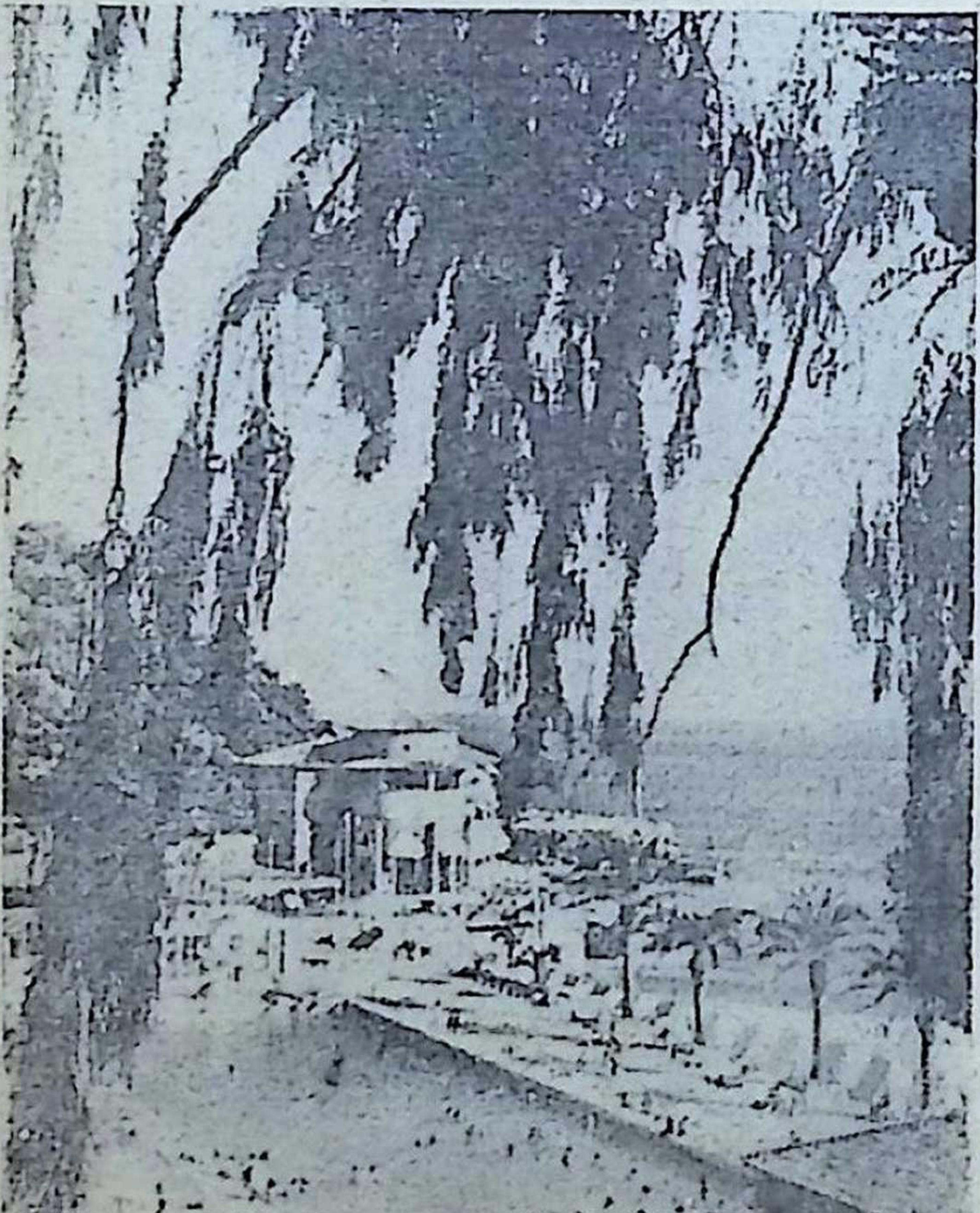

حوض السباحة الاوليمبى على «بلاج» مونت كارلو ، وخلفه فندق الشاطىء ذو الطابع الجميل

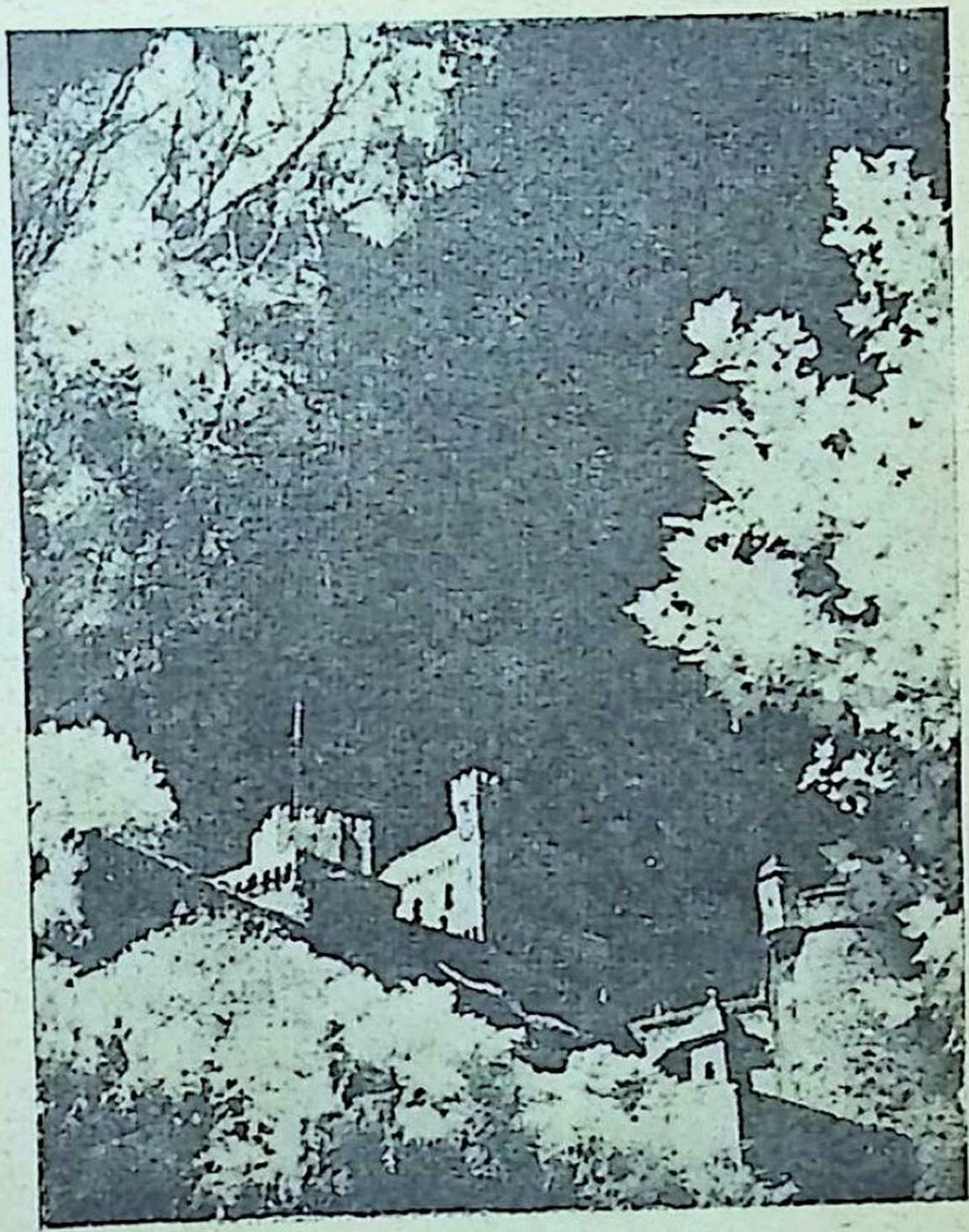

قصر امير موناكو حيث يقيم الامير رينييه الثالث وعروسه النجمة السينمائية جريس كيلى

سيمفونية أو غنائية ـ تعزفها أحيانا جوقة من النساء ! ـ أو نشاهد مايقدم فيه من رقصات واستعراضات .. الخ

ولو حدث هذا التسكع والوقوف أمام المقاهى والملاهى فترات ـ تبلغ النصف ساعة أو الساعة أحيانا ! ـ لو حدث شىء من ذلك فى الاسكندرية مثلا ، لخرج زبانية الملهى ـ بل ورواده ! ـ « ينشون » ذلك الذباب الآدمى فى غلظة وقحة .. لكنك تعجب اذ ترى هذا المنظر يتكرر كل لحظة أمام مقاهى (نيس) ـ ومقاهى ميدان سان مارك ، بفينيسيا ـ دون ان يبدو من أصحاب الملهى أو الجالسين فيه أدنى ضيق بمن يشاركونهم الاستمتاع بالموسيقى ، بالمجان .. بل انك ترى

بين مئات الوجوه المتراصة أمام الملهى ، وجوها تستطيع ان تجزم من منظر أصحابها ، وثيابهم ، وحركاتهم ، انهم من « أثرياء » أهل المدينة أو زائريها !

متى نرى فى مجتمع بلادنا هذه الديمقراطيه الحقة .. هذه « الاشتراكية » فى تذوق الفنون ؟

و (نيس) ، فيما عدا هذا الكورنيش العالمى ، مدينة صغيرة ، لا يزيد تعداد سكانها على ١٨٢ ألف نسمة .. على انها استطاعت مع ذلك ان تصبح قبلة السائحين من كافة أقطار العالم ، بفضل طقسها الدافىء فى الشتاء - بالنسبة الى صقيع أوربا الشمالية - وشاطئها الذى يحقق للمحرومين من الشواطىء حلمهم بحمامات البحر !.. وموسم المدينة الرئيسى يبدأ من شهر يناير ويمتد الى نهاية ابريل . وطوال هذه المدة

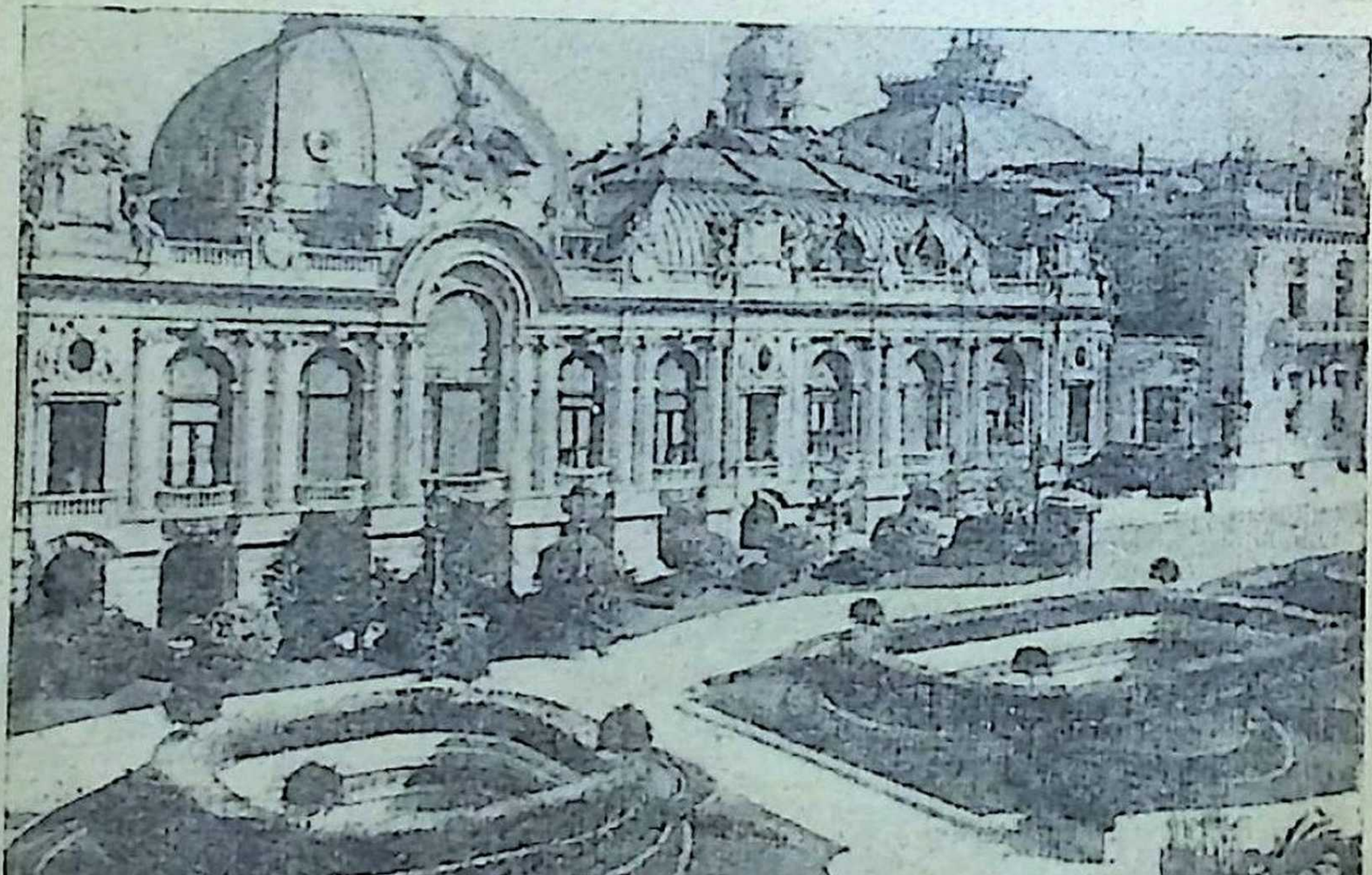

منظر خارجي لواجهة كازينو مونت كارلو ، اشهر أندية القمار في العالم !

تتتابع فى (نيس) الحفلات والاعياد : فمن سباق للسيارات ، الى مهرجانات لعربات الزهـور ، الى مواكب تنكرية ، إلى مسابقات دولية مختلفة ٠٠ وأجمل هـذه المناسبات قاطبة ، « كرنفال » نيس ذو الشهرة العالمية

ولا تكتفى بلدية نيس بهذه المهرجانات التى تكفل لزائريها اقامه ممتعة ، بل تنظم لهم رحلات يومية بسيارات الاوتوكار الفاخرة الى جميـع بلدان الشاطئ والجبال المجـاورة : الى (كان) ، و (جراس) ، و (منتون) ــ قرب الحدود الايطالية ــ ومونت كارلو ٠٠ الخ

فتعال نبدأ اولى هذه الرحلات الممتعة ٠٠ الى مونت كارلو !

دولة القمار ٠٠ والاحلام !

◆ **ومونت كارلو** هى عاصمة (موناكو) ، الدوله المستقلة التى قفز اسمها الى الصفحات الاولى من صحف العـالم فى الشهر الماضى ، حين تزوج أميرها « رينييه » من نجمة السينما الامريكية الحسناء « جريس كيلى » ٠ وقد تعجب اذا علمت ان عدد سكان الدولة المذكورة جميعا لايزيد على ٢٠ ألف نسمة ــ (أى أقل من عشر سـكان حى (شبرا) وحده بالقاهرة مثلا !) ٠٠ وان مسـاحة الدولة بأسرها ــ بمـا فى ذلك عاصمتها ــ يبلغ جزءا من سبعين من مساحة باريس !

بل يدهشك أكثر من ذلك ان (موناكو) هى الدولة الوحيدة فى العالم المتمدين ــ فيما أعلم ــ التى تعفى أهلهـا من دفع الضرائب ، ومن الخدمة العسكرية !٠٠ وهـذا يستتبع ان ليس للدولة جيش (ليس لها سوى الحرس التقليدى للامير) ــ وبالتالى انها الدولة السعيدة التى تعيش فى سـلام دائم ، لا تعكره حروب !

على ان الادعى للعجب ، ان هذه الدولة المسالمة ذاتها ــ جنة الاحـلام العصرية ــ قاست وخاضت فى تاريخهـا الطـويل سلسلة من الحـروب ، والمؤامرات ، والمذابح !٠٠ وانهـا

تعرضت ـ قبل أن تحصل على استقلالها ـ لكثير من الغزاة : فغزاها الفينيقيون ، والرومان ، واللومبارد ، وأهل جمهورية (جنوا) القديمة .. الخ • وخلال حكم شارل الخامس عانت من الاضطهاد الاسبانى ، ثم تحملت فيما بعد وطأة نير الاستعمار السردينى • وحين نشبت الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩ كاد الفرنسيون يجتاحون (موناكو) ، لكنها صمدت للتجربة وخرجت منها مبقية على استقلالها • وهى الآن تعيش مستمتعة باستقلالها التام ، وان ظللتها شبه حماية ودية عطوف من فرنسا •

الاسرة التى تدين لها موناكو بحاضرها السعيد

◆ **وتدين** موناكو بوحدتها وبالمحافظة على استقلالها لجهود أسرة عريقة من أهل جنوا ، تدعى أسرة « جريمالدى » .. ففى القرن العاشر ، استقرت هذه الاسرة فى موناكو ، وبدأت تشن حربا لا هوادة فيها ضد أعداء البلد من ساسة جنوا • **ومنذ ذلك التاريخ ارتبط مصير موناكو بتلك الاسرة الباسلة التى أنجبت على مر القرون عددا من أشجع المحاربين ، وأبرع الدبلوماسيين ، وأنبغ العلماء** : فكان الامير « رينييه الاول » أميرالا فى الاسطول الفرنسى .. وعلا صيت « شارل الاول » على اثر حسن بلائه فى معركة « كريسى » .. وكان « أونوريه الثانى » دبلوماسيا من الطراز الاول • فبغير أية معونة خارجية حرر موناكو من السيطرة الاسبانية ، وألجأ الحامية الاسبانية الكبيرة الى الفرار من القلعة التى كانت تتحصن فيها ، ثم عقد معاهدة مع فرنسا فى مدينة (بيرون) ـ عام ١٦٤١ ـ توطد بها استقلال امارة موناكو نهائيا ، وظفرت بمقتضاها الامارة بحماية ومعونة ودية ـ بلا مقابل ! ـ من جانب فرنسا

ومن أمراء أسرة « جريمالدى » الذين أسدوا لموناكو خدمات جليلة ، الامير « شارل الثالث » والامير « البرت الاول » ـ الذى

اشتهر فى العالم بلقب « الامير العالم » ـ وقد ساهم كلاهما فى تقدم الدولة الاقتصادى ، وأعانها على ان تبلغ مكانه عالمية لم تكن لها من قبل . وجاء الامير « لويس الثانى » فواصل التزام تقاليد أجداده حتى ظفر برتبه « جنرال » فى الجيش الفرنسى . وفى مايو سنة ١٩٤٩ خلفه حفيده الامير الحالى « رينييه الثالث » ، الذى لا يجاوز الآن الثالثة والثلاثين من عمره ، والذى اشترك فى الحرب الاخيرة فى صفوف الجيش الفرنسى ، ويحتفظ منه برتبة عسكرية . وهو شاب رياضى من الطراز الاول ، ومثقف وواسع الاطلاع .. حتى لقد قوبل اعتلاؤه العرش بموجة فرح فى داخل البلاد ، وترحيب من العالم أجمع ، من فرط مايستمتع به من تقدير جميع عارفيه.. وقد تكررت موجة الفرح والترحيب لمناسبة زواجه الاخير ، بعد ان طال قلق شعب موناكو على مصير عرشه ، أيام عزوبة الامير !

وهكذا ، بعد ان كانت موناكو فى الماضى البعيد قوة بحرية وحربية ملحوظة ، غدت اليوم مرفأ بديعا للسلام والسعادة ، اجتمعت له شتى المتع الدنيوية !

(وفى العدد القادم أحدثك عن كازينو مونت كارلو الشهير ، ثم نتم معا جولتنا فى « الريفيرا » و « الكوت دازور »)

الربيع .. لوحة رائعة للرسام « كورو » ، تمثل امرأة تجمع زهورا من الغابة ، فى جو حالم !

« صورة مسز همرسلى » نمـوذج من الجمـال الانجليزى النـادر ، للفنـان « واسون ستير »

إبن الزوجة!

قصة مصرية بقلم : محمد بدر الدين خليل

صديقى ٠٠

عندما بلغنى أن « فتحى » رزق ابنا فى الربيع قبل الماضى ، أحسست بالارض تميد بى ، وعصفت بى مشاعر شتى ، أسلمتنى الى ذهول وحيرة لا قبل لى بهما ٠٠ كان فتحى ابن عمى الاوحد ، كما كنت له ابن العم الاوحد ٠٠ وكان فى الوقت نفسه أعز صديق لى ، ولا سيما أننا غدونا بعد موت والدينا رجلى الاسرة

ومع ذلك ، فلم أفرح لمقدم ابن فتحى ، بل ان النبأ صدمنى ، فردنى الى ماقبل ذلك بثلاث سنوات ٠٠ الى يوم معين من أيام مارس ، انسابت فيه الشمس على حقول الاسرة فى كفر « شبرا بلولة »

كنت فى ذلك اليوم مستلقيا على مقعد ، فى غرفتى ببيت الاسرة فى العزبة ، وقد استغرقت فى قراءة قصة روسية عن طبيب ـ مثلى ـ فما لبثت أن رحت فى اغفاءة لا أدرى مداها ، وان كنت أذكر أننى استيقظت منها على يدين ناعمتين تمسحان شعرى ، وتربتان خدى فى حنان أثار مشاعرى ٠٠ وكنت لا أزال أعيش فى خيال القصة ، فلم أتمالك أن أمسكت احدى اليدين الناعمتين ، وأنا بين النوم واليقظة

وكانت اليد بضة ، دافئة ، أذابت حرارتها عواطفى ، فلم أشعر الا وأنا أسحبها الى فمى ، فأسكب عليها حرارة الغرائز المكبوتة فى صدرى ، فى قبلة طويلة ٠ **وكان الجواب غريبا ، كأحداث القصة التى كنت أقرأها ٠٠ كان الجواب شفتين شهيتين التصقتا بشفتي فردتانى الى عالم الاحلام ، فما شعرت الا وأنا أحتضن صاحبة اليدين والشفتين ، فى شبه غيبوبة حالمة !**

على أن ما قد حدث لم يدم أكثر من ثوان معدودات ، أفقت بعدها فجأة وأنا على شفا الهاوية التى كنت أتحاشاها ،

فدفعت عنى ملاك الحلم القصير ، ريثما نفضت عن جفنى بقايا النعاس ، ونهضت أتأمله ٠٠ **وتصور الصدمة التى تلقيتها حين تبينت أن ذلك الملاك لم يكن سوى ٠٠ سعاد !٠٠ سعاد زوجة ابن عمى !**

وفى قسوة الحقيقة المرة ، وعنف المفاجأة القاسية ، ارتفعت يدى فى غير وعى منى ، وهبطت على خدها فى صفعة زخرت بكل ما اجتاحنى من غضب !

★ ★ ★

وفى اليوم نفسه ، بارحت العزبة الى القاهرة ٠ وهناك قضيت يومين فى حيرة أسلمتنى الى شبه جنون ٠ أأنبىء فتحى بما حدث ؟٠٠ كان المسكين مشغوفا بزوجته ، وكان ضعيف الاعصاب ، فأشفقت عليه أن ينهار تحت قسوة الصدمة

على أن رسالة من فتحى ، وصلتنى فى اليوم الثالث ، أخرجتنى من حيرتى ٠٠ رسالة مقتضبة ، موجزة ، ولكنها كانت أقسى على فؤادى من كل نكبة عرفتها فى حياتى ٠٠ وقد جاء فيها : « **ماكنت أتوقع من أخى أن يحاول خدش عرضى ٠٠ وما تصورت أن القريب الاوحد ، ينقلب الى ذئب يخرق كل الحجب التى فرضتها الفطرة ، والدم ، والدين ، والتقاليد ، والمجتمع ٠٠ لا داعى لبقاء ما بيننا بعد اليوم ٠٠ فليمض كل منا فى طريقه فى الحياة ، وليهدك الله ويغفر لك** » !

وكان من الجلى أن سعاد سعت بينى وبين ابن عمى بالقطيعة ٠٠ ولعلها قلبت الحقيقة فى عينيه ٠ وأوحت اليه أننى طمعت فيها ، وكدت أغتصبها ، فقاومتنى !

★ ★ ★

وانقضت ثلاث سنوات ٠٠ ثم بلغنى نبأ الغلام الذى أنجبته

سعاد لابن عمى ، فارتدت بى الذكريات ، والارض تميد بى ، الى هذا الحادث . والى ما وراءه .. فقد كان ثمة سر آخر غير ذلك الذى قصصته عليك . انه سر المهنه الذى نغص ولا يزال ينغص على عيشتى .. لقد كنت أوقن تمام اليقين ، وعلى أسس من نتائج خرجت بها فى المرات العديدة التى فحصت فيها فتحى ، من أنه .. كان مصابا بالعقم !

اننى لاعجز عن تصوير أساه وحسرته عندما صارحته بهذه الحقيقة فى بداية عهده بالزواج ، حتى لقد اضطررت الى أن أخفف عنه ، بأن أوحى اليه بأن ثمة أملا فى شفائه .. ومع أننى كنت فى شك من جدوى وسائل العلاج الا أننى أقبلت على علاجه مخلصا .. فلما أيقنت من الفشل ، آثرت أن أزعم له أن العلاج قد اتخذ مجراه وان النتيجة فى يد الزمن ..

من هذا تستطيع ياصديقى أن تقدر سر الصدمة التى تلقيتها حين بلغنى نبأ المولود الذى رزق به .. فقد أدركت أن هذا الطفل لم يأت الا من طريق واحدة ، لا ثانية لها .. طريق الخداع .. والخيانة !

وثارت النعرة الاصيلة فى أعماقى ، نعرة الشرف !.. وخيل الى أن الدنيا تنقلب فى نظرى الى مسرح أحمر .. أحمر قان ، بلون الدماء

ماذا أفعل ؟.. أأكتب الى فتحى ؟.. انه لن يصدقنى ، بعد أن رسخ فى ذهنه أننى حاولت يوما أن أغتصب زوجته ؟.. وهو لو صدقنى ، لكانت الصدمة قوية ، لايحتملها كيانه الضعيف

ولكننى فى لحظه من لحظات اليأس ، كتبت الى فتحى أرجوه أن يقابلنى لامر خطير !

وانتظرت الرد . ومر يومان . وثلاثه . وأربعة . ثم أسبوع . وأخيرا وصل الرد .. لا منه ، وانما .. من سعاد نفسها .. فقد كتبت تقول :

« أعرف انك لاتكاد تتصورنى ، ولكنى استحلفك أن تقرا رسالتى حتى نهايتها • انها اعتراف أدلى به بعـد أن عشت أكثر من عامين فى جحيم لا يطاق ••

« كنت أنا التى تسلمت رسالتك ، فأدركت سر دعوتك • وأيقنت انك عرفت ما وراء الحادث الاخـير •• ولكننى كنت مسوقة على الرغم منى •• اننى أحب فتحى •• أحبـه بكل قلبى وعواطفى •• أحبه كما لم تحب أية امرأة رجلا ما ! •• وهو يبادلنى الحب كما تعرف •• ولكن شيئا واحـدا كان ينغص علينا حياتنا الزوجية من البداية • كان فتحى فى شوق مستعر ، دائب ، ملحاح ، الى أن يكون له طفل •• فلما انقضى العامان دون ثمرة ، تولت فتحى كآبة أحالت العالم فى نظره الى سجن كئيب ••

« حاولت أن أحمله على أن نتبنى طفلا ، فأبى •• لانه كان ينشد نسلا من دمه ولحمه •• فذهبت الى حد السعى لاقناعه بالزواج من غيرى ، ولكنه صارحنى بأن لاجدوى من ذلك ، لان العقم كان ولا بد من ناحيته هو !

« وحرت فيما افعل •• كان شقاؤه يزداد يوما بعد يوم ، حتى بت أخشى أن يذهب به الحزن ••

« وفى ساعة جنون وثبت الى رأسى فكـرة جريئـة ، كدت أصعق لهولها •• ولكنها راحت تلح على ، حتى تراخت مقاومتى ، ووهنت عزيمتى •• وخيل الى أن جريمتى قد تكـون أخف شناعة عند الله ، وأهون وقعا على ضميرى ، لو أننى زللت مع أقرب الناس وأحبهم الى فتحى •• فكان ذلك الحادث الذى وقع بيننا منذ سنوات •• ولكنك كنت شريفا ، وفيـا •• فباءت المحاولة بالفشل ! •• الفشل الذى طاش بعقلى ، فأقدمت على الفتنة التى دفعت بابن عمك الى أن يقاطعك !

« وأقسم لك أنني لم أحاول مجرد التفكير فى تكرارها ••

ولكن الاسى عاد فاستبد بفتحى ، بسبب حرمانه من الولد ، حتى أوشك تحت وطأته ذات مرة على الانتحار ، لولا أن فاجأته فى الوقت المناسب فهدأت من سورة يأسه ...

لكن نضارته مضت تذبل ، وحيويته تخبو .. حتى اذا خيل الى أنه على وشك أن يموت كمدا ، عادت فكرة الزلة تراودنى ..

« وزللت ! .. لن يعنيك أن تعرف مع من كانت زلتى ، فأنا نفسى لم أعن بذلك .. زللت مع أول رجـل اعترض طريق حياتى . وقد نجحت المحاولة !

« لن تتصور سعادة فتحى .. انه يكاد يطير فرحا .. ولكن سعادته لاتفوق أساى ، وحسرتى . ان ضميرى يزداد ثورة يوما بعد يوم ، فلم أعد احتمل .. لقد فكرت فى أن أخنق الطفل ، ولكنى أشفقت على سعادة فتحى به ، فلم أجد مخرجا سوى أن أقتل نفسى !

« سأنتحر ، ولقد تكون الصدمة قوية على فتحى ، ولكنى أرجو أن يسرى عنه الطفل »

* * *

وقبل أن أجد فرصة للتفكير ، كانت التعسة قد انتحرت !.. انتحرت بطريقة لم تثر أى شك فى أنها كانت ضحية الظروف ..

وانهار فتحى تحت هذه الصدمة . ولم يخفف الطفل من

نكبته فيهـا ، ففتحى قد تحطـم ، حتى أن ثلاثة من الاطبـاء يتوفرون الآن على علاجه ، دون أن تثمر جهودهم !

لقد فكرت طويلا فى أن أزعزع ثقته فى سعاد ـ انقاذا له ـ عله يكرهها ، ويزدرى طفلهـا ، وينبذ ذكرها ، ولكنـه لن يصدقنى ـ بعد المأساة الاولى ، أو المهزلة ! ـ الا اذا أطلعته على السر الرهيب ٠٠ ولن يحتمل الحقيقة وهو مهدم !

ولم أك أملك أن أتجاهل انه يسير نحو الموت فى تؤدة ، ولو أنه مات ، لحمل الطفل اسم الاسرة التى انتمى اليها وغدا أمام الناس والقانون ، أقرب الناس الى !

وكدت أجن ، ولم أعد أطيق صبرا ٠٠ فعولت على أن أمحو العار عن أسرتى ، وسهرت ليلة بأكملها أدرس الموقف ٠٠حتى غلبنى النوم ، ولم أدر كم انقضى من الوقت وأنا نائم ، ولكنى استيقظت على صوت سعاد تهتف فى ضراعة وبنبرات متهدجة :

« أنت سترتنى فى الحياة يارشاد ، فحرام أن تفضحنى فى الممات ٠٠ كانت زلتى تضحيةفى سبيل ابن عمك ٠٠ لـكى يكون له الطفل الذى يشتهيه٠٠ ولما عجز ضميرى عن احتمال الزلة ، غسلت عارى وخطيئتى بدمى ٠٠ حـرام أن تفضـحنى يارشـاد ٠ وحرام أن يرتمى ابنى فى أحضـــان الـذل والعذاب »

وسرت فى جسدى قشعريرة أيقظتنى من نومى ٠٠ وخيل الى أن روحى تسمو عن هـذا العـالم ، لتحلق فى عالم كله نبل ، وصفح

ماذنبه ؟٠٠ أجـل ، ماذنب الطفل البرىء المسكين ؟

وبالفعل ، سعيت الى ابن عمى ٠٠ لا لاهتك سرالميتة ، وانما لاصلح ذات البين بينى وبين فتحى ، ابقاء على البروح الغضة ، البريئة ، التى خلفتها التعسة وراءها ٠٠

ماضرنى ياصديقى أن يرث الطفل ابن عمى ؟٠٠ أفلا يكون هـذا جزاء عدلا لما أدخله على نفس فتحى المسكين من هنـاءة ضافية !

و ٠٠ وكفى ياصـديقى ٠٠ ان فتحي لم يكد يرانى ، حتى ألقى برأسه على صدرى وهو مسجى على فراش المرض ، وانخرط فى البكاء

أما الطفل ، فما كدت أراه ، حتى خيل الى أن عينى سـعاد تطلان من وراء عينيه ، فى نظرات كلها ضراعة ٠٠ وتوسل ٠٠ ورجاء ٠٠

لا ٠٠ سأبقى عليه ٠٠ وسأكون له أبا ، سواء عاش فتحى أو مات !

« رشاد »

بنك مصر

أسس شركاته الكبرى التى وطد بها خصائص البلاد
واستغل مرافقها فإذا بها الدعائم التى قام عليها
التصنيع القومى فى البلاد وكانت السياج المنيع للتحرر
الاقتصادى منذ ٣٣ عاما فدل على الكفاية المصرية
وتفوق العقل المصرى فى مضمار الحياة العملية

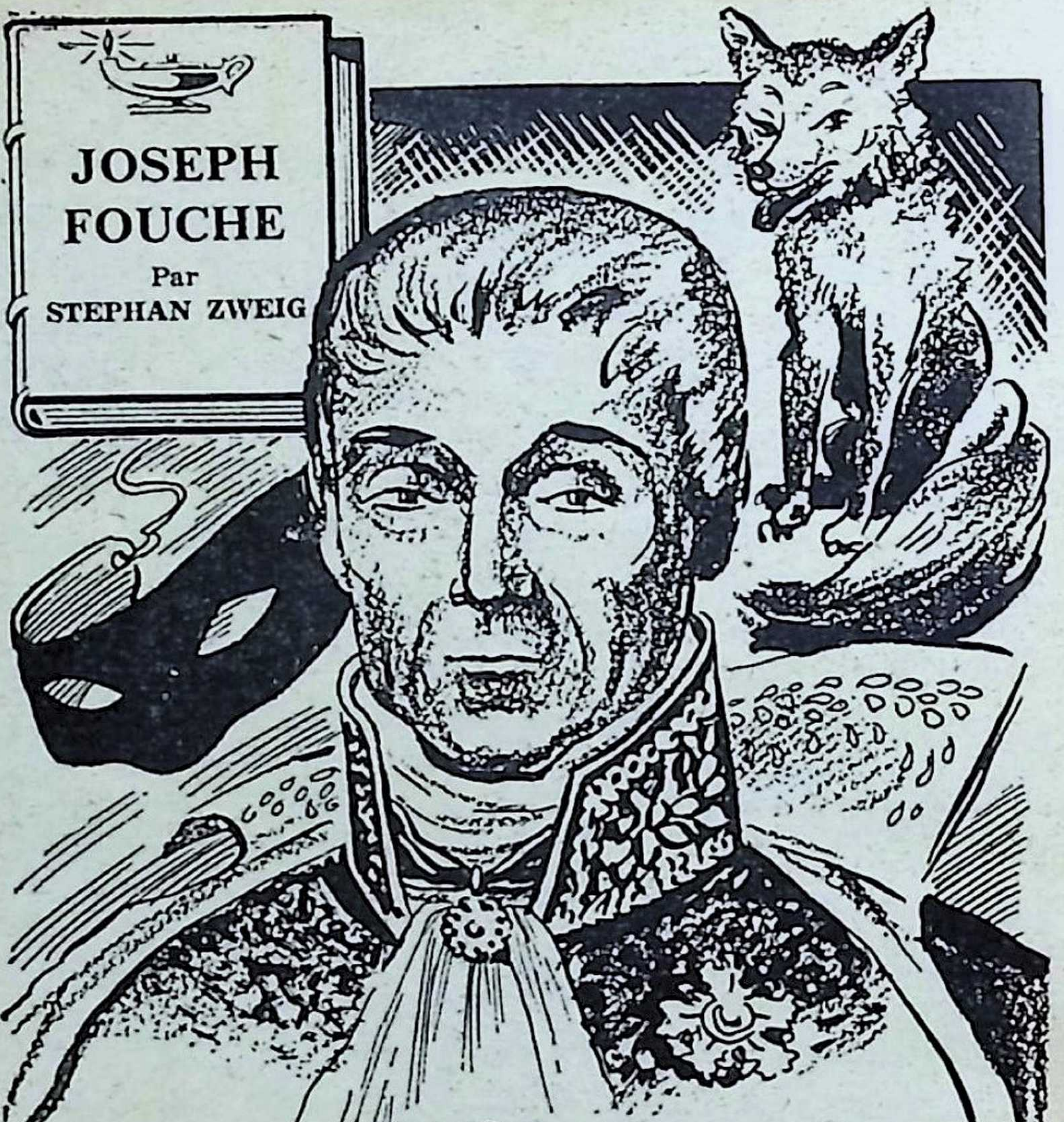

جوزيف فوشيه

ثعلب السياسة فى عهد الثورة الفرنسية ونابليون!

للكاتب النمسوى الأشهر "ستيفان زفايج"

تلخيص : محمود حلمى

تلميذ مكيافيلى الوفى !

◆ اذا صح ما قاله « نابليون » ـ منذ أكثر من قرن من الزمان ـ من ان « السياسة هى القدر الحديث » ، فخليق بنا ان نعرف اولئك الذين « يصنعون القدر ! » .. وفى الكتاب الذى نلخصه لك فيما يلى ، يقدم الاديب النمسوى الكبير « ستيفان زفايج » احدى هذه الشخصيات ، فى اسلوبه القصصى البارع ، الذى يجعل من حديث التاريخ والسياسة قصصا مشوقة ، مادتها الحقائق .. وكم فى الحقائق مايفوق الخيال !.. تلك هى شخصية « جوزيف فوشيه » ، ثعلب الثورة الفرنسية ، الذى غلب بمكره ذئابها ، فساق « روبسبير » الى المقصلة ، وشهد افول نجمى « مارا » و « دانتون » ، ليعلو نجمه هو ويزداد تالقا ، ونازل « نابليون » ، ثم حالفه ، ليعود فيتنكر له ، ويفسح الطريق للويس الثامن عشر كى يعتلى عرش أخيه !.. وكان مثال التلميذ الوفى لمكيافيلى ورسالته فى السياسة ، التى يجدها القارىء فى مكان آخر من هذا العدد

الثعلب .. الذى لعنه الجميع !

◆ **كان** « جوزيف فوشيه » من أقوى الرجال الذين بزغ نجمهم خلال الثورة الفرنسية ، وأكثرهم دهاء ، وأوسعهم حيلة . ولكن اسمه لم يكن يذكر ـ سواء فى حياته ، أو بعد موته ـ الا ولاحقته اللعنات ، وكأنه شيطان رجيم : لعنه « نابليون » وهو فى منفاه فى (سانت هيلانه) ، ولعنه « روبسبير » ، وكرهه الجمهوريون ، ونقم عليه الملكيون . وكانوا جميعا يسمونه بالمتآمر الوغد ، والخائن الحقير ، لانه لم يخلص لمبدأ معين ، وانما تقلب مع جميع الاحزاب والمبادىء ، واعتنق كل فكرة ، ولم يكن يهتم بغير مصلحته الذاتية فقط . **وقد ظل طوال حياته لايخلص الا لشخص واحد هو : « جوزيف فوشيه » !**

وكان يستطيع دائما أن يخفى خلف وجهه الجامد ، وصوته

الخافت الرتيب ، مايجيش فى نفسه من انفعالات وعواطف ٠ وقد عاش فى زمن كانت تهب فيه العواصف السياسية من كل جانب ، وتتصارع الآراء والمبادىء ، ويتناحر الرجال على النفوذ والسلطان ، فاكتسب خبرة عميقة بالنفوس ، حتى لقد كتب عنه « بلزاك » انه كان يتمتع بسيطرة على الرجال ، تفوق سيطرة « نابليون » ذاته ٠٠ وانه كان « أهم » شخصية فى الثورة الفرنسية ، وفى « المأساة النابوليونية » !

وبينما نجد « فوشيه » فى عام ١٧٩٠ مجرد مدرس بسيط فى أحد الاديرة ، اذا به فى عام ١٧٩٢ يهاجم الكنيسة ويسخر من رجال الدين ، وفى عام ١٧٩٣ يصبح شيوعيا متطرفا يطالب بالاستيلاء على الملكية الفردية ٠ ولم تنقض خمس سنوات حتى صار مليونيرا ، ثم أصبح من طبقة النبلاء ، وحمل لقب « دوق أوترانتو » !

وقد ولد « فوشيه » بمدينة (نانت) فى ٣١ مايو ١٧٥٩ ، فى أسرة كانت تشتغل بالتجارة التى تجلبها السفن عبر البحار ٠ وكان فى صباه ضعيفا ، هزيلا ، عصبى المزاج ، يصيبه الدوار اذا ابتعد عن الشاطىء ميلا واحدا داخل البحر ! وكان هذا كله لايؤهله لتجارة البحر التى تمارسها أسرته ، ومن ثم اضطر أبوه الى أن يلحقه بمدرسة الكنيسة ليتلقى العلم ، حتى اذا أظهر تفوقا فى الدراسة ، عين مدرسا للحساب والطبيعة فى احدى مدارس الأديرة ٠ وكان من الممكن أن يكرس حياته لخدمة الدين ، فيصبح ـ مع مضى الوقت ـ أسقفا ، أو كاردينالا ٠ ولكنه اكتفى بمهنة التدريس ٠ ومع أنه كان يرتدى مسوح الرهبان ، الا أنه لم يمنح الكنيسة كل قلبه ، لانه كان يفضل أن يحتفظ بحريته فى العمل ، دون أن يرتبط بالكنيسة أو بغيرها ٠ وقد ظل هذا الخلق طابعا مميزا له فى جميع أطوار حياته !

وظل « جوزيف فوشيه » يعمل مدرسا عشر سنوات ٠٠

أى الى أن بلغ الثلاثين من عمره . وقد أكسبته مهنته هذه مقدرة على ضبط النفس ، وتفهم طبائع النفوس ، كما أفادته عزلته فى الجو الدينى فرصة للتأمل والتفكير ، واكتساب معرفة ساعدته على أن يتبحر فى علم النفس ، وعلى أن يغدو فيما بعد دبلوماسيا محنكا . على أنها – قبل هذا وذاك – أكسبته شيئا أهم وأخطر ، اذ وجهته الى دنيا السياسة !..
فمع ان العاصفة التى اجتاحت فرنسا لم تكن قد هبت بعد ، الا أن نذرها كانت تتحرك فى صوامع الرهبان وأوساطهم ، حيث كانت « حقوق الانسان » تناقش فى حرية وحماس لايقلان عما كانت تناقش به فى نوادى الماسونيين الاحرار مثلا !.. وهكذا ، لم يلبث « فوشيه » ان انضم – فى سنة ١٧٨٨ – الى نادى « روزاتى » بمدينة (أراس) . وكان منتدى اجتماعيا فريدا فى نوعه ، ضم الرهبان الوعاظ ، وأفراد الشعب العاديين ، وفريقا من الجنود . **وهناك ، تعرف « فوشيه » الى عدد ممن صار لهم بعد ذلك شأن كبير فى الثورة الفرنسية وما أعقبها ، منهم « كارنو »، و« روبسبيير » ، و « مارا » ، و « نابليون بونابرت » الذى كان فى ذلك الحين ضابطا برتبة ملازم ، يحاول ان يؤلف قصة على غرار « آلام فرتر » !**

وتوثقت الصداقة – فى تلك الاثناء – بين « فوشيه » و « روبسبيير » المحامى الطموح . وتواترت الشائعات موحية بأن « فوشيه » كان موشكا على أن يتزوج من شقيقة صديقه ، ولكن هذه الشائعات لم تتحقق . ولعل هذا يفسر لنا سر العداء الشديد الذى نشأ بين الصديقين فيما بعد ، وهو عداء « تاريخى » اتخذ صورة صراع مستميت ، من أجل البقاء !..
وعلى أى حال ، فانهما كانا فى بادىء الامر صديقين حميمين ، الى درجة ان « روبسبيير » حين ذهب الى باريس – بدعوة من الجمعية الوطنية ، ليعاون فى وضع دستور جديد لفرنسا –

اقترض من « فوشيه » بعض المال ليشترى حلة جديدة ٠٠ ولكن هذا لم يمنع « فوشيه » ـ فيما بعد ـ من ارسال « روبسبيير » الى المقصلة ، عندما تحرجت الامور ٠٠ فان « فوشيه » لم يكن يعترف بالصداقة ، ولا كان يبقى على الاصدقاء ، الا بمقدار مايعود عليه منهم ٠٠ من نفع !

برودة ٠٠ سر عبقريته !

◆ **وكانت** نسائم الحرية قد بدأت تهب فى ذلك الوقت على فرنسا ، فارتفعت الاصوات تهاجم الظلم والطغيان ، وراح الناس يتحدثون عن حقوق الانسان ٠ وأدرك فوشيه ببصيرته النافذة أن عاصفة سياسية توشك أن تجتاح فرنسا ، فشعر بأن مستقبله ينتظره فى السياسة ، ومن ثم هجر التدريس ، وخلع رداء الكهنوت ، وقرر أن يكون سياسيا !٠٠ وبهذا العزم ، نزح الى مدينة (نانت) ، حيث انضم الى ناد أخذ يلقى فيه المحاضرات فى الشئون السياسية ٠ ولم تمض بضعة أسابيع حتى أصبح رئيس نادى « أصدقاء الدستور » ٠ وأخذ يشق طريقه فى حذر ، منتهجا سياسة الاحرار ، ولكن فى اعتدال !

ولما كان أهالى (نانت) من تجار البحر ، فقد ساءهم أن أصدرت الجمعية الوطنية الفرنسية قرارا بوقف تجارة الرقيق فى المستعمرات ، فانتهز فوشيه هذه الفرصة وأرسل اليها احتجاجا شديد اللهجة كان له صدى حسن لدى سكان المدينة ٠٠ ناخبى المستقبل !٠٠ ولكى يدعم نفوذه السياسى ، تزوج من ابنة تاجر ثرى ، كانت دميمة الشكل ، ولكنها حملت اليه « دوطة » ثمينة !

ولم يضيع « جوزيف فوشيه » وقتا ٠ فقد تقدم بعد ذلك فورا للانتخابات ٠ ولكن ماذا يقول للناخبين ؟٠٠ الامر سهل ، فليس عليه سوى أن يعدهم بأى شىء ٠٠ بل بكل شىء !٠٠

وهذا مافعله السياسى الناشىء ، اذ أقسم لسكان مدينة (نانت) أن يحمى التجارة ، وأن يحترم الملكية ، وأن يدافع عن القوانين ٠٠ فلم يأت عام ١٧٩٢ ، حتى اصبح « جوزيف فوشيه » نائبا فى الجمعية الوطنية ، وهو لايتجاوز الثانية والثلاثين من عمره ٠٠ وكان اذ ذاك ضعيف الجسم ، شديد الشحوب ، حتى كان يخيل لمن يراه أنه مجرد طيف ٠ **الا انه كان يسيطر على أعصابه سيطرة تامة ولا يسمح لها بالسيطرة عليه ٠٠ وهذا هو سر قوته ، وأصل نبوغه وعبقريته !٠٠وكان يستطيع أن يتحمل أعظم الاهانات فى هدوء وبرود ، وهو يبتسم !٠٠ وبدلا من ان ينفجر ، أو يهدد ، أو يتوعد ، كان ينتظر الفرصة السانحة لينقض على خصمه انقضاض الصاعقة ، فيقضى عليه قضاء مبرما !٠٠** كذلك كان قليل الكلام ، خافت الصوت ، قضى حياته كلها يعمل وراء الجدران ، فى مكتبه ، يعد التقارير ويتلقى المعلومات وينسج خيوط المؤامرات ٠ وعبثا حاول « روبسبيير » و « نابليون » أن ينالا منه ٠٠ فقد ظل ثلاثة أجيال يعمل فى الظلام ، محاولا أن يركز النفوذ والسلطان فى قبضتيه !

وفى يوم ٢١ سبتمبر عام ١٧٩٢ ، اجتمعت الجمعية الوطنية ، وكان بين أعضائها السبعمائة والخمسين ٠٠ « جوزيف فوشيه » ، نائب (نانت) !٠٠ وتطلع النائب الجديد حواليه ، فوجد أن معظم أعضاء الجمعية من « الجيروند » ـ المعتدلين ـ بينما كان المتطرفون ، أو « الجبليون » ، وعلى رأسهم « روبسبيير » ، أقلية ٠ فاختار « فوشيه » الجانب الذى يوحى أكثر من غيره بالامن والسلامة ٠٠ ومن ثم انضم الى « الجيروند » !

وفى يوم ١٥ يناير سنة ١٧٩٣ ، قدم المتطرفون اقتراحا الى الجمعية باعدام الملك لويس السادس عشر ، وأصر « روبسبيير » على أن يدلى النواب بأصواتهم علانية ، كى

يعرف الشعب أعداء الجمهورية من أنصار الملكية !٠٠ وكان « فوشيه » وأصدقاؤه ـ الجيرونديون ـ لايحبذون موت الملك ، لما قد يجره من عواقب وخيمة ، لاسيما وأن دول أوربا كانت ترقب الاحداث التى تدور فى فرنسا ، وتحاول التدخل لانقاذ الملك ٠ ولكن المتطرفين عملوا فيما بين ذلك اليوم ، واليوم التالى ـ الذى تم فيه الاقتراع ـ على تعبئة الرأى العام ضد المعتدلين ، فأثاروا الدهماء ، وألهبوا الشعور الوطنى ٠ وعند ظهر يوم ١٦ ينـاير ، تقاطر المتظاهرون عـلى قصر (التويلري) وهم يحملون الفـؤوس والرماح ، وامتلأت الشوارع بجموع الحرس الوطنى ، وأحاطت النساء بالنواب وهم يدخلون قاعة الجمعيـة يحرضنهم على عدم التخاذل ، ويصببن وابلا من الشتائم على المعتدلين ٠٠ لهذا دب الخوف فى قلوب النواب جميعا ، وخشوا نقمة الغوغاء ٠ فلمـا طلب من « فوشيه » أن يتقدم بدوره الى المنصة ليدلى بصوته ، قال بشفتين مرتعشتين : « الموت » !

ومنذ ذلك اليـوم تخلى فوشيه عن اعتـداله ، وانضم الى المتطرفين وأنصار الارهاب ، وبدأ يهاجم بشدة رجال الدين أنفسهم ، والمهاجرين ، وأنصار الملكية ، ويدعو الى سفك الدماء لدعم مبادىء الثورة !

وشعرت الجمعية الوطنية بأن الريف والاقاليم أقل تشيعا للثورة من العاصمة (باريس) ، فقررت أن ترسل مائتين من أعضائها لنشر تعاليمها فى أنحاء البلاد ، ومنحتهم سـلطات لا حد لها ، فكان من حقهم جباية الضرائب ، واصدار الاحكام ، وتجنيد الشبان للجيش ، وأصبح كل نائب منهم حاكما بأمره فى الاقليم الذى أرسل اليه !

ربيب الدين ٠٠ يحارب الدين !

◆ **وانتدبت** الجمعيـة الوطنية « **جوزيف فوشيه** » ليتولى

ـ باسمها ـ السلطة فى مدينة (ليون) ، مع زميله « كولويت ديبروا » • وهناك أصدر « فوشيه » للسكان منشورات ثورية متطرفة ، أورد فيها آراء أشد تطرفا من الآراء التى وردت فى تعاليم « كارل ماركس » ، الذى جاء بعد قرن من الزمان •

وكان مما جاء فى هذه المنشورات الجريئة : « **ان الثورة قد قامت من أجل الشعب ، وليس الشعب أولئك الذين يعيشون فى ترف ونعيم ، وانما هو طبقة الفقراء والكادحين •• الطبقة التى تغذى المجتمع بعملها » !•• « لقد كنتم عبيدا ، وواجبكم الآن أن تسحقوا الطغاة • فان الثورة ليست فى حاجة الى العبيد ، وانما هى فى حاجة الى الاحرار » !**

ومنها أيضا : « يجب أن تتناسب الضرائب مع حاجات الأمة . وكل مايزيد عن حاجات الفرد هو من حق الدولة •• ولا يكفى أن يعطى الافراد للدولة مايزيد عن حاجتهم من نقود ، بل يجب أن يتخلوا لها عما يزيد عن حاجتهم من احذية وأغطية وملابس •• أعطونا أيضا مامعكم من ذهب وفضة ، هذين المعدنين الخبيثين ، حتى نطهرهما فى النار ونحولهما الى ماينفع الوطن •• أعطونا حديدا وفولاذا لكى تنتصر الجمهورية ! »

واستطاع جوزيف فوشيه أن يجند فى أسبوع واحد خمسة الاف رجل ببنادقهم وأحذيتهم وملابسهم وخيولهم ، وأن يرغم المصانع على العمل • ولم ينقض شهران حتى كتب للجمعية الوطنية يقول : « ان كل امرىء هنا يخجل من أن يكون غنيا ! » •• ولو توخى الحقيقة لقال : « ان الناس هنا يرتعدون فرقا اذا اتهموا بالغنى » ، فقد كان الاعدام ـ على الجيلوتين ـ نصيب من يثبت اكتنازه للمال !

وتحول هذا الشيوعى المتطرف ـ الذى أصبح فيما بعد مليونيرا ، ودوقا ! ـ الى مهاجمة الكنيسة التى كان يوما من رجالها • فأمر الناس أن يعبدوا الجمهورية والاخلاق ، وانذر

القسس بالسجن اذا ارتدوا ملابسهم الدينية خارج كنائسهم ! ثم أقدم على الغاء العزوبيــــة بين رجال الدين ، وأمرهم بأن يتزوجوا خلال شهر واحد ، أو أن يتبنوا أطفالا . كمـــا أمر بأن تجرى مراسم الزواج والطلاق فى الميادين العامة ، وألغى طقوس الجنـــائز المسيحية .. ثم امتطى جواده ذات يوم ، وسار عـلى رأس موكب ، والمطرقة فى يده ، وأخـذ يحطم الصلبان وتمـاثيل المسيح والقديسين ، التى كان يسميها « رموز التعصب المخجلة » !.. وجمع قلانس القسس وعباءاتهم فى ميدان عام وحرقها ، والجماهير ترقص جذلة حول النيران المشتعلة فيها . وراح بعد ذلك يفاخر زملاءه بأنه استطاع أن يجتث المسيحية فى اقليمه من جذورها ، كما اجتث الثروة من قبل !

سفاح ليون ضد سفاح باريس !

• وعاد الى باريس ـ بعد شهرين ـ وقد أدى مهمته بنجاح منقطع النظير ، وعقدت الجمعيـــة الوطنية أكاليل الغار عـلى جبينه . ولكن الفتنة لم تلبث أن اشتعلت فى (ليون) ـ أكبر مركز صناعى فى فرنسا ـ فلم تجد الجمعية الوطنية من هو أجدر باخمـادها من « جوزيف فوشيه » . ولم يتردد فى الاضطلاع بالعبء . وسالت الدماء فى (ليون) أنهرا !. فقد أمر فى ٤ ديسمبر سنة ١٧٩٣ بحفر خندقين فى سهل (بروتو) ـ المجاور للمدينة ـ ثم فتح السجون ، وأخرج منهـا ٦٠ من زعماء الفتنة ، وساقهم مقيدين بالاغلال الى السهل الفسيح ، حيث قذفهم بقنابل المدافع ، فقتل بعضـهم ، وبادر الحراس فأجهزوا على الباقين !.. وفى اليوم التالى ، ساق « فوشيه » الى سهل (بروتو) عـددا أكبر ، فلاقى مائتان من المتمردين حتفهم بنيران المدافع ، فقذفت جثثهم فى مياه نهر (الرون) ، وفوشيه يقـول مزهوا : « **فليحمل النهر هـذه الجثث حتى**

مصبه ، ليرى سكان القرى على الشاطئين ان الجمهورية لاتهزل ، وأن انتقامها لاتخالطه الرحمة ! »

وفى أسابيع قليلة شهدت (ليون) مذابح ستمائة من أبنائها . وقال « فوشيه » مبررا هذا العمل : « اننا نفعل هذا لبواعث انسانية ، ونزولا على مايقتضيه الواجب، وخضوعا للثقة التى وضعتها الامة فى أعناقنا » .. ولكنه لم يكتف بهذا ، بل رأى ان لابد من هدم مدينة (ليون) على رؤوس سكانها !.. فلم تمض أسابيع قليلة حتى أصبحت المدينة الصناعية العامرة ، مجموعة من الاطلال !.. وبينما كانت الجدران تتهاوى ، كان « الجيلوتين » يعمل فى رقاب معارضى الجمهورية . وان هى الا ثلاثة أشهر ، حتى كان رقم الضحايا قد ارتفع الى ألفى نفس ، فضج الناس ، وذهبت وفودهم الى (باريس) تشكو الطاغية « شارب الدماء » ، الى روبسبيير زعيم الجمعية الوطنية .. فأسرع « فوشيه » بالعودة الى باريس - فى يوم ٥ أبريل ١٧٩٤ - ليدافع عن نفسه أمام الجمعية ، ويبرر الفظائع التى ارتكبها فى (ليون) .

وكان يعتقد أنه يستطيع الاعتماد على أصدقائه فيها ، ولكنه وجد أن روبسبيير قد أرسل الى المقصلة معظم الزعماء البارزين من أعضاء الجمعية ، فلم يبق فيها سوى رجال يخشون على رقابهم ، ولا يتكلمون الا بما يوافق هوى « روبسبيير » !.. ومن ثم قوبل دفاع « فوشيه » بفتور . وتبين الرجل أن الجو

مشحون بالكهرباء ، وأن رأسه قد يتدحرج تحت المقصلة فى أى وقت • وحاول أن يسترضى روبسبيير ، ولكن محـاولاته قوبلت بعدم اكتراث ، بل بازدراء !

فرحة لم تدم !

• **وكان** روبسبيير قد أصبح فى ذلك الوقت الحاكم المطلق لفرنسا ، وصار من المستحيل على « فوشيه » أن يعارضـه علنا • فماذا يفعل لكى ينقذ رأسه ؟•• كانت الخطة المثلى هى أن يعمل على ارسال « روبسبيير » ذاته الى المقصلة !

ولجأ « فوشيه » الى خطته التقليدية ، فبدأ ينسج المؤامرات من وراء ستار ، ويقابل النواب فى منازلهم ، ويقنع كلا منهم على حدة بأن روبسبيير قـد طغى وبغى ، وأنه لن يتورع عن ارسال أى نائب الى المقصلة فى أى وقت يشاء ، وأن من الخطر على الجميع تركه يسترسل فى طغيانه !•• ونجحت الخطة ، فانتخب « فوشيه » رئيسا لنادى « اليعاقبة » ، وهـو أقوى الاحزاب المتطرفة • وأصيب « روبسبيير » بصدمة حفزته على الانتقام ، فألقى فى الجمعية الوطنية خطابا عنيفا هاجم فيـه « فوشيه » واتهمه بالخيـانة ، فطرده نادى « اليعاقبـة » ، وأصبح منبوذا فى نظر الجميع •• وتوقع أن يأتى اليه الجنود فى منزله فى أى وقت ليقودوه الى المقصلة !

ولكنه لم ييأس •• أو لعـل اليأس أكسـبه جرأة فوق جرأته ، فراح يطوف بمنازل النواب فى كل يوم – من الصباح حتى المساء – ليحدثهم عن طغيان « روبسبيير » ، ولينذرهم بأن دورهم آت ليلحقوا بالمـائة والخمسين الذين اقتيـدوا الى المقصلة من قبـل !•• **وكان النواب يخشـون « روبسبيير » ويكرهونه ، ولكنهم كانوا قد أصبحوا كالخراف يحركهم كما يشاء • على أنه لم يكد نائب جسـور – اسمه « بوردون » –**

ينتقد « روبسبيير » علنا فى الجمعية الوطنية ، حتى تشجع الباقون ، وتداول النواب منصة الخطابة ، وألقوا على « روبسبيير » وابلا من الاتهامات والتقريع ، وتدفقت كراهيتهم كالسيل . وحاول أصدقاؤه أن ينقذوه فلم يفلحوا . وسيق « روبسبيير » الى المقصلة التى أرسل اليها المئات من قبل !

وطرب « جوزيف فوشيه » لهذا النصر .. ولكن فرحته لم تطل ، فقد هاجمه النواب ، وأعادوا الى الاذهان قصة مذابح (ليون) ، فصدر أمر بالقبض عليه ، تمهيدا لاعدامه .. ولكنه لم يفقد جأشه ، بل استطاع بمكره ودهائه أن يؤجل تنفيذ أمر القبض ، ريثما أقنع المسئولين بالتجاوز عنه . ولكن نفوذه ضعف بعد ذلك ، فلم ينتخب فى الجمعية الوطنية الجديدة ، وظل ثلاث سنوات فى طى النسيان !

جوزيف فوشيه : وزير البوليس !

◆ **قضى** « فوشيه » هذه السنوات الثلاث فى شبه عزلة عن الناس ، لاقى خلالها الامرين من العوز والفاقه ، حتى أنه كان يعجز فى كثير من الاحيان عن دفع أجرة منزله ، أو حتى عن شراء اللبن لاطفاله الصغار . واضطرته الحاجة الى أن يعمل كجاسوس لباراس ، قنصل فرنسا فى ذلك الوقت ، والحاكم الاعلى للبلاد ، وأن يستجديه بعض الهبات التى تعينه على المعيشة !

واستغل « فوشيه » العلاقات الوثيقة التى تربطه بباراس فى قضاء حاجات ذوى المصالح من رجال المال والصناعة ، وكسب من وراء ذلك مالا كثيرا . فقد علمته أيام الفقر أن المال هو عصب الحياة ، وفى سبيله ضحى بمبادئه القديمة — مبادىء الجمهورية والثورة المتطرفة — ولم يعد الذهب والفضة ، فى رأيه ، معدنين « خبيثين » !.. وما لبث « فوشيه » أن أنشأ شركة لتوريد المهمات للجيش . وقد أدى فساد تلك

المهمات الى هزيمة الجيش فى ايطاليا . ولكن أحدا لم يناقشه الحساب ، اذ كان هم الجميع - اذ ذاك - جمع المال بأى ثمن ، ومن أى طريق . ولذلك فلا عجب أن أصبح « جوزيف فوشيه » - الذى كان يبشر بالشيوعية - مليونيرا ، يدخر فى خزائنه عشرين مليونا من الفرنكات !

ولما انتخب باراس رئيسا لمجلس القناصل ، وهو يعادل منصب رئيس الجمهورية ، كافأ « فوشيه » على خدماته ، بأن عينه مبعوثا رسميا فى ايطاليا ثم فى هولندا ، حيث أظهر من الحنكة والدهاء ماجعل « باراس » يقتنع بأنه يستطيع أن يخدمه فى منصب أكثر خطورة ، فعينه وزيرا للبوليس !

وذعرت باريس ! .. كيف يعين « سفاح ليون » وزيرا فى الدولة .. ووزيرا للبوليس بالذات ؟.. هل يعود عهد الارهاب من جديد ؟.. ولكن « جوزيف فوشيه » الوزير ، أثبت أنه غير « جوزيف فوشيه » جزار (ليون) .. وصدقت فيه - كما صدقت مع غيره - نبوءة « ميرابو » الذى قال : « ان أشد المتطرفين حماسة يفقد تطرفه على كرسى الوزارة الوثير » !

أجل ، لم يعد « فوشيه » يطالب الجماهير بالثورة ، أو ينادى باطلاق حرية الصحافة .. بل انه أصبح يرى ان الصحف لاينبغى أن تثير خواطر الشعب ، ولذلك كمم أفواهها ، وحظر الاجتماعات والخطب الرنانة !.. وعندما حاول أعضاء نادى « اليعاقبة » - زملاؤه القدامى ! - أن يعقدوا اجتماعا ، كما كانوا يفعلون فى عهد « دانتون » ، دخل القاعة بهدوء ووراءه شرذمة من الجند ، وأمر المجتمعين بالانصراف ، ثم أغلق باب النادى بالمفتاح !.. وكأنما كان اغلاق هذا النادى ايذانا بانتهاء الثورة الفرنسية !

زوجة الامبراطور .. من جواسيس « فوشيه » !

◆ **وجاء** هذا المنصب متفقا مع ميول « جوزيف فوشيه » ،

ومطابقا لمزاجه وهواه • وعن طريقه استطاع أن يشبع نهمه الغريزى لاستطلاع أحوال الناس • واذا كانت المناصب تقاس على قدر قيمة شاغليها ، فان « فوشيه » جعل لوزارته أهمية لم تكن متوقعة ، فجعلها « رقيبة » على جميع الوزارات الاخرى ، بل على جميع الهيئات والافراد فى فرنسا !•• فكان عنده نبأ كل صغيرة وكبيرة فى الدولة ، وقد أنشأ لهذا الغرض شبكة للمخابرات فريدة فى نوعها ، وكان له عملاء من جميع الطبقات، كان منهم جنرالات ، ودبلوماسيون ، وحزبيون ، وجاسوسات فى صالونات الطبقة الراقية وفى دور الازياء • وكانت التقارير تحمل اليه مايجرى فى دوائر الاعمال والمال ••• حتى أخبار الجيش ـ فى جبهة القتال ـ كانت تصله بانتظام !

وقد ظل طول حياته يفخر بأن « جوزفين بوهارنيه » ـ زوجة نابليون بونابرت الاولى ـ كانت من جواسيسه ، وكان يدفع لها مرتبا شهريا لقاء ماتبلغه من أسرار • ومن هذه الاسرار أن « نابليون » غادر مصر فى طريقه الى فرنسا ، عقب تحطيم الاسطول الفرنسى فى (أبى قير) ، وكان أول شخص فى فرنسا يقف على هذا النبأ ، فبادر الى استغلاله لمصلحته !•• ذلك لان حكومة القنصلية كانت تهدف ـ فى الواقع ـ من الموافقة على ايفاد « نابليون » على رأس الحملة الفرنسية الى مصر ، الى التخلص منه بعد ازدياد نفوذه فى فرنسا • ولما جاءت أنباء تدمير الاسطول الفرنسى فى (أبى قير) ، لم يخطر ببال أحد أن « نابليون » يمكن أن يعود ، بعد أن قطع الاسطول الانجليزى المواصلات بين فرنسا ومصر •• فلما عاد الى فرنسا فجأة ، أصيب القناصل بذهول ، وتظاهر جوزيف فوشيه بالدهشة !•• وكان قد أدرك ـ بغريزته الثعبانية ـ أن « نابليون » سيصبح أقوى رجل فى فرنسا ، لان الجيش كان يؤيده ، والشعب كان يعبده • فأسرع ، بسليقة الربان الماهر ، يوجه دفة السفينة نحو السيد الجديد • واختلى بنابليون

ـ عقب وصوله ـ ساعتين ، شرح له فيهما الموقف فى فرنسا بالتفصيل • وقد قال نابليون فى مذكراته التى كتبها فى (سانت هيلانة) : « لم أعرف رجلا يشرح الامور شرحا وافيا ، فى أوجز عبارة ، مثل جوزيف فوشيه ! »

وعلم « فوشيه » أن « نابليون » يدبر انقلابا لاسقاط حكومة القنصلية ، وكان واجبه ، كوزير للبوليس ، يقضى عليه بان يبلغ رؤساءه بنبأ المؤامرة • ولكنه لم يفعل •• حتى اذا طرد « نابليون » أعضاء الجمعية الوطنية ، واصبح سيد فرنسا المطلق ، كان فوشيه أول من ابتهج بنجاح المؤامرة !•• ولو ان نابليون فشل ، لاصدر فوشيه منشورا عنيفا يستنكر فيه « هذه المؤامرة الدنيئة الموجهة ضد الامة ! »

وكان « باراس » ـ رئيس مجلس القنصلية ـ هو أول ضحايا الانقلاب •• « باراس » الذى كان له فضل تعيين «فوشيه» وزيرا للبوليس ! •• ولكن «فوشيه» لم يكن يفرق بين الخير والشر ، وانما كان يفسرهما بما يطابق مصلحته الذاتية• وعلى أية حال ، فان « فوشيه » لم يكن يختلف كثيرا فى طباعه عن « نابليون » ، الذى رفعه « باراس » من ضابط صغير الى رتبة القيادة، ووضع على معطفه شارات الجنرال الذهبية ، ونزل له عن خليلته ذاتها ، لتصبح فيما بعد •• جوزفين بونابرت ، امبراطورة فرنسا !•• ومع ذلك ، فان نابليون لم يكافيء باراس على كل هذا الا بالجحود والنكران !

نابليون يطرده •• خوفا منه !

◆ **وأصبح** « نابليون » قنصلا أول على رأس الجمهورية ، ثم أكرمه مجلس الشيوخ فجعل مدة خدمته فى هذا المنصب عشر سنوات • ولكن « نابليون » لم يعد يقنع بمثل هذا التكريم التافه ، اذ كان النفوذ والسطوة قد أثارا شهيته لمنصب أضخم:

منصب الامبراطور !٠٠ ولكنه أحس بأن فوشيه غير متحمس لهذه الفكرة، وأنه يعارضها من وراء ستار ـ على طريقته الملتوية المعروفة ـ فقرر أن يتخلص منه ، منتهجا أسلوبا لايجرح كبرياءه ٠ ومن ثم ألغى وزارة البوليس ، بحجة عدم الحاجة اليها ، بعد أن استتب الامن فى البلاد ٠ ولما قدم له « فوشيه » رصيد الوزارة المتبقى فى خزانتها وقدره مليونان وأربعمائة ألف فرنك ذهبا ، منحه « نابليون » نصفه ، حتى يرضى نهمه المسعور للمال ٠ ولم يكتف بذلك ، بل عينه عضوا فى مجلس الشيوخ عن دائرة (اكس) ٠ فقد كان « نابليون » يعرف مدى دهاء هذا الدساس ، فأمعن فى ارضائه ـ بهذا القدر الذى لم يحظ به فى التاريخ وزير أعفى من منصبه ـ لكى يأمن شره !

وهكذا انزوى « جوزيف فوشيه » فى عام ١٨٠٢ عن الحياة العامة ، رضوخا لارادة « نابليون » ٠ ولكنه لم يسكن فى غرفة حقيرة على السطح ـ كما فعل عندما طرد فى أيام الارهاب .. بل اشترى بيتا جميلا فى شارع (سيروتى) فى قلب باريس ، كما اقتنى فى ضواحيها قصرا فخما ، وكانت دائرته ترسل له دخلا طيبا ٠ وبذلك أصبح الشيوعي المتطرف من أغنى أغنياء فرنسا ! ٠٠ لكن هذه الثروة العريضة لم تغير شيئا من طباعه التى جبل عليها فى أيام الفقر والحرمان ، فظل لايدخن ، ولا يشرب الخمر ، ولا يلعب الميسر ، ولا يجرى وراء النساء ! ٠٠ شىء واحد تغير فيه : ذلك هو أن شهوته العارمة للحكم اشتدت ونمت ٠ فان من ينتشى بخمر السلطان مرة واحدة ، لايستطيع أن يسلوها ـ ولو هجرها ! ـ بل يظل دائم الحنين اليها ٠ وقد لجأ « فوشيه » الى طريقة عجيبة ليشبع هواية السلطان فى نفسه ، فكان يرسل فى كل أسبوع الى القنصل الاول « نابليون بونابرت » تقارير سرية ، وكان نابليون يجامله ويشكر له بياناته هذه ، ولكنه ظل على اصراره فى اقصاء هذا الخادم الطموح الذى يثير الوساوس والشكوك !

يتجسس على الامبراطور والكبراء !

◆ **وكان** نابليون يعتقد أن بوسعه الاستغناء عن خدمات «فوشيه» ، الا أن الاخطاء التى ارتكبها زعزعت هذا الاعتقاد ، لاسيما حين أغراه خوفه من آل «بوربون» — المبعدين فى المنفى — على أن يستمع الى مشورة «تاليران» المشئومة ، فيأمر باعدام «دوق انجين» ٠ وبذلك جر على نفسه نقمة أعدائه الملكيين ، واضطر الى احاطة نفسه بنطاق دائم من رجال البوليس السرى والعلنى !

وتلقف «فوشيه» — بدهائه المعهود — هذه الفرصة ، فأخذ يتودد الى «نابليون» ٠، وأغرى زملاءه فى مجلس الشيوخ على أن يلتمسوا من القنصل الاول أن يكفل لحكمه أسباب البقاء ، حتى يتم الاعمال الخالدة التى بدأها ٠ وكان الهدف من هذا الالتماس أن يعلن «نابليون» نفسه «امبراطورا» ٠٠ وكان جزاؤه على ذلك ، أن عينه «الامبراطور» وزيرا للبوليس — مرة أخرى — فى سنة ١٨٠٤

وظل «فوشيه» طيلة عشر سنوات مشدودا الى عربة «نابليون» ، ولكنه حافظ دائما على استقلال نفسه وصفاء ذهنه ٠ وكان يقدم الى الامبراطور أدق أسرار الامبراطورية ، ولكنه كان يحتفظ لنفسه بما يشاء من أنباء يرى أن يستغلها لمصلحته الذاتية ٠٠ بل ان أسرار نابليون نفسه كانت تصل اليه بانتظام ، فكان يعرف فى أى ساعة من الليل بارح الامبراطور قصر (التلويللرى)—من بابه الخلفى، وهو مستخف— ليزور احدى عشيقاته ، وكم من الزمن ظلت العربة تنتظره أمام الباب ، ومع من تخون الامبراطورة «جوزفين» زوجها الامبراطور! كما كان يعرف مباذل «بولين» — شقيقة نابليون — وفضائحها التى زكمت الانوف !٠٠ كان يعرف كل شىء ، عن طريق

جواسيسه العديدين المنتشرين فى كل مكان . وبهذا ، استطاع أن يسيطر على كبار رجال الدولة ، باغضائه عما كانوا يرتكبون من موبقات ومباذل . ومع مضى الوقت ، آدرك « نابليون » أنه لايستطيع الاستغناء عن هذا الرجل الماكر الذى لاتفوته شاردة أو واردة !.. غير انه لم يكن يحبه ، بل كان يحذره ويكرهه ، ويرى انه يعرف أكثر مما ينبغى !

فوشيه ينجو من نقمة نابليون !

◆ **ازدادت** مطامع « نابليون » بعد أن صار امبراطورا .. وكان يؤمن بأن الحرب التى رفعته من الحضيض هى خير ماينيله مزيدا من المجد والسلطان ، فأوغل فيها ، وراح يضاعف من جيوشه ، ويجند كل من استطاع من الفرنسيين ، حتى لقد كان ينتزع الفتيان الذين لاتتجاوز اعمارهم الثامنة عشرة ، من أحضان آهليهم ، ليقذف بهم وقودا للنيران التى أشعلها فى النمسا وألمانيا وروسيا وأسبانيا !.. وكان من الطبيعى أن يستنزف موارد الدولة فى هذا السبيل ، حتى بدأ عقلاء فرنسا يرتابون فى أنه انما كان يسعى الى مجده الشخصى ، لا مجد الوطن . وشعر أعوانه بأنه يدفع بالبلاد الى كارثة ، فلما لم يستمع الى مشورة أحد منهم ، بدأوا يتدبرون الامر فى الخفاء ليوقفوا هذا الاندفاع الجنونى نحو الخراب والموت . وأدى هذا الموقف الى تحالف « فوشيه » و « تاليران » ـ وزير الخارجية ـ بعد أن كان بينهما عداء مسعور ، طالما اغتبط له « نابليون » ، لانه كان يشغلهما عن تهديد نفوذه !

وكانت الحرب التى شنها « نابليون » على اسبانيا ، فى سنة ١٨٠٠ ، النذير الذى نبه الغريمين الى ضرورة هذا التقارب ، ونبه « نابليون » ـ فى الوقت ذاته ـ الى مافى تقاربهما من خطر !.. فلقد جلبت هذه الحرب الوبال على فرنسا ، دون أن

يكون لها من هدف حقيقى سوى الحصول على عرش ، لجوزيف الاحمق ـ شقيق « نابليون » ـ بعد أن زحم الاشقاء الآخرون والاصهار ، عروش أوربا !٠٠ وكان « نابليون » فى اسبانيا حين تناهت اليه أنباء ازدياد التزاور والوئام بين « فوشيه » و « تاليران » ، فتولاه القلق ، وأوجس من أن يكونا مستغرقين فى التآمر ضده ، ومن ثم فانه لم يتردد فى مغادرة ميدان القتال ، والمبادرة بالعودة الى باريس٠ وفى اليوم التالى لوصوله جمع الوزراء ورجال البلاط ، ووجه الى تاليران تأنيبا مرا ، ونعته بأخس الصفات وأحطها ، ثم أقاله من منصبه !

ولكن من العجيب حقا أن « فوشيه » لم يمس بأذى ، بل بقى فى منصبه ٠ لا ، بل ان نفوذه ازداد بعد اقصاء « تاليران » ، أذكى مستشارى « نابليون » !

فوشيه ٠٠ دوق اوترانتو !

◆ وسنحت لفوشيه الفرصة كى يثبت للجميع أن « سفاح ليون » يستطيع ـ اذا جد الجد ـ أن يكون ندا للامبراطور ذاته٠ ففى عام ١٨٠٩ ، شن نابليون حربا جديدة على النمسا ، فانتهزت انجلترا فرصة تشتت جيوش فرنسا فى جميع أنحاء أوربا ، وأنزلت جنودها فى الاراضى الفرنسية ، فاحتلوا مدينة (فلشينج) ـ التى كان نابليون يعتقد انها منيعة ـ **ولم يضيع فوشيه وقتا ، فبادر ، بوصفه وزيرا للبوليس ، الى استدعاء الحرس الوطنى الذى سرح فى أعقاب الثورة ، ثم وضع على رأس هذا الجيش الجديد أبغض القادة الى قلب نابليون ـ وهو « برنادوت » ، الذى كان نابليون قد أحاله منذ زمن الى الاستيداع ـ فما لبثت هذه القوة أن أجبرت الانجليز على الانسحاب**

ولكن تصرف « فوشيه » لم يرض وزير الحربية ، اذ كيف يجرؤ وزير مدنى أن يعتدى على اختصاصه ، فيؤلف الجيوش

ويوجهها الى ميادين القتال ، دون أن يكلف نفسه عناء الحصول على اذن من الامبراطور ؟! ٠٠ فأسرع وزير الحربية يشكو « فوشيه » الى « نابليون » ، ولكن هذا أجاب برسالة بعث بها من النمسا ، معنفا وزير الحربية تعنيفا شديدا لاهماله فى المبادءة الى اتخاذ التدابير التى كان يتطلبها الموقف الخطير ، وأثنى ثناء عاطرا على تصرف « فوشيه » الذى أنقذ فرنسا ، ومنحه لقب « دوق أوترانتو » !

وكأنما استمرأ « فوشيه » هذا النصر ، فأراد أن يعززه بآخر ٠ ولكنه في هذه المرة أقدم على أمر لايخطر على البال ، اذ شرع فى مفاوضة انجلترا سراً ، دون علم الامبراطور! ٠٠ وظلت هذه المفاوضات تدور فى الخفاء بين « فوشيه » وبين وزارة الخارجية الانجليزية ، التى اعتقدت أن نابليون هو الموحى بها . الى أن علم الامبراطور — بمحض المصادفة ، وهو فى زيارة لاخيه لويس ملك هولندا — بأمر هذه المفاوضات ، فاذا بسخطه يحتدم ، مما جعله يحاسب وزيره حسابا عسيرا ، ويقيله من منصبه !

وذهل الرأى العام فى فرنسا لنبأ اقصاء « فوشيه » ، ذلك الرجل الدبلوماسى الناعم الملمس ، وذهل أكثر حين علم أن اقصاءه كان نتيجة سعيه لعقد الصلح مع انجلترا واقرار السلام فى اوربا المثخنة بالجراح ٠ فالواقع أن الناس فى فرنسا — بل وفى اوربا كلها — كانوا يتوقون الى هذا الصلح وينتظرونه بفارغ الصبر ، اذ كان « نابليون » قد منع السفن الانجليزية من دخول الموانىء الاوربية ، كما أن انجلترا فرضت —بدورها— على القارة الاوربية حصارا محكم الحلقات ، فأفلست البنوك ، وكسدت التجارة فى عواصم القارة ٠ فلا عجب اذا رأينا الناس يستنكرون اقالة الوزير الذى حاول اقرار السلم والوئام ٠ بل ان « لويز » — زوجة نابليون الجديدة — ناصرت « فوشيه » ، كما ناصرته « جوزفين » — زوجته القديمة ٠ ولكن « نابليون »

لم يأبه لكل هذا ، بل أصر على اقصاء « فوشيه » ، لا عن منصبه فحسب ، وانما عن (باريس) بأسرها ، وعن الحياة العامة ، وألزمه بأن يعتكف فى (ايكس) !

الصراع بين الذئب والثعلب !

• على أن « فوشيه » لم يكن بالرجل الذى يسلم بسهولة .. فكان أول مافعله للرد على « نابليون » هو ان سمم الآبار لوزير البوليس الذى أعقبه . أو بتعبير آخر ، حرص على أن يعدم كل السجلات التى كانت تضم أسماء الاعوان الذين كانوا يتجسسون لحساب الدولة ، ويمدون « فوشيه » بالانباء والتقارير !.. ثم عمد الى نقل أهم الوثائق الرسمية الخطيرة ــ التى كانت تحت يده ــ من « أرشيف » الوزارة . وعندما طلبها « نابليون » ، تلكأ فى الرد مرة ، واثنتين ، حتى اضطر الامبراطور الى أن يوفد اليه سكرتير مجلس الوزراء . ولكن « فوشيه » أبدى أسفه ببساطة ، زاعما انه أحرق كل الوثائق . وفى سذاجة مصطنعة ، قال ان تلك الوثائق لم تكن سوى خطابات من أخوة وأخوات « صاحب الجلالة » ، محشوة بما يسىء الى « جلالته » ويؤلم نفسه ، ومن ثم فقد رأى احراقها ، حتى لايترك آثارا تستغل فى أية فضيحة أو تهديد للامبراطور !

كانت المعركة قد بدأت بين الذئب والثعلب ، وكلاهما من أنصار السياسة المكيافيلية !.. **وكما فعل « فوشيه » مع « روبسبيير » ــ منذ خمسة عشر عاما ــ شرع يرسم خطته ازاء « نابليون » . فلم يهدأ خلال السنوات الثلاث التى كانت اقامته فيها محددة ومقصورة على (ايكس) ، بل عكف على ممارسة عادته القديمة . فكان له أعوان مخلصون يجمعون له أدق الانباء ، ويبعثون بتقاريرهم اليه أولا بأول ، مع ثلاثة رسل . وكان يفخر بأنه أنشأ لنفسه « دائرة بوليس خاصة » !**

وكانت كل الظـواهر توحى بأن مكانة « نابليون » قد توطدت ، كسيد لاوربا ٠٠ بل للعالم أجمع !٠٠ ولكن القدر كان يعد المفاجأة الكبرى ٠٠ مفاجأة أول فشـل عسكرى منى به « نابليون » ٠٠ فاذا جيشه العظيم تذروه الرياح فى فيافى روسيا ، ويضطر هو الى أن يعود الى باريس متخفيا ، ذات مسـاء ، وقد بدأ البناء الشـامخ الذى أقامه بعرق الجبين يتصدع ، وشرع أصدقاؤه يتخلون عنه ، بينمـا نهض ملوك أوربا ـ الذين أذلهم ـ يتأهبون للانتقام !

وفى هذه الظروف العصيبة ، تذكر نابليون أن فى فرنسا شخصا اسمه « فوشيه » ، له ماض عريق فى المؤامرات ، وأن هذا الشخص لايؤمن جانبه ٠ فماذا يفعل به ؟ هل يعتقله أو ينفيه أو يقتله ؟!٠٠ وانتهى به التفكير الى أن أفضل حل هو أن يبعده عن فرنسا فى مهمة ظاهرها الرحمة وفى باطنهـا العذاب ، فعينه حاكما لاقليم « الليريا » الجبلى ، شرقى بحر الادرياتيك ٠٠ ولكن « فوشيه » وجد خزانة الاقليم خالية ، وحاميتها الفرنسـية لاتملك مقاومة أى هجوم قد يقـوم به الامبراطور « فرانسوا » ـ صهر نابليون ، وعدوه اللدود ـ فوجد أن من العبث ، بل من الانتحـار ، أن يبقى فيهـا ، وانسحب فى هدوء عائدا الى فرنسا !٠٠ ولـكن « نابليون » لم يكن ليأمن وجود « فوشيه » فى الوقت الذى كان منهمكا فى منـازلة دول أوربا مجتمعة ، فعاد يكلفه بمهمـة أخرى صورية ، اذ أوفده الى « مورا » ـ ملك (نابولى) وزوج شقيقته بولين ـ لكى يهرع الى نجدة الامبراطور فى محنته !

يرفض الوزارة ٠٠ ويهرب من البوليس !

◆ **وتطورت** الحـوادث بعـد ذلك سراعا ، فاستسلمت (باريس) للحلفاء ، ونفى نابليون الى جزيرة (البا) ، وتربع « لويس الثامن عشر » على عرش فرنسـا الجديد ، وتألفت

الحكومة برياسة « تاليران » ـ منافس « فوشيه » القديم ـ الذى أصبح صاحب الكلمة النافذة ٠٠ وحاول « فوشيه » بمختلف الوسائل أن يجد له مكانا فى العهد الجديد الوليد ، ولكن الجميع أهملوه ، ونبذوه تماما !

وفجأة ، تتلقى باريس نبأ مذهلا !٠٠ فقد فر الامبراطور من جزيرة (البا) ، ونزل على الشاطىء الفرنسى ، وبدأ الزحف على العاصمة !٠٠ وأرسل الملك « لويس الثامن عشر » الجيوش تلو الجيوش ، للقبض على الامبراطور الهارب ، ولكنها ـ جميعا ـ كانت تنضم اليه ، حتى ان الجنرال « ناى » الذى وعد بأن يكبله بالاغلال ويأتى به فى « قفص من حديد » ، نسى وعده هذا بمجرد أن وقع بصره على زميله القديم فى الجيش ، وكأنما مسته عصا سحرية ، فانضم بجيشه اليه !

ووصل « نابليون » الى (ليون) ، ودق أبواب (باريس) !٠٠ وتذكر رجال الملك « لويس » فى تلك اللحظة الحرجة ، أن هناك شخصا اسمه « جوزيف فوشيه » ، له ماض حافل فى السياسة والدبلوماسية ، وخبرة لاتبارى فى حفظ الامن والسيطرة على أزمة الامور ، فأرسلوا اليه ليتولى وزارة البوليس !

ولكن « فوشيه » ذا الناب الازرق لم يكن غرا ساذجا بحيث يستجيب ، فى هذه الظروف ، لرغبة أولئك الذين حفيت قدماه لفرط السعى اليهم ، عندما كانت الدنيا مقبلة عليهم ٠ بل انه كان يدرك ، أكثر من أى شخص آخر ، أن أيامهم باتت معدودة ، ولهذا رفض عرضهم بإباء وشمم !٠٠ ودهش أعوان الملك من هذا الرفض ، وخيل اليهم أن فوشيه ، المتآمر العريق ، يريد أن يصيد فى الماء العكر ، فقرروا القبض عليه ٠ ولكنه استطاع أن يغرر برجال البوليس الذين حاصروا منزله ، وهرب خلسة ٠ وضحكت باريس فى هذا اليوم ملء قلبها !٠٠ وان هى الا أيام ، حتى حزم « لويس » حقائبه

وغادر باريس . وفى اليوم الثانى ، دخلها « نابليون » دخول الفاتحين

الجولة الاخيرة .. مع نابليون !

• **وأسرع** فوشيه فقابل « نابليون » ، واختلى به ساعة من الزمان ، خرج على أثرها وزيرا للبوليس !.. والعجيب أنه قبل هذا المنصب على مضض ، اذ كان يؤمل أن يتولى وزارة الخارجية ، ليحل محل « تاليران » ، الذى فر الى (فيينا) ، وراح يؤلب دول أوربا على الامبراطور !.. والاعجب من هذا أن « نابليون » ولاه المنصب على كره منه ، اذ كان رغم اعجابه بعبقريته وكفاءته ، يخشى ألاعيبه وأحابيله ، حتى أنه عين « الدوق رونيجو » ـ عدو « فوشيه » اللدود ـ رئيسا للحرس ، وكلفه بمراقبته والتجسس عليه !

ولكن « نابليون » ـ فى عام ١٨١٥ ـ أصبح امبراطورا بالاسم ـ بعد أن كانت أوربا تركع تحت قدميه ـ اذ تخلى عنه أصدقاؤه القدامى ، وتحالفت ضده الدول .. حتى زوجته « لويز » لم تكلف نفسها عناء الحضور الى (باريس) ، وظلت فى (فيينا) تكرع كؤوس الغرام مع ياورها « نايبرج » الذى تزوجته سرا فيما بعد !.. وأخذ « نابليون » يرسل الوفود الى ملوك أوربا يؤكد لهم رغبته فى السلام وعقد الصلح ، ولكن مندوبيه كانوا يقابلون بالاعتقال والسجن . أما رسل « فوشيه » ـ السياسى الاريب ـ فقد استقبلهم « ولنجتون » و « مترنيخ » و « تاليران » و « دوق أورليان » وقيصر روسيا بحفاوة وحرارة .. فقد كانوا رسل فوشيه وكفى !.. بل لقد أصبح « نابليون » ذاته تحت رحمة « فوشيه » الذى بدأ يلعب أبرع ألعابه وأحبها الى قلبه ، فراح يفاوض ملوك أوربا سرا ، وفى الوقت ذاته يتودد الى الجمهوريين ، ويطمئن الملكيين !.. وعرف « نابليون » أنه يخونه فأقسم أن يأمر بقتله عندما تحين

ساعة النصر ، ولكنه لم يستطع أن يبر بقسمه ، اذ هزمه الحلفاء شر هزيمة فى موقعة « واترلو » .

وعاد نابليون من ميدان القتال ذليلا ، كسيرا ، وحاول أن يقنع مجلس النواب بأن يمنحه سلطات دكتاتورية ، ولكن « فوشيه » أوعز الى « لافاييت » بأن يعارض مطالب « نابليون » ، وانتهى الامر بأن أرغم البرلمان « نابليون » على التنازل عن العرش !

الثعلب يفوز برياسة الحكومة المؤقتة !

◆ **واقترح** « فوشيه » انتخاب حكومة مؤقتة ، تتألف من خمسة أشخاص ، وكان على ثقة من أنه سيكون رئيسا لها . وبالفعل استطاع أن ينحى عن طريقه الى الرياسة كل المزاحمين ، فلم يبق أمامه سوى « كارنو » الذى كان محبوبا لدى مجلس النواب ، والذى حصل على ٣٢٤ صوتا ، فى حين لم يحصل « فوشيه » على أكثر من ٢٩٣ صوتا . ولكن « فوشيه » — مكيافيلى العصر الحديث ! — لم يستسلم بسهولة . **فما ان عقد مجلس الخمسة أول اجتماعاته ، حتى تقدم « فوشيه » بأدب الى « كارنو » ، واقترح عليه تنظيم المجلس . ونظر اليه « كارنو » فى عجب ، وسأله عما يعنى بتنظيم المجلس ، فأجابه بأن المقصود بذلك هو اختيار رئيس المجلس والسكرتير . وقبل أن ينطق « كارنو » ، أردف « فوشيه » بتواضع كاذب : « وقد اخترتك أنا رئيسا ! » .. فلم يسع « كارنو » الا أن يبرهن له على أنه لم يكن أقل منه انكارا للذات ، فقال : « وأنا أعطيك صوتى ! » .. هذا فى الوقت الذى كان فوشيه قد ضمن سرا صوتى عضوين آخرين .. وهكذا أنتخب رئيسا لحكومة فرنسا المؤقتة !**

وبهذه الطريقة أتيح لفوشيه أن يبلغ غايته ، وهو فى السادسة والخمسين من عمره . وبينما خبت نجوم أولئك

الذين كان من حقهم الخلود ـ كميرابو ، ومارا ، وروبسبيير ، ودانتون ـ تألق نجمه هو وارتفع ، بفضل الخطط التى كان يرسمها فى الظلام !٠٠ وباتت آمامه مهمة لاسبيل الى تقدير مدى خطورتها : كان عليـــه أن يحمى دولة مغلوبة ، من أن يعيث فيها الغزاة فسادا ، وكان عليه أن يكبح الجهود المتجهة الى مقاومة لا جدوى من ورائها ، وكان عليه أن يقيم خير نظام للحكم ، وأن يخلق من الفوضى دولة جديدة ، ثابتة الاركان !

وراح يؤدى دوره ببراعة ٠ فقد أخذ يبدى الود لكل فريق : فلأنصار « نابليون » ، راح يحبـــذ رفع ابن الامبراطـور الى عرشـه ٠٠ ولانصار الجمهورية ، راح يؤكد انه لن يرتضى لفرنسا غير الحكم الجمهورى ٠٠ وللحلفاء ، كان يبدى تحمسه لتولى دوق « أورليان » العرش !٠٠ ولكنه ـ فى الواقع ـ كان يسير دفة الامور بحيث يمكن لويس الثامن عشر من ان يعود الى العرش ، ولو ان أحدا لم يدر شيئا عن غايته هذه ، حتى أقرب المقربين اليه

صفقة ٠٠ مع الملك الجديد !

◆ **وأخيرا** ، اضطر الى أن يكشف عن جانب من خطته ، إذ كان عليه أن يفـاوض لويس الثـامن عشر ، أو بالاحرى ان يساومه على الوزارة فى مقابل العرش !٠٠ ورفض « لويس » فى البداية ٠ فهو لم ينس قط ان « فوشيه » كان بين الذين اقترعوا على اعدام آخيه « لويس السادس عشر » ، منذ عشرين عاما ٠٠ .ولم ينس ان « فوشيه » خدم « نابليون » ـ ألد أعداء الملكية ـ عشر سنوات ٠٠ ولم ينس ان الرجل أكل عـلى كل مائدة !٠٠ ولكن بريق العرش لم يلبث ان أعشى عينيه ، فقبل الصفقة !

وعندما دخـل « لويس الثـامن عشر » باريس ، فى ذيل جيوش الحلفـــاء ، كان أول مافعله ان عين « فوشيه » وزيرا

للبوليس !٠٠ وعهد اليه بأن يضع قائمة بأسماء الذين قاوموا الملكية ، فحاول أن يتملص من هذه المهمة ، لانه كان يعرف أن مصير هؤلاء هو الاعدام أو النفى ٠ ولكنه رضخ أخيرا ، ووضع قائمة حوت نحو خمسين اسما من أسماء الرجال الذين صنعوا الثورة الفرنسية وبنوا عظمة فرنسا ٠ وكان خليقا بفوشيه - فى هذا الموقف - أن يستقيل ، قبل أن يخون زملاءه القدامى ٠٠ ولكنه لم يفعل ، بل قدم قائمة الموت هذه - بعد أن وقعها - الى الملك ، ولم يكن ينقصها الا اسم « جوزيف فوشيه » ، دوق « أوترانتو » !

ولم يضن الملك على فوشيه بتكريم آخر ٠ فلما اعتزم وزير البوليس أن يتزوج من الكونتيسة « دى كاستللان » - بعد خمس سنوات من وفاة زوجته - كان الملك أحد الشهود عى وثيقة الزواج !٠٠ وضج النبلاء بالاستنكار : كيف يكون الملك شاهد زواج « قاتل » أخيه ، وكيف يسمح له بأن يتزوج من سيدة أرستقراطية تنتمى الى البلاط الملكى ؟!٠٠ ولكنهم لم يفطنوا الى أن الملك كان مدينا بعرشه لهذا اليعقوبى القديم !

القدر يختتم المهزلة ٠٠ بمأساة !

◆ **ولكن** المجد الذى بنى على النفاق ، والتقلب ، والخيانة ، لم يستطع أن يصمد طويلا ٠٠ اذ ما لبث الملك - وقد استوفى من فوشيه كل غاياته - انأوعز الى « تاليران » أن ينبئه بأن

بقاءه وزيرا للبوليس لم يعد أمرا مرغوبا ٠ وما كان أشد اغتباط « تاليران » بأن يحمل هذه الرسالة الى غريمه القديم !٠٠ وهكذا عين « فوشيه » سفيرا لفرنسا فى (درسدن) بعض الوقت ، ثم عزل من هذا المنصب ، وحرم عليه دخول فرنسا طيلة حياته

وكانت الصدمة قاسية على الثعلب الكبير ، فأطاشت عقله ٠ كيف ينتهى الى هذا المصير ، وهو الذى يطوق بأفضاله أعناق قيصر روسيا ، و « دوق ولينجتن » ، و « مترنيخ » داهية النمسا ، و « برنادوت » صاحب عرش السويد ؟!٠٠ كيف يقدر له أن يغدو لاجئا مبعدا عن وطنه ، وهو الذى أقصى عن فرنسا آلافا من المواطنين ؟٠٠ ولكن صدمة قوية أخرى كانت فى انتظاره ، فقد أفهمه « مترنيخ » ان أقصى مايستطيع ان يسمح له به ، هو ان يستقر فى احدى مدن جنوب النمسا ٠٠ أما (فيينا) ، فقد حرم عليه دخولها !٠٠ وانتقل حزينا الى (براغ) ، ولكنه لم يقابل بحفاوة ، بل أشاح عنه الامراء وعلية القوم !٠٠ وراح يكتب الى لويس الثامن عشر ، فلا يحظى بجواب ٠ وأخذت الصدمات تنهال على رأسه ٠ **ثم أراد القدر أن يقلد الروائيين ، فدبر مأساة يختم بها حياة الرجل الذى أوقع المآسى بالآلاف ٠٠ اذ أوقع زوجته الجميلة ـ التى كانت تصغره بثلاثين عاما ! ـ فى غرام شاب فرنسى من الجمهوريين المبعدين عن فرنسا ٠ وأثارت هذه العلاقة عواصف بين « فوشيه » وزوجته ٠٠ وتلقفتها الصحف الملكية فى فرنسا ، فبنت عليها القصص المثيرة ٠ ثم اكتملت النكبة حين فرت الدوقة مع عشيقها !**

وفى سنه ١٨١٩ ، سمح « مترنيخ » للسياسى المنبوذ بأن يقيم فى (تريستا) ، فعاودته الآمال ، وعاد يحاول الاتصال بعملائه فى فرنسا ، وتدبير الخطط والمؤامرات ٠ ولكن العهد

الذى كانت تفلح فيه مشروعاته كان قد ولى !

وفى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٢٠ ، فاضت روح « جوزيف فوشيه » ، بعد ان كان قد فقد كل شيء .. حتى الشرف !

عندما ترفع الستار..

روائع المسرح العالمي
(التمثيلي..والغنائي)

عزيزي القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد الماضية المسرحيات العالمية الآتية :

• خطايا الحب : لاوسكار وايلد • نزاهة الحكم : جوجول • سلاح المراة : اريستوفان • فولبون : بن جونسون • جيوكندا : دانونزيو • كلام الناس : جوزيه اشيجاراى • مدرسة الفضائح : شيريدان • سيرانو دى برجراك : روستان • لعبة الحب والموت : رومان رولان • مروحة الليدى وندرمير : وايلد • فاوست : جيته • أوديب الملك : سوفوكل • فى سبيل الحب : جون درايدن • وليم تل : شيللر • الام : مكسيم جوركى • الملك يلهو : فيكتور هوجو • الجنس الآلى : كاريل كابيك • الابن الاكبر ، جالسورثى • هرنانى : فيكتور هوجو • ترويض النمرة : شكسبير • الحياة نفاق : لويجى بيراندللو • اغلال الحب : ستيف باسير • المنافق (طرطوف) : موليير • بيت الليل : تييرى مونييه • علموهم الحب : روجيه فرديناند • زوج مثالى : اوسكار وايلد • سالومى : اوسكار وايلد • مدرسة الارامل : جان كوكتو • برهان الحب : جان انوى • لوسيد : بيير كورنى • كيف نقع فى حبائلهن : بروفانس • احزان هان • حلاق اشبيلية

واليوم ، اقدم لك مسرحية رائعة من الادب الهندى

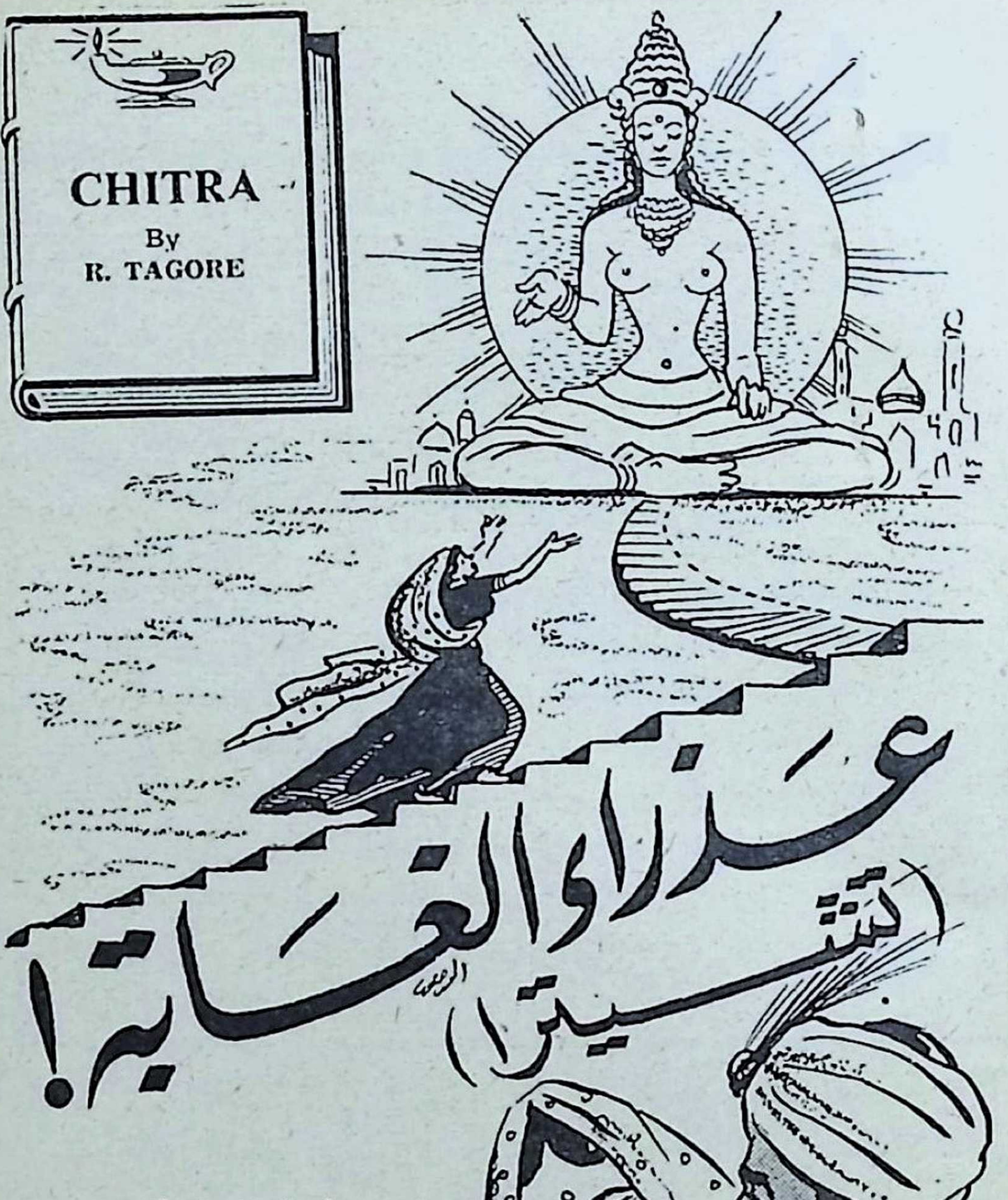

تلخيص : خليل جرجس خليل

مسرحية الربيع !

◆ قدمت لك « مطبوعات كتابى » ، فى عددها الاسبق ، أول قصة هندية طويلة تترجم الى اللغة العربية ، لاديب الهند الاكبر « رابندرانات تاغور » . ويسر « كتابى » أن يقدم لك اليوم لونا آخر من ألوان انتاج هذا العبقرى ، الذى يرفعه الهنود الى مرتبة أنبياء الفكر فى الشرق ، والذى يضعه الغربيون مع حكيم روسيا الاكبر « تولستوى » ، فى مرتبة واحدة !

ولقد كان « تاغور » يتنقل بين ميادين الفكر والادب ، تنقل النحلة بين الزهور . فنظم الشعر ، وكتب القصص القصيرة والروايات الطويلة ، وألف المسرحيات . وكان يستمد موضوعاته من الحقيقة والواقع ، ومن الخيال والاساطير ، على السواء . والمسرحية التى يقدمها لك « كتابى » - فيما يلى - تعتبر مسرحية الربيع بحق . وقد قال « تاغور » عنها : « اعتدت أن أؤلف جميع مسرحياتى فى فصل الشتاء ، لانه فصل الاستجمام عندى .. الا « تشيترا » ، فقد كتبتها فى الربيع ! » .. وقد وضعها فى البداية شعرا بلغة (البنغال) ، ثم ترجمها بقلمه الى الانجليزية

القصة التى استمد منها « تاغور » فكرته

◆ نذر البطل الهندى المحارب « أرجونا » للآلهة أن يظل اثنى عشر عاما أعزب !.. وفيما هو يهيم في الارض ، وصل الى (مانيبور) ، حيث التقى بتشيترا ، ابنة ملك البلاد ، فأعجب بها ، وتقدم الى أبيها طالبا يدها .. واذ ذاك أنبأه الملك ان أحد أجداده القدامى من ملوك (مانيبور) ظل شطرا كبيرا من عمره عقيما ، لاينجب ، فأخذ يتوسل الى الآلهة ، ويقدم القرابين ، راجيا أن يؤتى وريثا .. الى أن أشفق عليه الاله « شيفا » ، فوعده بأن يرزقه ولدا ، على أن لاينجب كل

فرد من سلالة هذا الولد سوى ولد واحد ذكر ، فتقبل « تشيترا فاهانا » ـ الملك ـ هذا الوعد بالرضى ٠٠ وهكذا سارت السلالة ، حتى قدر للاله أن يتنكب وعده ، فرزقه بابنة عاملها كولد ، ونشأها على الرجولة والفروسية والصراع ، لتخلفه فى الحكم ٠

وقال الملك للشاب : « انها الوريث الوحيد لى ، وبغيرها تصبح أسرتى منقرضة ، لذلك فلابد أن يكون الابن الوحيد الذى تنجبه ابنتى ، وريثا لها على عرش الامارة ، وحلقة لاستمرار السلالة ٠ فان شئت ان تتزوج من ابنتى ، فالمهر الوحيد هو ابنكما ! »

ورضى « أرجونا » ، وتزوج من « تشيترا » ٠ وعاش معها فى عاصمة أبيها ٣ سنوات ، حتى اذا أنجبا ولدا ، شعر بأن لابد له ان يتوارى عن هذا الولد ، ليتركه للمستقبل الذى ارتضاه له قبل الزواج من أمه ٠ ومن ثم عانق زوجته ، وقبل ابنه ، وانطلق يواصل أسفاره وهيامه !

وقد أوحت هذه الاسطورة ، وما تضمنته نهايتها من تضحية نبيلة ، بالمسرحية التالية لتاغور :

الفصل الاول

• لم تشعر « تشيترا » ـ ابنة ملك البلاد ـ يوما بأنها أنثى ، حتى التقت بالمحارب البطل « أرجونا » ، الذى أيقظ فى أعماقها أحاسيس غريبة عليها ، فاذا هى تقع فى هواه ، وتكره « رجولتها » ، وترتد الى « الأنوثة » تحاول ان تبهره بها ٠٠ ولكنه لايكترث لها ، بعد اذ نذر نفسه للآلهة !

وفى غمرة حيرتها ، تلتقى « تشيترا » فى الغابة باثنين من الآلهة : « مادانا » اله الحب ، الذى يعرفها بنفسه قائلا : **« أنا المولود الاول فى صميم قلب الخالق الاعظم ٠٠ أسعد حياة الرجال والنساء ، أو أربطهم بروابط الالم ! » ٠٠**

أما زميله ، فيقدم نفسه اليها قائلا : « أنا (فاسانتا) ، ملك الفصول والحياة ٠٠ ان الموت والذبول يحومان حول العالم حتى الفناء ، ولكنى لا أفتأ أتعقبهما وأطردهما ٠٠ اننى الشباب الدائم ! »

وتعرفهما « تشيترا » بنفسـها ، ذاكرة كيف وعـد الاله « شيفا » بأن يمنح كل ملك من أسرتها ابنا واحـدا ، يكون دائما من الذكور ، ليرث الملك ويتولى السـلطان ، ولكن ٠٠ « ولكن الكلمة الالهية لم تغير اتجاه شرارة الحيـاة الكامنة فى رحم أمى ٠٠ فجئت فى صورة امرأة ، وان كانت لى طبيعـة الفتيان الاشداء !٠ وهذا هو السبب الذى جعلنى أرتدى زى الرجال ، وأعيش جاهلة بكافة حيل النسـاء لكسب قلوب المحبين ٠٠ فان يدى اعتادتا حمـل القوس ، ولكنى لم أتعلم فن « كيوبيد » فى الرماية ، حين يسلط السهام من عينيه ! »

مادانا : وهل هذا يحتاج الى علم أو دراسـة ؟٠٠ ان العين تفعل فعلها بغير تعليم ، والمحب يعرف من الذى أصابه بسهمه !

تشيترا : أذكـر اننى كنت أتجول يوما فى الغابة وحدى ، حتى بلغت شاطىء نهر (بورنا) ، فنزلت عن جوادى ، وسحبته بين فرجة فى الغـابة ٠٠ واذا بى أجـدنى فجأة أمام رجـل اضطجع على حشية من الحشائش والاوراق المتسـاقطة ، فكان بوضعه ذاك يعترض طريقى ٠ ونهرته ، آمرة اياه أن يتنحى ، ولكنـه لم يحرك سـاكنا ،

فغمزته ـ فى تحد ـ بسن قوسى ، واذا هـو يقفز منتصـبا بأطرافه الضخمة ، كلسان من لهب ينبعث عـلى حين غرة من كومة من الرماد !٠٠ ولعبت ابتسامة ساخرة على جوانب فمه ، لعل مرجعهـا الى مظهر الفتيان الذى رآنى عليـه ٠ اذ ذاك شعرت ـ لأول مرة فى حيـاتى ! ـ بأننى امرأة ، وبأن أمامى رجلا !

وكان ذلك الرجل هو « أرجونا » ، البطل الذى طالما أعجبت به الفتاة دون أن تراه ٠ وتمضى « تشيترا » فى حديثهـا للالهين : « ورحت أسائل نفسى : أهذا حقا « أرجونا » ، فارس أحلامى العظيم ؟٠٠ أجل !٠٠ ولقـد سمعت منذ زمن كيف نذر للآلهة اثنتى عشرة سنة من عمره يقضيها فى عزوبة !٠٠ ولكم تمنيت منذ صغرى أن أمتشق حـربتى وأنازله ، حتى أبرهن له عـلى مهارتى !٠٠ ولكن ، أواه ياقلبى السـاذج المسكين ٠٠ أين ذهبت خفقاتك ؟٠٠ أو أستطيع أن أعود الى بداية عمرى ، فأبدل من نهجى ، وأخرج عن تنكرى ومكابرتى ، وأنزل عن كل حقـوقى وأبهتى ، لالثم الثرى تحت قدميه ، طلبا لرضاه ؟

« ٠٠ وعندما أفقت من دوامة خيالى وتفكيرى ، كان هـو قد غاب عن ناظرى ٠٠ يا لى من امرأة غبية !٠٠ ما استطعت حتى أن أحييه ٠٠ ولا ان أناشده الصفح عما بدر منى !٠٠ وفى الصباح التـالى ، بادرت فنحيت عنى ثيـاب الرجال ، وأحطت معصمى وقدمى بالأسـاور ، وزينت أذنى بقرطين ، ولففت حزاما حـول خصرى ، وارتديت ثوبا موشى بالخـرز الأحمر ٠ وكان هـذا الملبس الذى لم أعتده يذيبنى حيـاء ، ويصبغ وجنتى بحمرة الخجل ! »

٠٠ وراحت « تشيترا » تبحث عن « أرجونا » حتى عثرت عليـه فى معبد الاله « شيفا » فى جوف الغـابة ٠ ولم تقو

ـ لفرط حيائها ـ على النطق ٠٠ بينما صارحهـا « أرجونا » بما كان من نذره للآلهة ٠٠ واذ ذاك عادت الفتاة الى القصر ، فكسرت قوسها ، وألقت بسهامها فى النار !

ثم تمضى قائلة للالهين : « منذ تلك اللحظة كرهت قوتى ، وذراعى المفتولتين ، وزهدت شكل وتر القوس ٠٠ أيها الحب ! ألست أنت الذى بث فى طبيعتى الترابيـة الفانية ، هـذه الكبرياء الجوفاء ، والزهو بالقوة المماثلة لقوة الرجـل ؟!٠٠ هاقد صاركل مرانى هباء عند قدميك !٠٠ ألا لقننى فنونك !٠ **امنحنى القوة التى تنبعث من الضعف الانثوى الفتاك ، وسطوة السلاح السحرى الذى تلوح به اليد الناعمة وهى عزلاء ! »**

مادانا : سآتيك بالبطـل أرجونا ـ الذى يقهر العـالم ـ أسيرا ، مهزوما أمامك ، لينال من يديك جزاء تمرده !

ولكنها لاتريده مهزوما ، فتقول : « اننى أسعى ـ فى مظهر الفتيان ـ لأقف الى جانبه كصديق حميم : أقود الجياد الجامحة التى تجر مركبته الحربيـة ، وأدبر له فرص الاسـتمتاع بالمطاردة والقنص ، وأقف ـ فى الليل ـ بباب خيمته أحرسها ، وأعاونه فى جميع المهام العظيمة التى ينهض بهـا ، فأنتصف للضعيف ، وأنشر العدل ٠٠ لو اننى فعلت هذا ، فلابد ان يأتى الوقت الذى يلتفت فيه « أرجونا » الى ، ويناجى نفسه مأخوذا : « أى فتى هـذا ؟! » ٠٠ لست أنا المرأة التى تجتر همومها فى الوحدة القاتلة ، ترويها بالدمع المنهمر فى الليل ، وتغلفها بالصبر المصطنع والابتسامة الخادعة فى النهـار ٠ ولكن هذا ـ للأسف ! ـ عمل طويل ، وبرنامج يستنفد العمر كله ٠ لذلك جئت الى بابك ، يا اله الحب القـاهر ، واليك ، أيها المولى « فاسانتا » ـ اله الفصـول والشـباب الدائم ـ لتخلصا جسدى الصغير من قسمته غير العـادلة التى قدرت له ، ومن حظه الضئيل من الجمال والجاذبية !٠٠ اجعـلانى

آية من آيات الجمال ليوم واحد ، وسأتولى بنفسى أمور مابعد ذلك من أيام ! »

ويهبها الالهان ماتطلب ٠٠ « لا ليوم واحد لا غناء فيه ، بل لعام كامل ، تبدين خلاله فى ربيع دائم ! »

الفصل الثانى

◆ **ويحقق** الالهان وعدهما ، فتظهر « تشيترا » لارجونا فى الغابة . فى صورة امرأة مكتملة الحسن والبهاء !٠٠ وفى معبد « شيفا » ، يركع « أرجونا » أمام الاله يناجيه ويبثه لوعته :

أرجونا : لقد خيل الى أن قلب الأرض قد رقص طربا تحت قدميها العاريتين ٠ بل خيل الى أن الغـلائل الرقيقة ، التى تحتضن جسدها المرمرى ، تكاد تذوب فى الهـواء لفرط النشوه ، كما يذوب ضباب الفجر الذهبى فى دفء الخيوط الوضاءه المنسابة من المشرق !٠٠ وانحنت حوريتى تحدق فى مرآة البحيرة اللامعة ، فرأت هالة وجهها ٠٠ ثم نصبت قامتها الفارعة ، ووقفت سـاكنة ٠ وما لبثت ان ٠٠ ان ابتسمت ٠ أأقول ابتسمت ؟٠٠ لم لا أقـول افتر ثغر القمر ؟!٠٠ ومدت ذراعهـا اليسرى ـ فى غير اكتراث ـ فأرسلت شـعرها ، وتركته ينسـاب الى الأرض عند قدميهـا ٠ ثم كشفت عن جيدها ، وتأملت ذراعيها وتناسقهما البديع ٠٠ وأحنت رأسها تتأمل شبابها المتفجر حيوية وجاذبية ، وجسمها البض الذى يشبه زهرة ريانة يانعة ، فبدت جـذلانة ، تتألق بالفتنة ، وتزهو بالجمال ٠ ثم غابت عن عينى ، كأمسية حلوة غيبهـا الليل فى أطوائه الكثيفة !٠٠ ان الواقعة كلها ـ فيما يتراءى لى ـ ليست الا وهما ، أو حلما من أحلام اليقظة ، صوره لى الخيال ، أو هى وقدة الرغبة تمثلت فى صورة طيف أو حسناء من دم ولحم ٠٠ ثم ذابت ، وتلاشت !

وتدخل « تشيترا » المعبد فى ثياب النساء ، فترحب به - بزعم أنها من كاهنات المعبد ، متجاهلة انها كانت تعرفه ، لتستدرجه الى حبها - وتسأله كيف تكرمه ، فيقول :

أرجونا : ان اكتحال العينين بمرآك هو فى الواقع أقصى حدود الضيافة والكرم !.. ترى أى نذر هذا الذى يحبسك فى هذ المعبد المنعزل ، فيحرم الناس جميعا من اجتلاء هذا الجمال الرائع ؟!

تشيترا : اننى أطوى بين جوانحى أمنية لا أبوح بها ، وأنا أرفع كل يوم دعواتى للاله « شيفا » ، عسى ان يحققها لى !

أرجونا : عجبا !.. ما الذى يمكن ان تتمنيه على الاله ، وأنت أمنية العالم أجمع ؟!.. لقد حملتنى قدماى من أقصى قمم الشرق - حيث تمد شمس الصباح قدميها الفاتنتين - الى أقصى بقعة تغرب عندها الشمس ، وصادفت كل مافى الكون من نفيس ، وجميل .. فهاك خبرتى وخدمتى رهن اشارتك ! يكفى ان تذكرى لى عم تبحثين ، أو عمن تسألين ؟

تشيترا : ان من أبحث عنه معروف للجميع .. انه سليل أعرق البيوت الملكية .. انه بطل يعلو على جميع الأبطال !

أرجونا : لاتجودى ياسيدتى بمثل هذا الجمال النادر ، الذى تنفردين به ، من أجل اشاعة زائفة لاتستند الى الحقيقة ! ان الشهرة الزائفة تنتقل من لسان الى لسان ، كضباب الفجر الذى يغشى الكون قبل ان تبدده اشراقة الشمس

ويلحف عليها ، فلا تلبث أن تصارحه - فى تخابث - بأن الحبيب الذى تنشده هو : « أرجونا الذى أخضع الدنيا ! ولقد التقطت هذا الاسم الخالد من أفواه الجمع الحاشد ، وأخفيته فى فؤادى الانثوى بحرص ! » .. فيصارحها بدوره بأنه هو « أرجونا ، الضيف الذى يطلب زاد الحب عند بابك ! »

تشيترا : اذن ، فليس صحيحا ان « ارجونا » قطع على نفسه عهدا بأن يظل أعزب مدى اثنتى عشرة سنة ؟

أرجونا : ولكنك حللتنى الآن من هذا العهد ، كما يحل القمر الليل من أن تلفه الظلمة بأستارها الكثيفة الثقيلة !

تشيترا : ياللعار ! ٠٠ ماذا رأيت فى حتى أصبحت تغالط نفسك ؟ ٠٠ عمن تبحث وراء هاتين العينين السوداوين ، وهاتين الذراعين البيضاوين كاللبن ، حتى تقدم لى الثمن على حساب عهدك الذى قطعته على نفسك ؟٠٠ ليس هذا لشخصى ذاته ، فيما أعتقد ٠ ويقينا ليس هذا هو الحب ، ولا يمكن أن يكون هذا هو الاخلاص الحقيقى من الرجل للمرأة ! ٠٠ **وأسفاه ، ان هذا المظهر الخارجي ـ هذا الهيكل ـ قد يضلل الانسان ، فلا يستطيع أن يرى الضوء المنبعث من الروح الخالد !**٠٠ لقد أدركت الآن يا «أرجونا» ان شهرتك وبطولتك وعظمتك ليست سوى مظاهر زائفة !

أرجونا : اننى لاعلم كم هى عبث هذه الشهرة ٠ هذه البطولة المتشامخة ! ٠٠ كل شىء يبدو لى الآن كحلم ٠٠ انت وحدك الحقيقة ! ٠٠ انت غاية كل مطلوب ، ونهاية كل جهد٠٠ انت المرأة الوحيدة فى هذه الدنيا !

وتشتد الحسرة بتشيترا ، اذ ترى أنه فتن بالجمال الموقوت الذى خلعه عليها الاله ليمكنها من اجتذاب « أرجونا » ٠٠ ولكن مقاومتها لاتلبث أن تفتر ، فهى تناجى نفسها قائلة : « هل أظل أواجه منه هذه النظرات الحائرة وهل أظل أشعر بقلبه قلقا يحاول أن يحطم الضلوع ويجهر بالرغبة المتقدة التى يخفيها في أعماقه ، ثم أنحيه عنى مع ذلك ؟٠٠ لا ، لايمكن ! »

واذ ترى الاله « مادانا » تهتف به : « **اواه ، يا اله الحب!**٠٠ **أى لهيب مروع هذا الذى نفخته فى ٠٠ اننى أحترق ٠٠ أحترق ، وأحرق كل ما ألمسه !** »

وتروى له كيف التقت بحبيبها « أرجونا » ، ثم تقول .
« ان حياتى الماضية كلها ، بل تاريخ وجودى كله – قبل اليوم – غدا فى طيات النسيان ! ٠٠ **لم أعد أحس بغير شعور الزهرة الحالمة التى تطل على الدنيا بعينى جمالها ، وليس لها سوى سويعات تصغى فيها الى مناجاة الثناء والاطراء ، وتمتمات الاعجاب ، قبل ان تخفض عينيها ، وتهبط من عليائها ، وتحنى رأسها فوق صدرها ، ثم تسلم أنفاسها الاخيرة ، وتتهالك فى التراب لتستسلم للعدم بلا صراخ ولا ضوضاء » !** ٠٠ وتذكر أنها كانت مستلقية على الحشائش – فى الغابة – وقد غشيتها اغفاءة ٠٠ « وفجأة ، أحسست بنظرة مشبوبة ، كأنها أصابع من لهب تمس جسمى ، فاستيقظت ٠٠ واذا بى أرى ذاك الناسك واقفا أمامى ٠ وكان القمر قد انحدر نحو الغرب ، وتسللت خيوطه بين أوراق الشجر ، لتشهد هذه الطلعة المهيبة ، الباهرة ، التى تتمثل فى شكل انسان ! ٠٠ وخيل الى – وأنا أفتح عينى – أننى قد مت ، وان كل معالم الحياة قد ماتت معى ، وتحولت الى حلم ولد لتوه فى أرض عجيبة تلفها الظلال ! ٠٠ وهتف : «ياحبيبتى الغالية!» ٠٠

فاستجمعت حياتى فى أنفاسى المبهورة ، واندفعت ملبيـة النداء ٠ ومددت ذراعى نحوه ٠ وأخفى القمر وجهه خلف الاشجار ، فتوارى كل شىء فى كنف الظلام ، وامتزجت السماء والارض ، والزمان والمكان ،

والسرور والالم،والموت والحياة٠٠امتزجت كلهافى نشوة لايحيط بها الوصف ! » ٠٠ وعندما استيقظت فى الصباح ، تذكرت كل شىء ، فنأت عنه ، وحاولت أن تبكى ٠ ولكن الدموع استعصت عليها !

وهتف اله الحب : « مسكينة أنت ، يا ابنة الفناء !٠ اننى سرقت لك من المخزن الالهى خمر السماء المعتقة ، فأترعت منها ليلة من لياليك على الارض،وأسلمتك اياها لتشربى ٠٠ فاذابك، مع ذلك ، تصرخين وتجأرين بالشكوى ! »

تشيترا (فى مرارة) : انما قدمت لى الظل دون الاصل ٠٠ السراب لا الشراب !٠٠ انما لوحت لى ببداية الحب ، وطرحتنى فى أتونه ٠ أما الحب ذاته ، فقد طار من قبضتى !٠٠ هذا الجمال المستعار الذى خلعته على ، سيذهب عنى ، ويأخذ معه الذكرى الوحيدة لهذا اللقاء السعيد !٠٠ ولقد تبينت – حين استيقظت فى الصباح – ان جسمى هو غريمى الاول٠٠فمن أبغض الامور الى نفسى أن أحمل هذه الصورة كل يوم ، وأقدمها لحبيبى ، وأن أراه يقبل شكلى دون نفسى ٠٠ ألا استرد هبتك، أيها الاله ! »

ولكن الاله يذكرها بأن من القسوة أن يسترد الجمال الذى خلعه عليها ، فيحرم حبيبها من الكأس ، ولما يكد يتذوق منها أولى قطرات السعادة ٠ وهنا يتدخل الاله « فاسانتا » وينصح « تشيترا » بأن تتريث الى أن يحين الخريف ٠٠ « حين ينقضى فصل الازهار ، ويأتى دور جنى الثمار ، وينتصر اللباب على القشور !٠٠ فلسوف يحين الوقت الذى يذبل فيه ما للجسم من زهرات يانعة ، فيسر «أرجونا» عندما يرى الثمار الحقيقية ، التى تبدين بها اذ ذاك ! »

الفصل الثالث

* **ويدعوها** « أرجونا » الى الزواج ٠٠ الى أن تشاطره بيتا

واحدا ، فتقول : « البيت ؟!٠٠ ولكن هذا الحب ليس مكانه البيت !٠٠ **خذ الى البيت ماهو دائم ، ثابت ، قوى ، ودع الزهرة البرية الصغيرة حيث ولدت !٠٠ دعها فى ثوب جمالها ، تواجه مصيرها ، وتموت فى نهاية الايام بين سائر البراعم الذابلة والاوراق الجافة !٠٠** حسبك أن تأخذ بحظ مما يتاح لك ٠٠ أغنم ، وانعم ، واغترف منه حتى ينفد ، ولكن ، لا تسل لماذا نفد ، ولا تأس لانه انتهى !٠٠ خذ من ليلتك كفايتك للصباح ، فى غير اتخام ٠٠ ويكفى أن تتزود فى يومك بالزاد الذى لايفيض عن حاجتك ، حتى لاينتابك الخوف ، أو الندم ، أو الجشع ، وحتى لاتفسد سعادة الحاضر وهناءة الساعة التى أنت فيها !٠٠ حبيبى ! دع المخاوف والافكار تغرق فى لقاء عارم بين شفاهنا الظمأى ! »

على أن الحيرة لاتلبث أن تستبد بأرجونا ٠٠ ان حبه يوشك أن يشغله عن واجباته ، كمحارب وناسك !٠٠ وهو فى غمرة السرور ، يتلفت بحثا عن شىء يضمن له بقاء الحب والنشوة ، فلا يجد ٠ ويعود الى الالحاح على « تشميترا » لتقبل الزواج منه ، لانه والقلق يحتوى نفسه لايرى الامان الا فى « البيت » ٠٠ فتسأله : « ولم هذا القلق ؟ ٠٠ هل انقضت ساعات السرور التى تجل عن الوصف ؟ » ٠٠ فيقول : « انما يخيل الى دائما اننى أكاد أفقدك ٠٠ قلبى غير مطمئن ، وعقلى لايعرف السلام ! ٠٠ احيطى نفسك بالسياج الذى يحمل الاسم والبيت والاهل !٠٠ هبينى شيئا أتشبث به ٠٠ شيئا يمكن أن يدوم أكثر مما يدوم السرور العارض ، ويقوى على البقاء تحت ضغط المتاعب والتجارب ! »

ولكنها تتهرب من الزواج ، خشية أن يزول جمالها المستعار فى نهاية العام ، فتقول له : « ان العام لم يبلغ نهايته بعد ، ومع ذلك فانى أرى أنك بدأت تشكو ! ٠٠ هل أدركت الآن

أن حكمة السماء هى التى اقتضت أن يكون عمر الزهور قصيراً! ان أيام الحب معدودة ، فلا تدخرها ، وانما أعصر الجنى ، واجمع الشهد فى أوانه ، فان المخاوف لن تدع قلبك يطمئن أو يهدأ ! »

وتحين الليلة الاخيرة فى عمر منحة الالهين .. الليلة الاخيرة فى عمر الجمال ، فتتوسل « تشيترا » الى «مادانا» و «فاسانتا» قائلة : « عندما تأتى الساعة الاخيرة ، فى هذه الليلة ، فاجعلا جمالى يبدو فى أبهى صوره .. كما يبدو الشعاع فى آخر خفقاته ! »

الفصل الرابع

◆ **وفى** تلك الاثناء ، تتعرض البلاد لنذر اغارة اللصوص من المرتفعات الشمالية ، فيدب الذعر فى القلوب . ويسأل « ارجونا » القوم الخائفين : « أليس لديكم فى هذه المملكة حارس يحميها ؟ » .. ويواتيه الجواب بأن الاميرة « تشيترا » كانت تلقى الذعر فى قلب كل من يفكر فى العدوان ، ولكنها غابت عن المملكة فى سياحة ، فيقول : « أتريدون أن تقولوا أن حارس المملكة .. امرأة !؟ » .. فيقولون : « أجل .. هى أبونا وأمنا ! »

وما أن ينصرفوا ، حتى تقبل « تشيترا » ، فيقول لها أرجونا: «ترى أى نوع من النساء يمكن أن تكونه تلك الاميرة تشيترا ؟» .. وتجيب بأنها ليست جميلة ، ولكنها ببراعتها تستطيع أن تصيب أى هدف ، عدا قلب البطل « ارجونا » ، فيقول لها : « كأنى بقلبها يحمل رقة الانوثة ، رغم انها كأشجع الرجال فى الجرأة والبطولة ! » .. فتقول : « وهذا سر شقائها !.. **ان المرأة حين تكون مجرد امرأة .. حين تنطلق على سجيتها الانثوية ، تكون سعيدة !.. ماذا يجدى المرأة أن تكون على درجة عظيمة من العلم ، او على قمة الانتصارات والمغانم فى**

ميدان الحرب والفروسية ؟! ٠٠ لو انك رأيت « تشيترا » وهى فى ساحة معبد الاله « شيفا » ، أمس ، لمررت بها مستنكفا أن تعيرها أتفه التفاتة ٠٠ ولكن ، نبئنى ٠٠ هل زهدت جمال المرأة الماثلة أمامك ، فأخذت تتطلع الى مافى تلك المرأة الاخرى من رجولة ؟! »

وتحاول أن تجتذبه الى جلسة غرامية فى الغابة ، ولكنه يعتذر متعللا بقرب هجوم اللصوص ، فتطمئنه الى أن «تشيترا» قد بثت رجالها لحراسة الحدود ، ولكن « أرجونا » يصر على الذهاب للقتال ، فتصيح : « اذهب ، اذن ٠٠ اذهب مادمت تشعر أنك قد ارتويت وفاضت بك الكأس ٠٠ أما اذا لم تكن قد بلغت هذا الحد ، فاذكر أن ربة السرور سريعة الغضب ! » ٠٠ واذ تتبين ان قلقه يرجع الى أنه يفكر فى « تشيترا » ، تقول له : « وما الذى أوتيته تلك التعسة ؟ ٠٠ إن ميزاتها بالذات أشبه بجدران السجن ، تحبس قلبها الانثوى فى زنزانة خاوية من الحسن ! انها محرومة من الجمال ، وما أشبهها بروح صباح كئيب ، تقتعد ذروة جبل صخرى ، وقد غامت السحب الداكنة فحجبت عنها كل ضياء !٠٠ ولا تسل عن سيرة حياتها، فهى ليست مما يطيب لاذن رجل ! » ٠٠ ولكنه يقول مشوقا الى أن يعرف عنها كل شىء : « اننى كالمسافر الذى وصل الى مدينة غريبة عنه،فى منتصف ذات ليلة،فاذا القباب،والابراج ، والاشجار فى الحدائق ، تبدو للعين باهتة ٠٠ وخرير مياه البحر يتناهى الى أذنيه خلال السكينة التى ترافق النعاس ، وكأنه أنين مبهم !٠٠ فلا جرم اذا أخذ هذا الغريب يتطلع الى انبلاج الصبح بصبر نافد ، ليتكشف أمام عينيه كل شىء !٠٠ أواه !٠٠ **هلا حدثتنى عن أمرها ؟ لشد مايخيل لى اننى أراها٠٠ أبصرها بعين الخيال ، على صهوة جواد ابيض ، تمسك العنان بيسراها ، والقوس المظفر بيمناها ، وتمضى ـ كربة النصر ـ**

تهب كل من حولها أسعد الامانى ! ٠٠ ذراعاها جميلتان ، لا لانهما تزدانان بالحلى ، وانما لانهما تفيضان بالقوة ! »

ثم ينسى نفسه ، فيروح يناجى «تشيترا» ، البطلة الساحرة٠ واذ ذاك تقول له « تشيترا » ، الماثلة أمامه فى جمالها المستعار: « أصدقنى القول يا أرجونا ! ٠٠ هل تحتمل المفاجأة ، اذا أنا استطعت ـ فى هذه اللحظة ـ أن أنفض عن جسمى بمعجزة ما هذه الفتنة الرقيقة ؟ ٠٠ واذا أنا وقفت أمامك شامخة ، قوية ، مطهرة من الضعف النسوى ، فهل أروق فى عينى البطل ؟ »

وتتوزعه الحيرة فيقول: « أخال أننى لا أعرفك على حقيقتك٠ لكأنى بك ربة تتخفى وراء صورة ذهبية! ٠٠ فمن خلال نظراتك العميقة الحزينة ، وكلماتك الحافلة بمختلف المعانى ، والزاخرة بالسخرية ، ألمح بصيصا يكشف عن محاولة مترددة ، لافشاء سر النعمة العظيمة التى يرفل فيها جسدك هذا ، وللكشف عن نار مطهرة من الالم تشتعل خلف ستر رقيق من البسمات ! ٠٠ ان التخيل هو أول مظاهر الحقيقة ٠٠ فان الحقيقة تسعى الى حبيبها متنكرة ، ثم لايلبث أن يأتى الوقت الذى تتخلى فيه عن زخرفها ، فتقف مسربلة بالكرامة والجلالة المحردين ! ٠٠ لكم أشقى فى اقتناصك أيتها الحقيقة العارية » ٠٠ ويجزع أرجونا عندما يراها تدفن وجهها فى راحتيها باكية ، فيأخذ فى التسرية عنها

الفصل الخامس

◆ **ولكن** ساعة استرداد الآلهة منحتها لاتلبث أن تحين ٠٠ وتقف « تشيترا » أمام « أرجونا » متدثرة فى عباءة ، فتقول له : « هل نضب المعين الى آخر قطرة فيه ؟ ٠٠ أهذه هى النهاية حقا ؟ ٠٠ لا ، بل سيبقى ـ بعد انتهاء كل شىء ـ أمر جوهرى ، هو القربان الاخير الذى أضعه عند قدميك ! ٠٠ لقد أحضرت من رياض الفردوس زهرآت رائعة الجمال ، لانظير لها ،

لاقدمها قربانا أتقرب به اليك يا اله قلبى ، فاذا كنت قد أتممت شعائرى ، واذا كانت زهراتى قد ذبلت ، فدعنى أقذف بهـــا بعيدا !» ٠٠ وتخلع العباءة عنها، فتتكشف فى صورتها الحقيقية، وزيها القديم ، وتقول « انظـر ! ٠٠ لست جميـلة كالزهرات التى كنت أقدمها فى تعبدى لك ٠٠ ان نصيبى من العيـوب والدمامة كبير ٠٠ اننى رحالة فى طريق طويل لاحدود له : ثيابى قذرة ، وقدماى تدميهما الاشواك ، فكيف أستطيـع أن أحتفظ بجمال الزهرة النظيفة ، اليانعة ؟٠٠ **ان المنحـة التى أحملها اليك ـ مزهوة ـ هى : « قلب امرأة » !٠٠ هنـا ، فى هذا القلب تتجمع كل الافراح وكل الآلام ، وكل الآمال وكـل المخاوف ، وكل الخجل والحياة اللذين يخامران فتاة خلقت من تراب ! ٠٠ هنا يهب الحب مناضلا فى سـبيل حياة باقيـة خالدة ٠٠ هنا تكمن الصورة الحقيقية للانسـان الحقيقى ٠٠ صورة قد تكون ناقصة،ولكنها نبيلة ، رائعة ، لانها صادقة!٠٠ واذا كان نفع الزهرة قد انتهى ، فتقبل ياسيدى هذا الانسان الماثل أمامك،خادما لك على مدى الايام !٠٠ أنا تشيترا!٠٠ لقد منحتنى الآلهة أعظم فتنة تتاح لفتاة من بنى البشر ، لعام واحد ، فأثقلت قلب بطلى بهذا المظهر الخادع ٠ أما الآن ، فلم أعد تلك المرأة ٠٠ أنا « تشيترا » !٠٠** لست ربة تعبد ، ولست أيضا شيئا يرثى له ، وينحى جانبا فى غير احتفال ، كفضلات المائدة٠ فاذا سمحت لى بأن أشاركك حمل الاعباء الجسام التى تواجهك فى حياتك ، فلن تلبث أن تعرفنى على حقيقتى ٠ أما اذا نأيت عنى لواجباتك ، وجاء الجنين الذى أحس به فى أحشـائى ، ذكرا ، فسأعلمه بنفسى ، وأدربه ، حتى أجعل منه « أرجونا » آخر ، ثم أرسله اليك اذا آن الاوان ٠ واذ ذاك ، ستعرفنى فى النهاية على حقيقتى ٠ أما اليوم ، فكل ما أملك أن أقدمه اليك ، هو : « تشيترا » ، ابنة الملك ! »

ويندفع اليها « ارجونا » هاتفـا : « ياحبيبتى آ٠٠ لقـد اكتملت حياتى » !٠٠ وبينما يتعانق الحبيبان ، تسدل الستار

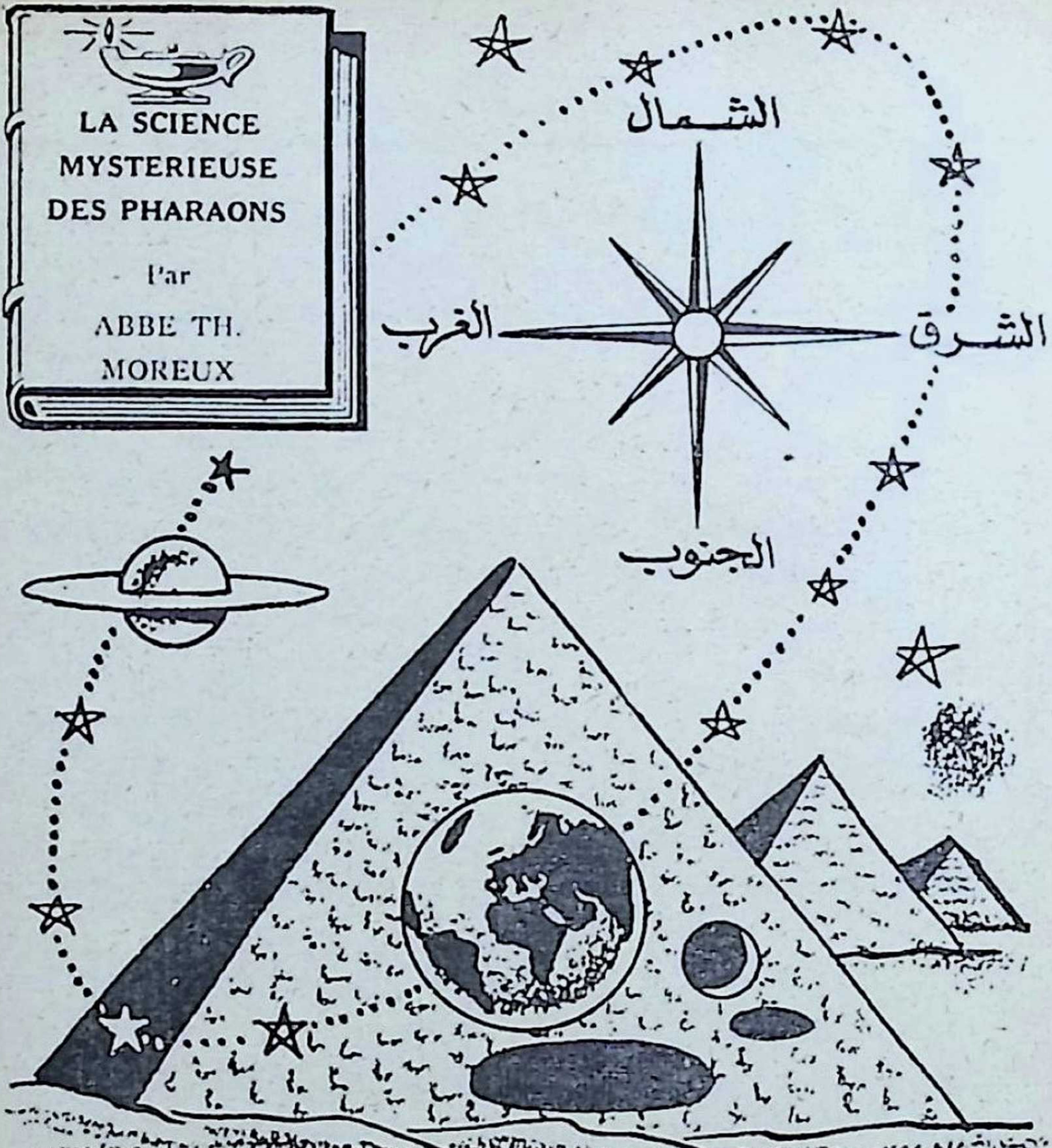

خفايا العلوم الفرعونية

الكتاب الذى يكشف أسرار بناء الأهرام !

للأب والعالم الأثرى "ت . مورو"

تلخيص : أنطون العبيدى

الهرم الاكبر يرد على افتراء الصهيونية !

• ذهب بعض علماء الآثار الى أن الهرم الاكبر شيد قبل مولد المسيح بأربعة آلاف عام ، فى حين انهم حددوا عهد « مينا » - أول ملوك الاسرة الاولى الفرعونية - بحوالى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، مع ان « خوفو » جاء بعده بنحو ١٢٠٠ سنة ٠٠ فما هو التاريخ الحقيقى لبناء الهرم ؟٠٠ من العجيب حقا ، ان الهرم الاكبر ذاته هو الذى حدد هذا التاريخ ، متعاونا مع النجوم وعلم الفلك !٠٠ وهذا ما ستقراه فى الحلقة الثانية من هذا الكتاب الرائع - « خفايا العلوم الفرعونية » - الذى وضعه الاب « ت ٠ مورو » ، مدير مرصد (بورج) فى فرنسا ، والذى قرأت الحلقة الاولى منه فى العدد الماضى من « كتابى » ٠ ولسوف تدرك من ذلك التاريخ ، أن الهرم نفسه يرد على الفرية الصهيونية ، التى دست فى فيلم « وادى الملوك » الامريكى ، لتوحى بأن واضع تصميم الهرم كان مهندسا من بنى اسرائيل !!

مشكلة المشاكل ٠٠ حلها فى الهرم الاكبر !

• **ان** تقدير المسافة بين الارض والشمس تقديرا دقيقا ، هو أم المسائل التى يعنى بها علم الفلك الحديث ٠ اذ تتوقف عليها معرفة حقيقة أبعاد الكون كله ٠ فالواقع أن البعد بين الارض والشمس يمثل وحدة القياس التى يستخدمها الفلكيون فى هذا الصدد ، ومن ثم فان أى خطأ فى تقدير هذه الوحدة يؤثر فى تحديد المسافة التى تفصلنا عن كل كوكب فى مجموعتنا الشمسية - وفى الافلاك الاخرى القريبة - كما تؤثر فى حساب كتل المادة التى تشتمل عليها الاجرام السماوية ٠ ويستند حل هذه المسألة - فى الواقع - الى تحديد انحراف الشمس ، أى تحديد زاوية الرأس فى مثلث قاعدته قطر الارض ،

ورأسه فى مركز الشمس . وقد يبدو من السهل تحديد زاوية كهذه . اذا نحن عينا قطرا أرضيا قسنا طوله بدقة تامـة ، ثم أوقفنا مراقبا عند كل من طرفيه . فاذا قدر لهذين المراقبين أن يبصرا مركز الشمس فى وقت واحد ، استطاع كل منهما أن يحدد — على حدة — مقدار زاويتى القاعدة على الارض ، بالاعتماد على مبادىء حساب المثلثات ، ومن ثم يسهل حساب الزاوية الثالثة ، وهى زاوية الرأس . ونجد أن هـذه الزاوية تقرب — فى الغالب — من تسع درجات . ومعنى هذا أن قاعدة المثلث صغيرة جدا بالنسبة الى ارتفاعه ، فهى تتراوح بين جزء من ١١٠٠٠ ، وجزء من ١٢٠٠٠ من الارتفاع . وهذا التراوح يؤدى الى فوارق كبيرة فى علم الفلك .. فان أتفه فرق فى الحسابات الفلكية — مهما تكن ضآلته — يبعدنا كثيرا عن التقدير الصحيح ، ومثال ذلك ان عشر الثانية فى حساب الزاوية يعطينا عند حساب المسافة نتيجة تقل أو تزيد عن التقدير الصحيح بواحد فى المائة . وقد ظهر من محاولة تقدير بعد الشمس ، ان خطأ قدره نصف من الثانية يحدث فرقا فى المسافة قدره ١٠٠٠ كيلو متر !

من هنا نستطيع أن ندرك كيف أن تقدير بعد الشمس عن الارض كان مشكلة المشكلات لدى الفلكيين منذ القدم . ولقد استخدمت طريقة القياس المباشر — التى شرحناها من قبل — لاول مرة فى باريس ، فى سنة ١٦٧٢ ، فقدر « ريشيه » و « كاسينى » أن بعد الشمس عن الارض يصل الى ١٣٨ مليونا من الكيلومترات . ولكن فلكيا آخر — هو « فلا مستيد » — قدر المسافة بمائة وثلاثين مليونا من الكيلومترات . ثم تبين « هالى » — فى سنة ١٦٧٦ — أن كوكبى « الزهرة » و « المريخ » يمران من وقت لآخر بين الارض والشمس ، فينعكس ظل الواحد منهما على قرص الشمس ، وبذلك يهيىء موقعا للقياس الفلكى . فلما مر « المريخ » بين الارض والشمس فى سنة ١٦٧٧ ، بادر

« هالى » الى استغلال الفرصة ، وحصل على نتيجة جعلت الامل يداعبه فى امكان الوصول الى طريقة أدق ، لتستخدم عند مرور « الزهراء » بين الشمس والارض فى سنتى ١٧٦١ و ١٧٦٩ . وبالفعل ، لم تكد سنة ١٧٦١ تقترب ، حتى اتخذ الفلكيون عدتهم لاستخدام طريقة « هالى » ، وانتشروا فى بقاع الارض ، ليرصدوا الشمس ويقدروا المسافة المطلوبة . . وكذلك فعلوا فى سنة ١٧٦٩ . ولكن نتائج العمليات جعلت الجميع يدركون أن المسألة لم تتقدم خطوة واحدة . . فقد كان أقصى ماوصلوا اليه هو أن البعد المنشود يتراوح بين ١٧٠ مليونا و ١٤٠ مليونا من الكيلومترات !

وابتكرت طرق أخرى بعد ذلك ، جربت عند مرور «الزهراء» فى سنة ١٨٧٤ ، فلم يسع الباحثون الا الاعتراف – بعد اجرائها – بأن المسألة ظلت على ما كانت عليه ، وان كل مايقال عن البعد بين الشمس والارض ، هو انه جد قريب من ٠٠٠ر٦٠٠ر١٤٨ كيلو متر ، مع احتمال وجود فرق يقدربحوالى ٠٠٠ر٥٠٠ر٢ كيلو متر بين الزيادة والنقصان ! . . فلما كانت سنة ١٩٠٠ ، اشتركت ثمانى عشرة حملة فى تقدير البعد المنشود ، بالاستعانة بكوكب « مارس » . . وأمكن اذ ذاك الوصول الى أقرب حل للصواب . والجميع يقرون اليوم بأن البعد بين الشمس والارض يبلغ ٠٠٠ر٤٠٠ر١٤٩ من الكيلو مترات ، مع احتمال وجود زيادة أو نقص يقرب من ٠٠٠ر٧٠ كيلو متر فقط ، أو مايوازى عشرة أمثال نصف قطر الكرة الارضية

والآن : لنضرب ارتفاع الهرم الاكبر فى مليون ، نجدالنتيجة ٠٠٠ر٢٠٨ر١٤٨ . . ألا ترى أن هذا الرقم يمثل المسافة بين الشمس والارض بالكيلومترات ، بتقريب يتجاوز فى دقته الارقام التى كانمعترفا بها رسميا قبل سنة ١٨٦٠ ؟! . . أليس عجيبا أن نرى هذه المشكلة التى حيرت العلماء خلال أجيال

وأجيال ، وكبدتهم الكثير من التضحيات والجهود ، ممثلة فى الهرم الذى أنشىء منذ أكثر من ٢٥ قرنا من الزمان ؟!

على ان الظاهر ان الفلكيين المصريين وصلوا الى أكثر من هذا . فلو أننا ضربنا البوصة الهرمية (وتساوى ٢٥ر٤٢٦٤ من المليمترات) فى مائة مليار ، لحصلنا على طول المسافة التى تقطعها الارض حول الشمس فى يوم كامل ـ أى ٢٤ ساعة ـ مقربة الى أبعد ماتسمح به وحدات قياسنا العصرية !٠٠ وهذا الرقم من مضاعفات ٣ر١٤١٦ ، وهو الرقم الغامض الذى يرمز اليه في العلوم الرياضية بالحرف (ط) ، ويلعب دورا بالغ الاهمية فيها ٠٠ ويمثل النسبة بين محيط الدائرة ونصف قطرها !

ان من التجنى أن نقول ان كل هذه مصادفات ، لاسيما اذا ماعرفنا ان سرداب مدخل الهرم الاكبر كان مواجها للنجم القطبى ، فى العصر الذى كان من الميسور فيه متابعة هذا النجم فى أى وقت من النهار !

ولا نملك بعد كل هذا سوى أن ندرك أن الفراعنة كانوا على قسط وافر من العلوم ، ومن الدراية بحقائق كان علماؤهم ـ وجلهم اذ ذاك من الكهنة ـ يحتفظون بها كأسرار غامضة ، وقد ضمنوها الهرم الاكبر ، فى قالب رقمى ، لكى تتكشف يوما للابصار، مقدمة الحلول الصائبة للمسائل التى حيرت الانسانية أجيالا وأجيالا !!

حتى السنوات الكبيسة ٠٠ عرفها القدماء !

• **يحلو** لانصار التفكير القائم على العلم وحده ، أن يجزموا بأن الانسان نشأ متأخرا ، فى حين أن القرائن المرتبطة بأحداث التاريخ تدل على الانسان كان متحضرا منذ أقدم العصور !٠٠ والواقع أن أنصار النظرية الاولى يعتمدون على النظريات التى خرج بها الباحثون فى طبقات الارض ، وأصل الاجناس ، وما

الى ذلك • وهم يفوتهم فى هذا ، أن الابحاث المتصلة بما قبل التاريخ لاتزال فى المهد ، فضلا عن انها انما عنيت فقط بجزء صغير من الارض اليابسة التى لايغطيها الماء • فنحن لانعرف الا النذر اليسير عن القوانين التى أدت الى ماطرأ على تركيب الانسان من تغير ، ولا نعرف كذلك الا القليل عن التطورات البطيئة ، أو الفجائية ، التى طرأت على الاجناس البشرية • وكثيرا ماتخفى على مداركنا حقيقة الاحوال الجوية فى المناطق التى ندرسها • بل لايزال بعيدا عن متناول ادراكنا أن نجدحلا يبدد الغموض الذى يكتنف تركيب القشرة الارضية ، وتراكم طبقاتها ، وهل حدث هذا التراكم فجأة أو بالتدريج •• فاذا كان هذا حظنا فى باب واحد من العلم ، فكيف نزعم ان فى مقدورنا تدوين التاريخ الصحيح للبشر ؟

وليس أكثر تمثيلا لهذا الرأى مما كتبه الباحث « ريدموار » فى مؤلف عن مختلف المراحل التى مر بها تاريخ الانسان • اذ قال : « ان التفسير الذى نفسر به هذه الاحداث يكاد يمثل الوضع الراهن لابحاثنا » •• ومن ثم فانى أكرر عامدا أن تاريخ « ماقبل التاريخ » لايمكن أن يسجل ـ فى الوقت الحاضر ـ على نحو مطلق •• أى لايمكن تحديد موعد أى حدث من الاحداث المكتشفة عنه ، بوجه التأكيد ، كما أنه لايمكن أن يوفر لنا بيانات مؤكدة ـ تأكيدا مطلقا ـ عن أصولنا الاولى ، ولا عن الاوضاع الاجتماعية التى كان الانسان يعيش فيها عند ظهوره على وجه الارض •• كل مانملكه هو أن نقول أن مالدينا فى هذا الصدد « يمثل مابلغته أبحاثنا فى وضعها الراهن » !

كان لابد من هذه المقدمة الطويلة ، لفهم الحالة العقلية التى كان عليها اولئك الذين تعرضوا لدراسة هرم « خوفو » • ولقد توصل الفلكى المشهور « بياتزى سميث » ـ وهو أحد هؤلاء الباحثين ، وقد كرس شطرا من حياته لهذه الدراسة ـ الى النتائج الآتية :

« اما أن يكون بناة هذا الاثر ، الذى لامثيل له ، قد برزوا فى العلوم الى درجة تعادل مانحن عليه اليوم ـ وهذا ينطوى على مبالغة يتعذر تصديقها ! ـ واما انهم كانوا حراسا على تقليد يرجع الى العصور الاولى ، فأرادوا أن يدونوا على الحجر معلومات أودعت عقل الانسان الاول بطريق الوحى والالهام » ! ٠٠

وهكذا كان « بياتزى سميث » يرى أن ثمة أسرارا متصدة بمعلومات علمية أولية ، تنتقل من جيل الى جيل ، عن طريق طبقات ممتازة من الناس ٠٠ تلك هى الاصول الاولى لما اسميته « العلوم الفرعونية الخفية » التى انتقلت عبر الاجيال ، عن طريق كهنة مصر الاقدمين

ولقد رأينا من قبل أن الاهرام المصرية تتجه فى بنائها اتجاها خاصا ٠٠ وكذلك حال الآثار التى توجد فى الجزء الجنوبى من بلاد الكلدانيين (فى العراق) ، مع فارق واحد ، هو أن الاتجاه الخاص ينصب فى الآثار الكلدانية على الزوايا المواجهة للجهات الاصلية ٠٠ اذ ظهر ان الكلدانيين كانوا يعرفون الجهات الاربع ، وقد وجدت اشارة اليها فى مؤلف فلكى يرجع الى عهد «سارجون الاول » ـ سنة ٣٨٠٠ قبل الميلاد ـ ويؤخذ من هذا ان القطب السماوى كان معروفا فى ذلك الوقت ، وكان المسافرون يستعينون به فى تعرف الاتجاه الصحيح فى أسفارهم ، وفى تحديد أوقات الاعتدال ، وهى لازمة لتحديد مدى السنة ، أو طولها (على ما أوردنا فى الجزء الاول الذى نشر فى العدد الماضى من « كتابى »)

ومن الوقائع الطريفة ، ان «ماريت» ـ عالم الآثار الفرنسى الذى كان مديرا للمتحف المصرى ـ استطاع أن يحدد زمن الاعتدال لسنة ١٨٥٣ مقربا الى ٣٠ ساعة ، رغم التلف الذى لحق بقمة الهرم الاكبر وبعض أجزائه ٠ وقد استعان فى ذلك بأحد جوانب الهرم الاكبر ٠ على أنه يبدو أن المصريين لم يستخدموا هذه الطريقة فى حساب عدد أيام السنة ، وان كانوا

أسبق من غيرهم الى حساب السنة على نحو أدق ، عن طريق رصد مشرق النجم الابرق ، أحد نجوم مجموعة « الشعرى اليمانية » • ولكن تقديرهم ــ رغم ذلك ــ كان أطول من الزمن الحقيقي للسنة بمقدار ١١ دقيقه ، وهو فرق يؤدى ــ رغم ضآلته ــ الى اختلاف أزمنة الفصول بعد عدد معين من السنين • والواقع ان المصريين أو الكلدانيين لم يفطنوا الى هذا الفرق ، كما توحى الشواهد ، اذ كان المصريون يعتمدون على الشمس ونجوم معينة فى تحديد السنة وتقسيم الشهور الى أقسام مدى كل منها عشرة أيام • أما الكلدانيون فكان لديهم تقويم شمسى قمرى ، اذ كانت سنتهم تتألف من اثنى عشر هلالا ــ أى اثنتى عشرة مرة لظهور الهلال ، كما هو الحال فى التقويم الهجرى ــ وجملة ايامها ٣٥٤ يوما • وكانوا يضيفون اليها عند الاقتضاء هلالا ثالث عشر ، بمقتضى مرسوم ملكى ، فى السنوات الكبيسة التى يحددها الفلكيون !

•• والعدسات المكبرة •• صنعوها !

◆ **ولقد** كان الكلدانيون يرصدون الافلاك بمهارة بارعة ، ويتنبأون عن طريقها بالاحداث الفلكية بدقة • وقد تضمنت اللوحات المكتوبة باللغات القديمة ، مايؤكد أن الكلدانيين دونوا أدق التفصيلات عن الهواء والفضاء • وقد اجتذبت ظواهر الكسوف الشمسى والخسوف القمرى اهتمامهم • وكان الفلكيون الكلدانيون متقدمين الى حد بعيد فى ميدان العلوم والاجهزة الفلكية ، حتى أن كلمه « كلدانى » أصبحت فيما بعد مرادفة لكلمة « فلكى » عند الاغريق والدول الاوربية التى اخذت عنهم !•• ولقد دلتنى تحرياتى وأبحاثى الخاصة على أن أرقام الكلدانيين فى تقدير الابعاد الظاهرية لقرص القمر ــ مثلا ــ أقرب الى الصحة من معظم الارقام التى وردت فى كتبنا الحديثة •• فكيف تراهم توصلوا الى هذه الدقة فى تقدير

قطر أحد الكواكب ؟٠٠ وهل ترى عرف الاقدمون الادوات الفلكية التصويرية التى نستخدمها اليوم ؟

ان البحث عن ذلك فى آثار الاقدمين يتطلب كثيرا من الجهود المضنية ، فان الوثائق الكلدانيه والمصرية التى بين أيدينا ، خالية من أى أثر يدل على طرائقهم العلمية ٠ على أن القرائن تثبت انهم كانوا جد متقدمين فى دراسة الرياضيات ، ولكننا لانجد ما يبين أساليبهم فى هذه الدراسة ، وانما نجد نتائجها مدونة دائما تدوينا جافا ٠ وعلى هذا ، نجد تحت أيدينا وثائق رياضية عديدة ، أشبه ماتكون بجداول يحتوى كل منها على مجموعات متآلفة من الارقام الناتجه عنعمليات حسابية أجريت من قبل ، بطرق غير معروفة ٠ ومن هذه الجداول ما ينبىء بحركات الافلاك السيارة فى كبد السماء ٠ والنتيجة الحتمية لهذا ، هو ان خلو هذه السجلات من الشرح وأساليب الحساب جاء متعمدا ومقصودا ، وان العلماء كانوا يعتمدون على الشرح الشفهى لطرقهم وأساليبهم العلمية ، ولا يختصون به سوى الصفوة المختارة ممن يكتسبون مرانا ، ويظهرون استعدادا طيبا لفهمهم وحمل الرسالة من بعدهم !

ومن المؤكد أن القدماء كانوا يعرفون الزجاج ، ويصنعون منه أشياء مختلفة٠ **أما انهم كانوا يصنعون من الزجاج عدسات، فيدل عليه مايروى من أن « نيرون » كان ينظر الى الاشياء التى يريد فحصها وتمعنها ، خلال « زمردة » فى حجم « فص » الخاتم ، وكان يستخدمها كمنظار لعين واحدة ٠ ومن المعتقد انها كانت كتلة من الزجاج المفرغ** ٠ كما ان « اريستوفان » ذكر ـ قبل « نيرون » بزمن طويل ، أو على الاصح ، فى القرن الخامس قبل المسيح ـ حوارا فكاهيا فى كوميديا « السحاب » بين « ستريبسياد » وسقراط ، شرح فيه الاول للثانى خاصية الكرات الزجاجية اذا ماتعرضت للشمس ، اذ تبعث النار فى الاجسام القابلة للاشتعال ٠٠ ولو عن بعد !

وهكذا عرف القدماء العدسات التى تركز الاشعة فى بؤرة واحدة • ولكن مثل هذه العدسات لم تكن تصلح للابصار طبعا • على ان عمال تلك العصور تدرجوا فى اتقان الصناعة ، حتى باتوا يصنعون العدسات على شكل نصف الكرة ، بعد ان كانوا يصنعونها مستديرة • وفى قسم الصور المعدنية بالمتحف الفرنسى ، يوجد خاتم يعرف باسم « خاتم ميشلانج » ، صنع فى عصر مغرق فى القدم ، وقد حفر عليه خمسة عشر شكلا ، فى مساحة لايتجاوز قطرها سبعة ملليمترات ، وبلغ من دقتها ، ان بعضها لايرى بالعين المجردة ، مما يقطع بأن الصانع كان يستخدم عدسة مكبرة فى حفر تلك الاشكال !

كذلك تحدث « شيشيرون » عن نسخة من « الياذة هوميروس » كتبت على صفحة رقيقة من ورق البردى ، يحتويها غلاف ثمرة من الجوز (عين الجمل) !•• ويروى « بلينى » فى كتابه عن « التاريخ الطبيعى » ان فنانا قديما يدعى « ميمسيد » حفر على قطعة من العاج - لاتزيد مساحتها عن مساحة جناحى ذبابة - شكل عربة تجرها أربعة جياد !

كل هذه الآثار تدل دلالة قاطعة على ان الاغريق والرومان كانوا يعرفون - منذ عشرين قرنا - ما للعدسات من خاصية تكبير المرئيات • ويؤيد هذا ماذكره عالم الآثار « دوتان » من انه رأى فى متحف « بورتيشى » نظارات مكبرة قديمة ، لاتتجاوز بؤرتها تسعة ملليمترات • وأذكر بهذه المناسبة اننى كنت أزور (تونس) فى سنة ١٩٠٥ ، فسعيت الى موقع مدينة (قرطاجة) القديمة • (ولم يبق فى تلك البقعة سوى قرية صغيرة ، ومدرسة وكاتدرائية أقامهما بعض الرهبان الفرنسيين) • ودعانى أحد الآباء - وكان يدعى الاب « ديلاتر » - الى زيارة متحف بديع ، أقامه على بعض الحفريات التى أجريت هناك • ووجدتنى - خلال الجولة فى المتحف - أمام رسم بديع حفر بدقة ، يمثل جوادا يحك أذنيه ، فتمنيت

لو كانت معى عدسة مكبرة لفحص دقائق هذه التحفة الفنية ٠ وتطرق بنا الحديث الى أن القدماء ولابد كانوا يستخدمون عدسات مكبرة ، فسألت الاب : « ألم تجد قط فى الحفريات مايشبه العدسة المكبرة التى يستخدمها المشتغلون فى اصلاح الساعات فى عصرنا ؟ » ٠٠ فلم تنقض دقيقه ، حتى كان « الاب ديلاتر » ممسكا بعدسه من هذا النوع ، لايتجاوز حجمها زر المعطف ٠ ولكنها لسوء الحظ كانت معتمة ٠ على أن هذا الاعتام قد يرجع الى بقائها أجيالا طويلة فى جوف الارض ٠ وزاد من دهشتى ان الراهب لم يلبث ان جاءنى بعدسة أخرى من البلور الصخرى ، نحتت بدقة رائعة ٠٠ ثم تضاعفت هذه الدهشة حين علمت ان السير « دافيد برويستر » ـ العالم البريطانى الشهير ـ عرض فى اجتماع للجمعية البريطانية فى (بدفورد) ، سنة ١٨٥٢ ، قطعة من البلور الصخرى على شكل عدسة ، وجدها فى حفريات (نينوى) الاشوريه !

كل هذه الوقائع لاتدع ـ فى نفسى ـ شكا فى ان الشعوب القديمة عرفت العدسات البصرية ٠ فاذا علمنا ان المنظار الفلكى عبارة عن عدستين توضعان بشكل معين ، أدركنا انه كان من الميسور على الفلكيين القدماء ان يصنعوا المنظارات الفلكية لرصد حركات الاجرام السماوية ٠ ولو اننا رفضنا هذه النظرية رغم احتمالها الواضح ، لاستحال علينا تفسير عدد كبير من المعلومات والبيانات الفلكية التى خلفوها ٠ بل انهم عرفوا أيضا « التيلسكوب » ، كما تدل نظرياتهم ٠ ويؤيد هذا ان « ارشميدس » استخدم المرايا العاكسة ـ التى تنبنى عليها نظرية التيلسكوب ـ فى حصار (سيراكيوز) ٠٠ وكانت هذه المرايا فى أوضاع مكنتها من ان تجمع أشعة الشمس وتركزها فى نقطة معينة ٠٠ وهذا ماتفعله مرآة التيلسكوب !٠٠ **ومما يذكر عن « بطليموس افيرجيت » ـ شقيق الملك بطليموس فيلاديلف ، الذى حكم مصر فى القرن الثالث قبل المسيح ـ**

انه أقام فى قمة منار الاسكندرية جهازا كان يعكس صـور السفن القادمة وهى على بعد شاسع !٠٠ وقـد حدس كثيرون ممن بحثوا هذا الموضوع ، ان الجهـاز كان يتألف من مرايا عاكسة ٠ وأضيف الى هذا انه كان لابد من اضافة عدسـة لتقريب المرئيات ، الى ذلك الجهاز ، لتقريب صور السفن وهى بعيدة ٠٠ ومعنى هذا ان العدسات المقربة كانت موجودة !

ومن المنطقى ان الذين توصلوا الى صنع مثل هذه العدسات ـ كالجهاز الذى استخدم فى حصار (سيراكيوز) ، والجهاز الذى استخدم فى الاسـكندرية ـ ربما توصلوا أيضـا الى صنع جهاز لرؤية الكواكب ، على هذا النحو ٠٠ اذ لم يكن هناك مايمنع من ذلك ٠ بل ان الشواهد تدل على وجوده ٠ ولعل من الغريب حقا ان نجد نصوصا قديمة تشير الى أن الفلكيين فى العصور البعيدة كانوا يرصدون الكواكب « خلال أنابيب » !٠٠ وأحب أن أضيف الى هذا ، ان البروفيسور « جون جارستنج » كشف فى حفريات مدينـة (مروى) القديمه ، عن آثار مرصد فلكى ، وجدت على قاعدة أحـد أعمدته خطوط مستقيمـة ذات صلة بموقـع الشمس فى وقت معين من السنة ، وبخط العرض الذى تقع عليه (مروى) !٠٠ والاعجب من هذا ان وجدت على الحجارة معادلات تتعلق بظواهر فلكية حدثت قبل الميلاد بمائتى سنة ٠٠ كما وجد رسم كروكى على أحد الجدران المتهدمـة ،

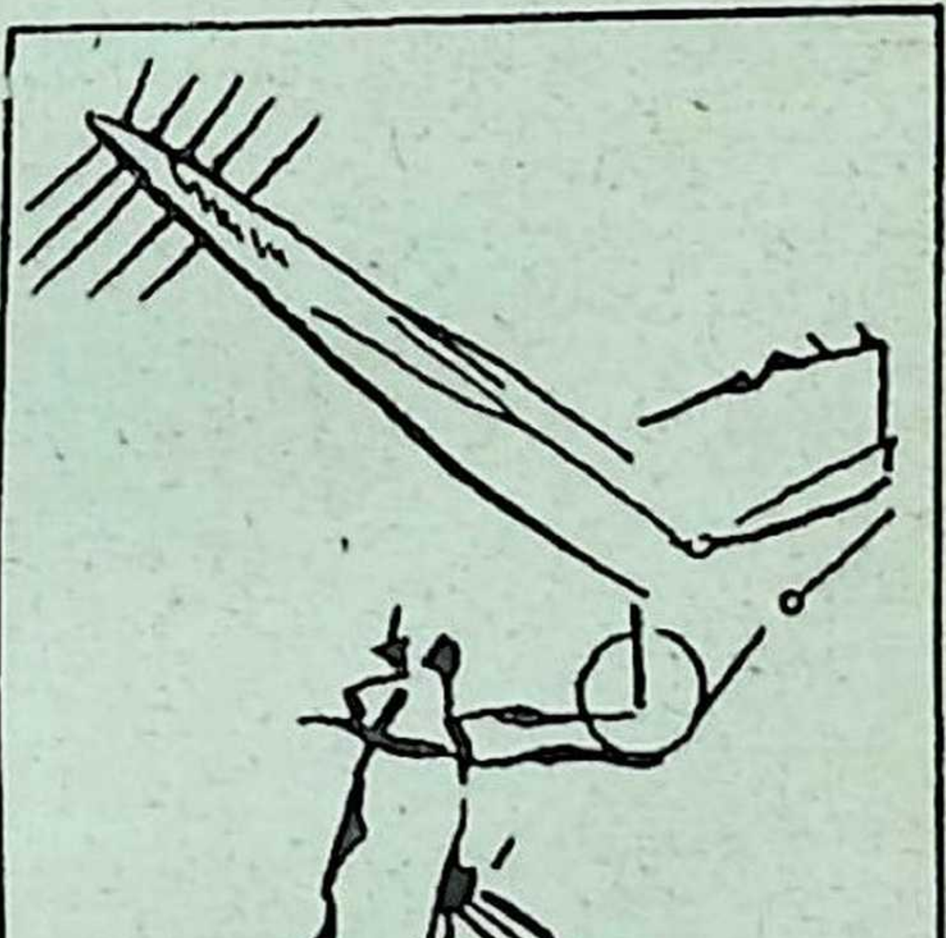

الرسم الكروكى الذى وجـد على اطلال مرصد (مروى) ، ويبين أحد الفلكيين القدماء وهو يرصد الكواكب

يمثل طيفا لشخصين ، أحدهما جالس يدون مواقع الافلاك ، مستعينا بآلة خاصة تشبه المنظارات الفلكية الحديثة

كل هذه القرائن ، وكل مانعرفه عن تقدم القدماء فى علم الفلك ، وقياسهم قطر القمر ، وقطر الشمس وبعدها عن الارض ، وظواهر الكسوف والخسوف ٠٠ كل هذه خليقة بأن تحملنا على الاعتقاد بأن الكهنة المصريين ، والفلكيين الكلدانيين ، كانوا يستخدمون أدوات خاصة لرصد الافلاك ، بينها العدسات والمنظارات المكبرة !

متى أقيم الهرم الاكبر ؟!

◆ **نعود** بعد هذا البحث الطريف الى الحديث عن مكتشفات الفراعنة فى العلم والفلك ٠ على اننا نحب أولا أن نفرق بين مدار الشمس الظاهر ، وبين مجموعات النجوم المنثورة فى السماء

فمن المعروف أن الفلكيين - فى العصور القديمة - كانوا يقسمون النجوم ، فى أرصادهم ، الى مجموعات تضم كل منها عددا من النجوم المتقاربة والمتناسقة فيما بينها ٠ على ان هذه المجموعات كثيرة التحول ، متباينة الاطوار٠وفيما عدا المجموعه المجاورة للقطب -التى يفيد منها المسافرون فى تعرف الاتجاهات- نجد انها فى مجموعها لاتفيد غير الفلكيين ٠ أما بالنسبة للابراج السماوية ، فالامر يختلف ٠ ذلك لان منطقة الابراج تشبه شريطا عريضا ، تتوسطه الدائرة الكبرى التى تسير فيها الشمس فى دورتها السنوية الظاهرية ، والتى تتحرك فيها أيضا الافلاك السيارة ، فلا تبتعد عن خط سير الشمس الا قليلا ، مما يجعل انعكاساتها على صفحة السماء ملازمة دائما لهذا الخط

ولقد قسم خط سير الشمس الى اثنى عشر برجا ، تجتازها الشمس في عام كامل ٠٠ أى انها تقطع ٣٦٠ درجة ، في ٣٦٥

يوما فى المتوسط · وبمعنى آخر ، تقطع الشمس درجة - تقريبا - فى اليوم الواحد ، وتجتاز برجا فى الشهر الواحد ، من الناحية النظرية فقط !·· ولقد تحدثنا فى فصل سابق عن نقط الاعتدال ، وتحولها · وهذا التحول يتبعه تحول مقابل فى القطاع الذى يقع بين خط الاستواء ومدار الشمس ، وبهذا القطاع يتحدد الاعتدال الربيعى · ومن هنا تبدو أهمية اكتشاف أقدم مدار عينه الفلكيون للشمس ، اذ يمكن عن طريقه تحديد العصر الذى اكتشف فيه · ولعل هذا يفسر لنا مدى اهتمام الدوائر العلمية عندما اكتشفت فى (دندرة) و (اسنا) - فى سنة ١٧٩٨ - مدارات شمسية قديمة ·· ثم تبين أخيرا - للاسف - انها وضعت فى عهد الرومان ، لافى عهود الفراعنة · وتدل كل الدلائل على أن قدماء المصريين لم يستخدموا مدار الشمس !·· صحيح أن السنة عندهم كانت مؤلفة من اثنى عشر شهرا قمريا ، مدى كل منها ثلاثون يوما مقسمة الى ثلاث فترات ، كل فترة منها عشرة أيام ·· وصحيح ان لوحاتهم القديمة تشير الى عدة أبراج ، الا انهم لم يربطوا تقويمهم بمدار الشمس ، ولا عرفوا المجموعات الكاملة للابراج بشكلها المعروف فى أيامنا · وان كان الكلدانيون - على عكسهم - قد عرفوا الابراج وربطوا اليها الاعتدالين الربيعى والخريفى · كما وردت أسماء الابراج فى « التوراة » على لسان « أيوب » ، الذى وضع قصائده فى القرن العاشر قبل المسيح !

أما متى عرفت الابراج ومدارات الشمس للمرة الاولى ، فهذا مالا يزال الفلكيون يجدون فى بحثه · ولكى أبين مدى الدقة التى يتوخونها ، أورد هنا مثلا مستمدا من الهرم الاكبر · فعندما درس سير « جون هيرشل » هذا الهرم للمرة الاولى ، لم يدهش لاتجاه ممر الدخول الى جوفه اتجاها دقيقا صوب خط الطول ، فحسب ، وانما تبين ان محور سرادب الدخول يشير الى نقطة تقع تحت القطب السماوى ، بحيث تصلح تماما لمراقبة

مرور النجم القطبى تحت خط الطول ، على مسافة معينـــة من القطب · وكان « هيرشل » اذ ذاك ـ فى سنة ١٨٣٨ ـ يبحث

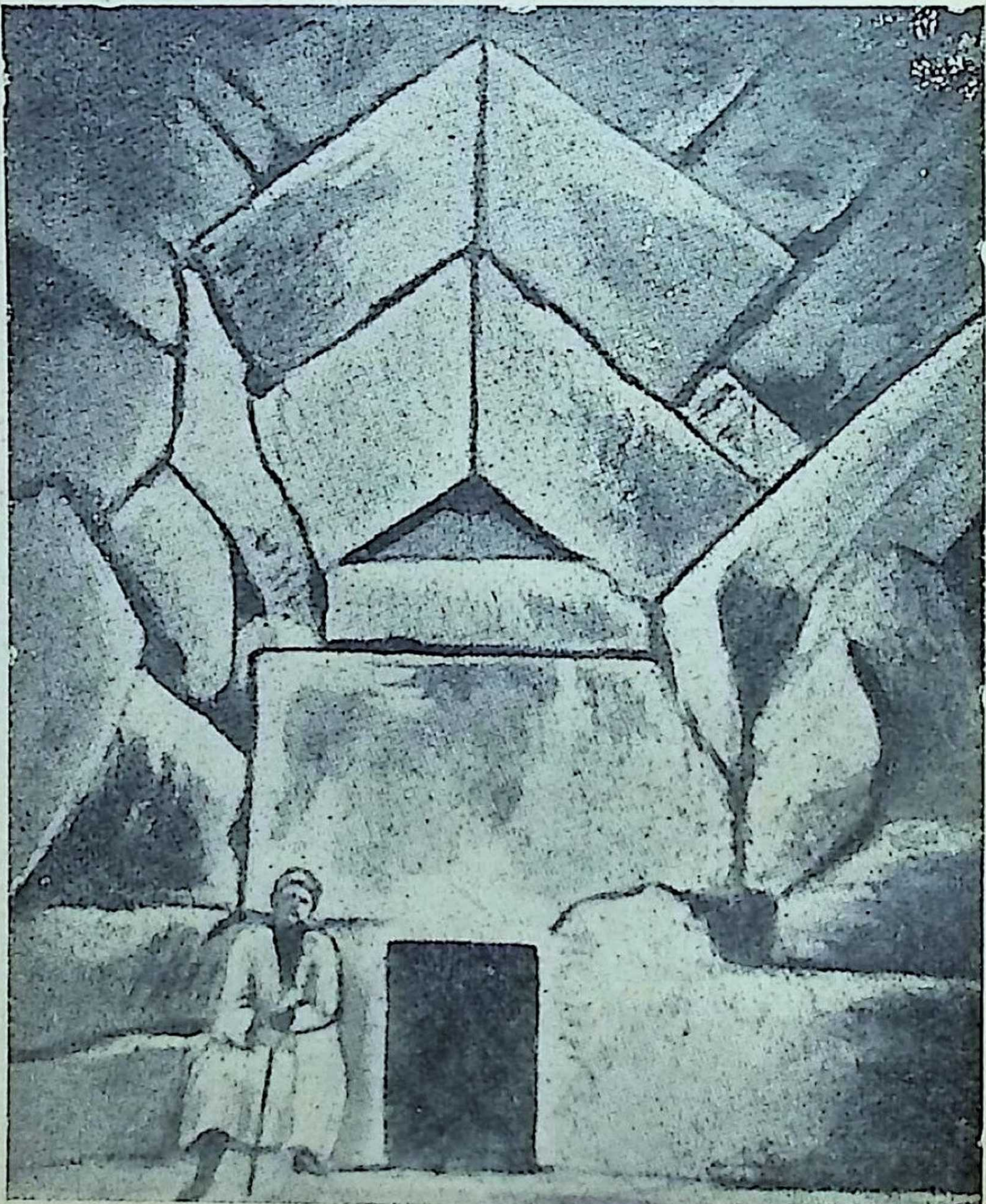

مدخل الهرم الاكبر ، كما رسمه الاب « مورو »

عن أقرب تاريخ يحتمل أن يكون الهرم قد شيد فيه ، فوجد بالحساب ، أن نجمة من النجوم الرئيسية فى مجموعة التنين ، تقع على المسافة التى يعينها محور سرداب الدخول الى جوف الهرم الاكبر بالضبط • وتبين أن مجموعة من النجوم المتألقة - هى مجموعة «الثريا» - كانت تمر فوق القطب السماوى ،فى السنوات التى كانت فيها نجمة مجموعة التنين تلك ، ترى على خط الطول - القائم عليه الهرم - تحت القطب ، على ارتفاع قدره ٢٦ درجة و ١٦ ثانية ، وهو مايعادل تماما زاوية محور السرداب !•• وبالبحث ، وجد ان هذه الظاهرة ، أو ان هذه الظروف مجتمعة ، لم تحدث فى عشرة آلاف سنة قبل سنة ٢١٧٠ قبل الميلاد ، ولن تحدث فى العشرة الآلاف سنة التالية لها !

أفلا ينبغى أن نستنتج من هذا ، ان أساس الهرم الاكبر وضع فى سنة ٢١٧٠ قبل الميلاد ؟

الهرم بنى قبل دخول اسرائيل الى مصر !

• **وهذا** التوافق العجيب يضع بين أيدينا طريقة لامثيل لها لحساب القدم ، اذ أنها تنطبق على الماضى والمستقبل معا • وأساسها الزيادة السنوية فى حيز مجموعة نجوم « الثريا » ، فى نقطة الاعتدال ، وتساوى فى الارتفاع المستقيم ٣٩ ثانية • ومن ثم فان خطوط الحركة الدائرية لهذه المجموعة - فى آلاف السنين - تصبح أشبه شىء بساعة بدأت سيرها عندما مرت نجمة مجموعة التنين لاول مرة بخط الطول على مسافة القطب الذى يحدده سرداب الدخول الى الهرم الاكبر •• أى أن مرورها هذا كان بمثابة ساعة الصفر بالنسبة لوضع أساس الهرم • ألا يوحى هذا بأن الساعة الملائمة لوضع هذا الاساس اختيرت بدقة وعناية ، وفقا لارصاد فلكيه ؟•• ثم ، ألم أكن محقا عندما قلت ان هذا الهرم بناء علمى من الطراز الاول ؟!

لقد حدد علماء الآثار عمر الهرم الاكبر على هـدى نصوص قديمة ، تجادلوا طويلا فى تفسيرها ، ثم حكموا بأن العهد الذى بنى فيه هذا الصرح الشامخ يرجع الى ٤٠٠٠ سنة قبل مولد المسيح ٠ ولم يفطن أحد الى أن هذا الحكم قابل للنقض ، بدليل أن علماء الآثار ـ أيضا ! ـ قالوا ان عهد « مينا » ، أول ملوك الاسرة الاولى ، كان يقع بين سنة ٣٨٠٠ و ٣٤٠٠ قبل الميلاد ، فى حين أن « خوفو » من الاسرة الرابعة ٠ وقد أجمع العلماء على أن عهده أتى بعد عهد « مينا » بحوالى ١٢ قرنا !٠٠ وهذا يقفز بنا الى مابين سنتى ٢٦٠٠ و ٢٢٠٠ قبل الميلاد ، أى الى مايقرب من التاريخ الذى حدده الحساب الفلكى !

وهذا التاريخ يسبق ببضعة قرون دخول « اسرائيل » أرض مصر ، على ما أورده « فليندرز بيترى » فى كتـــابه « مصر واسرائيل » ، اذ أثبت المؤلف ان « اسرائيل » دخل مصر فى سنة ١٦٥٠ قبل الميلاد ! (١)

(هل عرف الفراعنة « الله » ، وآمنـوا بوحدانيتـه قبـل موسى ؟!٠٠ لقـد اتخـذ « اخنـاتون » الشمس الهـا ودعا الى توحيدها ، ولكن ٠٠ هل عرف الفراعنة « الله » كما جاء فى رسالة موسي وعيسي ومحمد ؟! ٠٠ بل هل استمد « موسى » أصول عبادة الله وتوحيـده من بلاط فرعـون ، ثم أخلص فى العبادة حتى اختاره الله رسولا ؟ ٠٠ هذا ماسنبحثه معالمؤلف فى الجزء القادم من هـذا الكتاب الخطـير ، الذى يوافيـك به « كتابى » فى العدد التالى باذن الله)

---

(١) « كتابى » : وهذا يدحض الفرية المتعمـدة التى وردت فى فيلم « وادى الملوك » الامريكى ، من ان الذى وضـع تصميم الهرم الاكبر كان مهندسا من بنى اسرائيل !

عزيزى القارىء :

قرأت معى فى الاعداد الماضية قصص:
• اموك : لستيفان زفايج • قلب
عذراء : جون جالزورثى • مرتفعات
بورجيه • احدب نوتردام : فيكتور
وذرنج : اميلى برونتى • التلميذ : بول
هوجو • جريمة حب : بول بورجيه
• جين اير : شارلوت برونتى • ايام
بومباى الاخيرة : لورد ليتون • مانون
ليسكو : الاب بريفو • حديقة الله :
روبرت هتشنز • عندما تحقد المرأة :
جورج أونيه • آسيا : ايفان تورجنيف
• الشيطان على الارض : برتراند رسل
• الحب الاول : تورجنيف • تاييس:
أناتول فرانس • بلاد العميان : هـ.ج.
ويلز • نادى الانتحار : روبرت لويس
ستيفنسون • كوخ العم توم : هاربيت
بيتشر ستو • الزوج والعشيق :
سومرست موم • البوهيمية : هنرى
مرجيه • فتاة لها ماض : بول بورجيه
• شيرى : كوليت • الجريمة والعقاب:
دستويفسكى • لحن كرويتزر :تولستوى
• اميرة مصر : جورج ايبرز • الامطار:
سومرست موم • افروديت : بييرلويس
• جيجى : كوليت • الشيطان فى
الجسد : ريموند راديجيه • ليبوريللا:
ستيفان زفايج • كانديد • اشجان
فرتر • فرانشسكا • لوريت • المعطف
• يوميات زوجة • الافق المفقود •
النار الخالدة • الوحل • أبناء وعشاق
• « اليهودى التائه » • « صباح الخير
أيها الحزن » • علاج الحب • وهاك
اليوم « العانس » !

الحياة قصة

روائع القصص العالمى

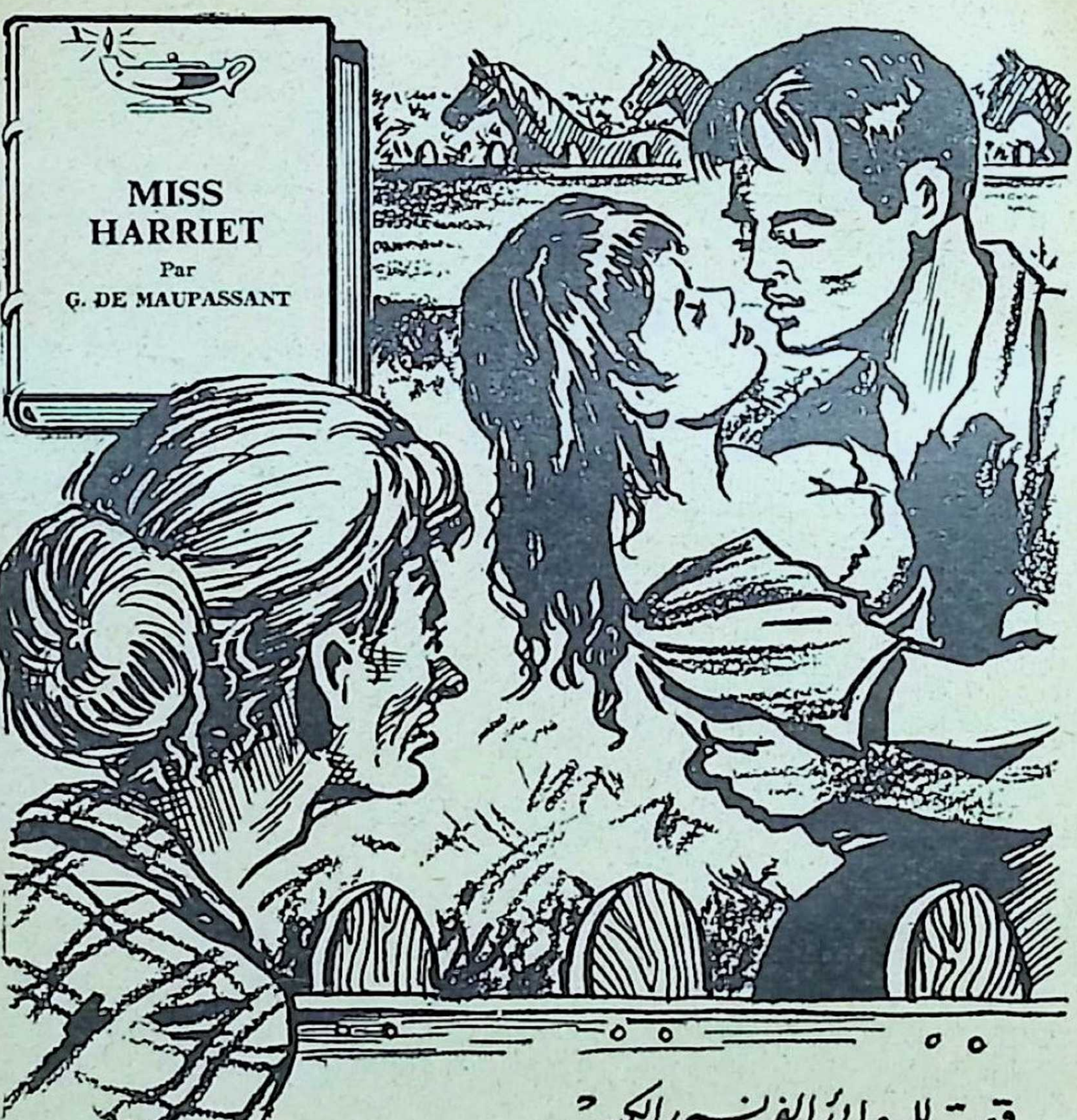

قصة للروائي الفرنسي الكبير
"جي دي موباسان"

العانس!

◆ **كنا** سبعـة ـ ثلاثة رجال وأربع نساء ـ في عربة تسير بنا الهوينا فى الطريق العريض المتعرج ، بمحاذاة الشاطىء ، وقد اتخذ أحدنا مجلسه فى مقدم العربة الى جوار السـائق ٠ وكنا قد برحنا بلدة (اتريتا) عنـد الفجر ـ لزيارة أطـلال (تنكرفيل) ـ والنعاس مايزال يتكسر بين أجفاننا ، ونسائم الصباح الباردة تخفق على وجوهنا ، وتتردد فى صدورنا ٠ وكانت النسوة أكثرنا عجزا عن مقاومة سلطان النوم القاهر ، اذ لم يعتدن أمثال هذه الرحلات المبكـرة ، فكانت أجفـانهن تنفرج وتنطبق بين دقيقة وأخرى ، ورؤوسهن تعلو ثم تهبط فوق صدورهن مع اهتزازات العربة ، وأفواههن تتثاءب كسلا وخمولا ٠٠ وبالاختصار ، كن فى غفلة تامة عن جلال الفـجر الساحر !

وكانت الارض ترتدى حلة الخريف ، وحقول الحنطة تمتد على جانبى الطريق الى مرمى البصر ، تتوجها سنابل ذهبية تلمع فى ضوء الشروق كشعيرات نامية فى ذقن رجل ٠ ٠ والبلابل تصدح فى الرياض مرحة جذلانة ٠٠ وفى أقصى الافق السحيق أخذت الشمس تنهض من رقادها محمرة العينين كمخمور أفرط فى السهر ٠٠ فيصحو الريف كله معها وهو يبتسم ، ويتمطى كعذراء تنفض عنها النعاس وتنضو عنها قميصها الابيض !

وفجأة ، صاح الكونت « ديتراى » من مكانه بجوار السائق : « انظروا ٠٠ أنظروا ! ٠٠ هـذا أرنب برى ! » وأشـار الى اليسار ، حيث كان الارنب الشارد يتابع عدوه بين النباتات التى تكاد تغطيه وتحجبه ، فلا تظهر منـه الا اذنان كبيـرتان تمرقان بأقصى سرعة ، متنقلتين من مكان الى مكان ٠٠ ثم توقف بغتة أمام مجرى عميق ، ريثمـا غير اتجاهه ، وتابع سـباقه للريح ٠٠ الى أن عاقه عائق آخر ، فتوقف من جديد وراح يتلفت حواليه فى انزعاج وحيرة ، يتلمس طريقـا مأمونا يجنبه مواطن

الخطر وسهم الصياد . وفجأة استأنف جريه بخطى واسعة وقفزات سريعة ، حتى اختفى آخر الامر وسط حقل من حقول البنجر ، وأعيننا تتابع خط سيره بفضول وانتباه !

واذ ذاك قال أحدنا ـ ويدعى « رينيه ليمانوار » : « الحق اننا لم نقم بواجب الرجال المهذبين بازاء رفيقاتنا فى الرحلة ، فى حين تقتضينا آداب اللياقة أن نحسن مسامرتهن » .. **ثم التفت الى جارته البارونة الشابة « دى ستيرين » ـ التى كانت تقاوم النعاس جاهدة ـ وقال لها مداعبا : « أراهن انك تفكرين فى زوجك ياعزيزتى البارونة .. ولكن اطمئنى ، انه لن يعود قبل يوم السبت ، فأمامك اذن أربعة أيام أخرى ! » .. فأجابته بابتسامة ناعسة وقالت : « يالك من وغد ! » .. ثم نفضت رأسها لتطرد النوم عنها ، وتوجهت الى رفقائها قائلة: « ماهذا ؟.. أليس فى جعبة أحدكم نادرة طريفة تضحكنا ؟.. وانت يامسيو « شينال » .. يقـولون انك تملك ثروة من الذكريات أضخم من ثروة دوق ريشليو ، فهلا رويت لنا احدى قصصك الغرامية الشائقة ؟ »**

وابتسم « ليون شينال » ـ وكان رساما طاعنا فى السن ، عرف فى شبابه بأناقته وقوته ولطف معشره ـ ثم أمسك بلحيته البيضاء الطويلة ، وراح يتخللها بأصابعه مفكرا .. وبعد لحظات ، رفع رأسه وقد بدا عليه الجد الصارم ، وقال : « سيداتى .. أخشى ألا تكون القصة ـ التى سأسرد وقائعها عليكن ـ مسلية ، أو مضحكة كما تتوقعن ، فهى قصة أتعس مغامرة غرامية مرت بى فى حياتى ، وأرجو مخلصا ألا تمتحنكن الاقدار أو تمتحن أحدا من أعزائكن بتجربة أليمة من نوعها !

ـ ١ ـ

◆ « **كنت** ـ فى تلك الايام ـ فى الخامسة والعشرين من عمرى ، أقوم بجولات على ساحل (نورمانديا) ، حاملا حقيبتى على

ظهرى ، متنقلا من جبل الى جبل ، بحجة دراسة الطبيعة ورسم صور لها . وليس أمتع من حياة التجوال المرحة الطليقة التى يكون الانسان فيها حرا مطلق الحريه ، لايعبأ فيها بشىء ، ولا يتقيد بقيد أو يلتزم بعمل أو واجب ، من أى نوع كان ، إنه لايجد مايضطره الى التفكير فى أمر غيره !.. وانما يمضى على غير هدى فى اى اتجاه يروق له، بغير دليل يرشده سوى نزوته، ولا مشير أو ناصح غير عينيه .. يحط رحاله فى المكان لان غديرا أغراه بالتوقف لتصويره ، أو لان رائحة طعام شهى - منبعث من احدى الحانات - قد جذبته ليأكل !.. وأحيانا يكون « تقرير مصيره » أو اختيار طريقه خاضعا لوحى زهرة عبقة أسرت خياشيمه ، أو نظرة ساذجه من عينى فتاة فى حانة أسرت قلبه !

« **لاتحتقرننى من أجل ميلى لاولئك القرويات ، فلهن روح أصفى وشعور أرق مما لغيرهن ، أما عن خدودهن النضرة وشفاههن الشهية فحدثى ولا حرج .. واما قبلاتهن القلبية الصادرة عن رضاء واختيار ، فلها طعم الفاكهة التى تنمو فى الاحراش !** .. والحب كما تعلمن له دائما ثمنه الذى ينبغى أن يبذل .. والقلب الذى يخفق حين يظهر الحبيب فى المكان ، والعين التى تدمع حين يمضى الحبيب بعيدا ، كلها انفعالات نادرة ، عذبة ، غالية .. الى حد يجب معه ألا تحتقر قط !

لقد كانت لى مواعيد غرامية فى حظائر ماشية ، وبين أجران غلال .. وفى رأسى ذكريات جلسات فوق مقاعد خشبية قذرة وصلبة ، وقبلات شهية مجردة من الرياء والتكلف ، أرق وأعذب وأكثر اخلاصا من قبلات النسوة المتأنقات ، المترفات !

« **لكن أجمل مايعشقه الانسان حين يطوف أقاليم الريف ، هو الريف نفسه : الغابات ، وشروق الشمس ، وحمرة الشفق ،**

وساعة الغسق ، وضياء القمر ٠٠ فهذه المشاهد فى نظر الرسام رحلات « شهر عسل » مع الطبيعة العذراء ٠٠ يختلى فيها بها خلوة طويلة هادئة ، وينام فى حقولها على فراش من أزهار « المرجريت » والزنابق البريه ، ويرقب بعينين مفتوحتين انحدار الشمس الى قبرها ساعة الغروب ، ويرنو من بعيد الى شبح القريه الصغيرة ، ينهض فى وسطها برج الساعة التى لاتلبث أن تدق معلنة انتصاف الليل !

« وقد يجلس الى جوار نبع ماء ينبثق تحت قدم شجرة بلوط ، وسط اطار من الخضرة والاعشاب الزاهية المليئة بالحياة ٠٠ ثم يظمأ فيجثو على ركبتيه ويمد رأسه كى ينهل من المورد العذب ماءه البارد الزلال ، فيبتل شاربه وأنفه ، **ويشعر وهو يشرب بلذة حسية ، كما لو كان يقبل الربيع ، شفة الى شفة !** ٠٠ وأحيانا ، يعثر ببقعة عميقة تتخلل مجارى تلك الغدران الصغيرة ، فيخلع ثيابه ويلقى بنفسه فيها ، كى يستمتع من قمة رأسه الى قدمه بدغدغة المياه الباردة على جلده ، ورعشة التيار اللطيفة ، وعناق الامواج !

« وعلى هذا المنوال يشعر السائح بالغبطة وهو فوق التلال ، وبالنشوة على ضفاف البحيرات ، وبالبهجة حين يتوج قرص الشمس بهالة من الاشعة الدموية الحمراء ، وحين يلقى انعكاساته القانية على مياه الانهار ٠٠ وفى الليل ، تحت ضوء القمر وهو يسبح فى الفضاء ، يفكر المرء فى أشياء خاصة ، ويحلم أحلاما غريبة لم تكن لتخطر قط على باله فى ضياء النهار الساطع !

* * *

● « **وفى** سياحتى تلك ، غادرت (فيكامب) متخذا طريق الساحل المؤدى الى قرية (بينوفيل) الصغيرة ، وهو طريق مرتفع فوق البحر تتدلى منه صخور تشرف على الماء ٠ وكنت قد

قضيت ساعات الصباح سائرا بخطوات واسعة ، فوق الاعشاب والحشائش المبتلة ـ الشبيهة ببساط من السندس الاخضر ـ أغنى جذلا وانا أرقب طيرا من طيور البحر يسبح بأجنحته البيضاء القصيرة فى السماوات الزرقاء ، فى بطء وتكاسل ، أو أمد بصرى الى رقعة المحيط الشاسعة الخضراء ، أو أتابع أشرعة أحد قوارب الصيد .. وبالاختصار ، كنت قد قضيت يوما سعيدا ، فى جو من الحرية والانطلاق ..

« وأرشدنى أحدهم الى حانة يقضى فيها السياح لياليهم ، يحيط بها فناء كبير ويظلها صفان من الاشجار . **وكانت تديرها امرأة تدعى « الام ليكاشور » ، وهى عجوز ريفية متغضنة الوجه ، من الطراز العتيق ، تستسلم دائما لضغط العادات والتقاليد الجديدة والآراء العصرية بشىء من التأفف والاحتقار ..**

« وكنا فى شهر مايو ، فكان أول ماطالعنى فى حديقة الخان شجيرات التفاح التى فرشت أرضها ببساط من براعمها التى كانت تتساقط على الناس والارض بلا انقطاع . ثم قدمت نفسى الى صاحبة الخان قائلا : « هل عندك غرفة لى يامدام ليكاشور؟» .. وكأنما أدهشها أن أعرف اسمها ، فرفعت حاجبيها بحركة غير ارادية ، وأجابتنى : « هذا يتوقف على حظك .. فان جميع الغرف مؤجرة فعلا ، على أنه لن يضيرنى ان أبحث لك عن مكان»

« وبعد انقضاء خمس دقائق كنا قد اتفقنا ، ووضعت حقيبتى على البلاط العارى فى الغرفة المتواضعة التى قادتنى اليها . وكان أثاثها مكونا من سرير ، ومقعدين ، ومائدة صغيرة ، ومنضدة عليها « ابريق وطشت » للغسل ... وكان بالغرفة باب يتصل بالمطبخ الواسع الذى يملأ جوه الدخان ، والذى كان النزلاء يتناولون فيه طعامهم مع أهل المزرعة ومع صاحب المزرعة الارمل ..

« ولم أكد أستقر بغرفتى ، حتى غسلت يدى ورتبت أمتعتى ،

ثم خرجت الى الحانة ، فوجدت صاحبتها العجوز تشوى كتكوتا للغداء ، وترقب آنية الطعام الضخمة القائمة فوق النار ، وقد أحالها الدخان الكثيف الى لون الفحم ٠٠ فقلت لها : « أرى ان الخان مزدحم بالمسافرين فى الوقت الحاضر ! » ٠٠ فأجابتنى باللهجة المستاءة : « نعم ٠٠ »

ـ ومن يقطن الغرفة المجاورة لى ؟

ـ امرأة انجليزية نضجت منذ دهر طويل !

« فنفحتها بخمسة دراهم فوق الاجر اليومى الذى اتفقنا عليه ، فى مقابل أن تكون لى حرية تناول طعامى فى الفناء الخارجى حين يكون الطقس معتدلا ٠٠ وهكذا وضعت مائدتى فى المكان الذى اخترته ٠ ولم تكد تعد لى الطعام حتى جلست أقضم أطراف « الكتكوت » المشوى بشراهة الجائع ، وأجرع شراب التفاح المعتق ، وأجهز على قطعة الخبز الابيض الشهية التى زادها مساغا انقضاء أربعة أيام على خبزها ! وفجأة ، فتح الحاجز الخشبى الذى يتوسط السور الخارجى ، ودخلت منه مخلوقة غريبة المنظر ، طويلة جدا ، ونحيفة جدا ، تضع على كتفيها شالا من الطراز الاسكتلندى له حافة حمراء ٠٠ يكاد يخيل للناظر اليها انها بلا ذراعين ، لفرط نحافتهما ، لولا المظلة البيضاء المرفوعة فوق رأسها ، والتى لابد لها من ذراع تحملها! ٠ وكان وجهها وجه مومياء ، تحيط به ضفائر ـ كالسجق ـ من الشعر الاغبر ، تقفز مع كل خطوة تخطوها ، حتى لقد ذكرتنى ـ بغير مامبرر أدريه ـ بسمكة من أسماك «الرنجة» ، فى طبق محوطة بلفافات من الورق المزخرف ٠٠ ولم تكد المرأة تحاذينى حتى غضت من بصرها ومرقت مسرعة الى الداخل ٠٠

« أيقنت ان تلك المخلوقة هى جارتى الانجليزية العجوز التى حدثتنى عنها صاحبة الحانة ٠٠ وأثارت هيئتها فضولى ، فانشغلت بالتفكير فى أمرها برهة ٠٠ ولكننى لم أرها فى ذلك اليوم مرة أخرى

★ ★ ★

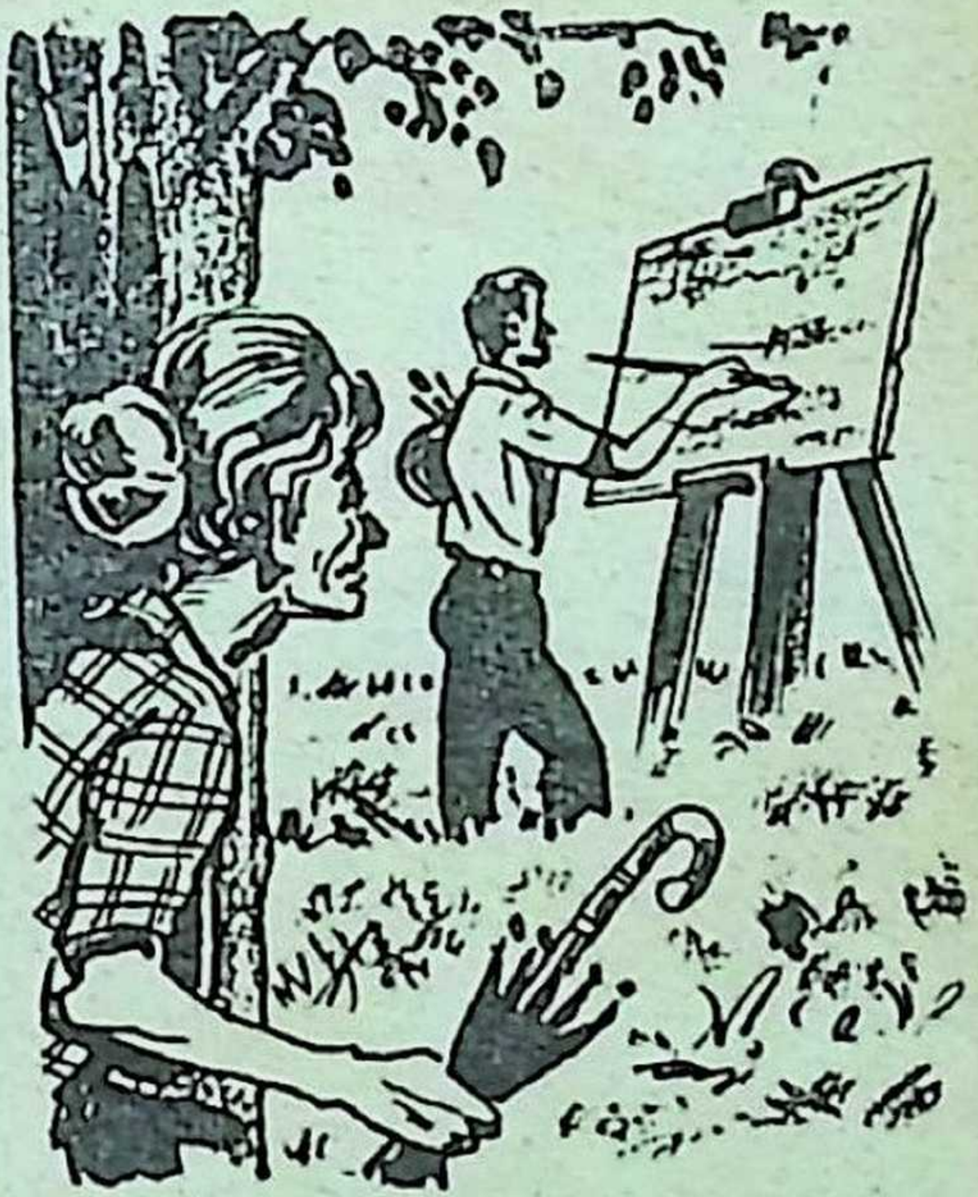

• « وفى اليوم التالى، بينما كنت أرسم لوحة عند نهاية الوادى الجميل الممتد حتى بلدة (اتريتـــا) ، رفعت عينى عن غير قصد ، فلمحت فوق قمة المنحدر « شيئا » متشحا بزى عجيب ، وكأنه صـــار خشبى رشقت فيه طائفة من الاعلام المنوعة .. **وكانت** « **هى** » !.. وما أن لمحتنى حتى اختفت !

« **وحين عدت الى الخان وقت الغداء ، حرصت على ان أتخـذ مجلسى حول المـائدة الرئيسيه ، كى أتعرف الى تلك المخلوقة العجيبة .. لكنهـا لم تستجب لمحـاولاتى التمهيدية المؤدبة ، ولا أبدت التفاتا لعبـاراتى وملاحظاتى** ، برغم أنى كنت أصب لها الماء فى كأســها ، وأقرب صحاف الطعام منها بشـــهامة ومروءة مقصودتين !.. بل كان أقصى ما تلقيته منها ردا لجميلى هزة خفيفة من رأســـها تكاد لا تلحظ ، وكلمـــة أو كلمتين بالانجليزية غمغمت بهما بصوت لا يكاد يسمع !

« وهكذا لم أجد بدا من الانصراف عن الاهتمام بها ، بالرغم من أننى لم أستطع صرف ذهنى عن التفكير فيهـــا من وقت لآخر .. فجعلت أستدرج « مدام ليكاشور » الى الحديث عنها حتى استنفدت فى خلال ثلاثة أيام ، كل معلوماتها عنها .. **فعرفت انها تدعى « مس هاربيت » ، وانها وفدت عـلى قرية (بينوفيل) منذ ستة أشهر ، لتقضى فصل الصيف ، فاذا بها تستطيب المقام هنـــاك ، ولا تبدو عليهـا نية الرحيل** .. ثم

أضافت صاحبة الخان الى ذلك بعض ملاحظاتها الشخصية ، فقالت انها لاتتكلم قط أثناء تناول الطعام ، وانما تأكل مايقدم لها بسرعة ملحوظة ، ثم تنهض كى تستأنف مطالعاتها فى الكتب الدينية التى توزع نسخا منها على كل من تقابله ، حتى لقد بلغ تصيب قسيس القرية أربعة من كتبها !٠٠ وكانت كثيرا ماتقول لصاحبة الخان فجأة وبلا مقدمات : « انى أحب الهى اكثر من كل شىء ، وأعبده فى كائنات خليقته ، وأمجده بتقديسى للطبيعة بأسرها ٠٠ بل اننى أحمله دائما فى قلبى » !٠٠ ثم تردف عبارتها باهداء محدثتها احدى نشراتها الدينيه !

« ولم تكن مس « هارييت » محبوبة فى القرية ، وكان ناظر المدرسة يصفها بأنها ملحدة ، وان معتقداتها الدينية ليست سليمة من الشوائب !٠٠ أما القسيس ، فحين سألته « مدام ليكاشور » رأيه فيها ، أجابها بقوله : « انها تبنى ايمانها الدينى على أسس خاطئة ، لكنها تبدو طاهرة الذيل ، حميدة الخلق »

« وكان طبيعيا ان تلقى هذه الآراء فى رؤوس البعض ظلالا من الشك فى حقيقة أمرها ، فانقسم الناس شيعا فى حكمهم عليها ٠٠ لكن الجميع اتفقوا على أنها امرأة غنية ، وانها قد قضت حياتها جائلة فى بلاد الارض كلها ، بعد أن تنكرت لها أسرتها ٠٠ **أما لماذا تنكرت لها أسرتها فذلك ما لم يعرفه أحد !**

« والواقع انها كانت امرأة من ذلك الطراز من الناس ذوى المبادىء الرفيعة ، من فئة الطهريين المتعصبين ـ « البيوريتان » الذين تنتجهم انجلترا بسخاء عجيب ! ٠٠ احدى أولئك العوانس الطيبات المزعجات اللواتى يبدون كالرؤى المفزعة حول موائد الفنادق الاوربية الكبرى ٠٠ يفسدن جو ايطاليا ، ويسممن هواء سويسرا ، ويجعلن من مدن البحر الابيض الجميلة أماكن كريهة منفرة !٠٠ ويحملن معهن ـ حيثما ذهبن ـ نزواتهن الشاذة ، وتزمتهن العتيق ، ووجوههن الكالحة ،

وتلك الرائحة العجيبة العالقة بهن ، التى توحى الى المرء بأنهن يقضين لياليهن داخل أكياس من المطاط !٠٠ الامر الذى يجعلنى لا أكاد ألمح احداهن فى مكان حتى ألوذ بالفرار كالطير الذى يفزع من شبح الصياد !

« **أما فى هذه المرة ، فان طابعا فريدا فى تلك العانس جعلنى لا أنفر منها !٠٠ بعكس صاحبة الخان التى كانت تمقت بطبعها كل جديد مستحدث ، فأضمرت فى قلبها العانس المتطرفة شعورا بالكراهية والازدراء ٠٠ وأوحى لها شعورها هذا بتسمية مبتكرة تفتق عنها ذهنها ، فأطلقت عليها لقب « الشيطانة »** ٠٠ وبدت لى التسمية طريفة فصرت لا أراها مرة حتى أجد لذة عجيبة فى أن أهمس لنفسى بتلك الكلمة « شيطانة ! » ، وصرت أسأل الام ليكاشور عنها بقولى مثلا : « كيف حال شيطانتنا اليوم ؟ » ٠٠ فتجيبنى فى انفعال : « ماذا تظن ياسيدى ؟ لقد أحضرت الى غرفتها ضفدعة مجروحة ، فغسلتها فى حوض الغرفة وضمدت لها جرحها كما لو كانت انسانا ٠٠ فاذا لم يكن هذا تهوسا وقذارة فماذا يكون ؟! »

* * *

◆ « **وفى** مناسبة أخرى ، صادفت العانس أثناء سيرها بمحاذاة الخليج صيادا معه سمكة كبيرة حية كان قد اصطادها ، فابتاعتها منه ، ثم ألقت بها فى البحر من جديد !٠٠ وبالرغم من الثمن السخى الذى دفعته للصياد ، فان تصرفها استثاره وأغاظه أكثر مما لو وضعت يدها فى جيبه واستولت على ماله ٠٠ بل انه ظل شهرا لايتحدث عن تلك « الفعلة » ، الا وينفعل غضبا ويصفها بأنها اهانة جارحة له !٠٠ والحق ان الأم ليكاشور قد وفقت وألهمت بوحى من عبقريتها حين اطلقت على مس هاريينت لقب « الشيطانة ! »

« لكن صاحبة الخان لم تكن الوحيدة التى أخذت على عاتقها الزراية بالعانس الانجليزية ، فقد جاراها فى ذلك آخرون ، منهم « سابور » خادم حظيرة الجياد الذى قال عنهـا بلهجته الخبيثة : « انها ساحرة شريرة استنفدت أيامها على الارض ، وآن لها ان تموت ! » ٠٠ أما ساقية الحانة الطيبة القلب « سيليست » ، فكانت تخدم النزيلة الانجليزية بتأفف وضيق ، ربما لكونها أجنبية من جنسية أخرى ، ولغة أخرى ، ومذهب دينى مخالف ٠٠ فى الوقت الذى احتدمت فيه الخصومة والتنابذ بين الكنيسة الفرنسية الكاثوليكية والكنيسة الانجليزية الانجيلية

« وكانت مس هاربيت تقضى أوقاتها فى التجوال بأنحاء الاقليم ، تتملى بجمال الريف ، وتمجد الله فى سحر الطبيعة التى أبدعها ٠ وذات مساء ، كنت أتنزه فى الحديقة ، فلفت نظرى « شىء » أحمر مختبىء بين أغصان الاشجار ، فلما نحيت الاغصان جانبا ، وجدت مس هاربيت جاثية على ركبتيها تصلى ٠٠ وفوجئت المسكينة بمرآى ، فارتبكت ، وهبت واقفة على الفور وفى عينيها نظرة الهرة المتوحشة التى ضبطت تسرق شيئا !

« وكان يحدث أحيانا أن أكون منشغلا بعملى بين الصخور المطلة على البحر ، فأراها واقفة على شاطىء الخليج بلا حراك ، مثل عمود « السيمافور » ، تحدق فى البحر العريض الذى تبرق مياهه تحت أشعة الشمس ، أو ترفع بصرها الى أديم السماء الملطخة برقع من السحاب الاحمر المشتعل بالنار ٠ وأحيانا أخرى كنت أصادفها فى بطن الوادى تسير مسرعة بخطاها الانجليزية المطاطة ، فأتجه اليها مدفوعا بدافع غريب ، لا لشىء الا لارى وجهها الحاف المتغضن وعينيها المضيئتين بضياء السعادة الباطنية العميقة !

« ٠٠ أو كنت أعثر بها فى ركن أحد الحقول جالسة فوق

الحشائش تحت ظل شجرة تفاح ، وانجيلها الصغير مفتوحا فوق ركبتها ، بينما نظراتها المتأملة عالقة بالافق البعيد

« وتوالت الايام وأنا أزداد تعلقا وشغفا بتلك البقعة الهادئة من الريف ، وكأن ألف رباط ورباط يشدنى اليها ويحببنى فى أرضها الطيبة ، الصـحية ، الجميلة ، الخضراء ٠٠ التى أشعرتنى بأننى أبعد ما أكون عن الدنيا الصـاخبة وضجيج الحياة المتحضرة ٠ بل لم لا أعترف بأن دافعا أقوى من مجرد الفضول أغرانى بالبقاء فى خان الأم ليكاشور ، لعله الرغبة فى التعرف الى هذه العانس الغريبة الاطوار ، واستقراء مايدور فى أعماق نفوس أولئك العجائز الانجليزيات الجائلات !

- ٢ -

« **وقد** تم تعارفنا فعلا على صورة غير مألوفة ٠٠ كنت قد فرغت من رسم لوحة ممتازة توقعت لهـا ذيوع الصيت — وحققت الايام ماتوقعته فبيعت بعد خمسه عشر عاما من ذلك التاريخ بعشرة آلاف فرنك ! — وكانت تمثـل صخرة كبيرة تغطيها أعشاب البحر الزاهية الالوان ، وتنصب عليها أشعة الشمس كمجرى من الزيت المتمـاوج لا يكاد يلمسها حتى تشب فيه النار ٠٠ والضوء الباقى من النهار يحجب النجوم ، فلا تبدو فى مؤخرة الصورة الا أشباحها ٠٠ والى اليسار يمتد البحر العريض ، بحر من الزبرجد فى مثل لون السماء ٠٠

« ولم أكد أتمها وأتأملها مليا ، حتى تولانى شعور بالزهو والرضى عن نفسى وعنهـا ، فحملتها الى الحـانة وأنا أرقص طربا ٠ وددت لو أتيح للعالم كله أن يرى فى وقت واحد لوحتى الرائعة ٠٠ وأذكر انى أريتها لبقرة صادفتها فى طريق عودتى وأنا أهتف بها : « أنظرى الى هذه أيتهـا الغبية ٠٠ انك لن ترى مثلها كثيرا ! » ٠٠ وحين بلغت باب الحانة الخارجى ناديت الأم ليكاشور بأعلى صوتى : « تعالى وانظرى ٠٠ » ٠٠ فجاءت

ونظرت الى الصورة بعينين يتمثل فيهما الغباء ، وبنظرة من النوع الذى يبدو عاجزا عن التمييز بين ما اذا كانت الصورة لثور أو لبيت أو ...

« وفى تلك اللحظة ، أقبلت مس هارييت من الخارج .. ومرت بمحاذاتى فى الوقت الذى كنت فيه مادا ذراعى باللوحة أمامى ، أعرضها على صاحبة الخان ، فلم يكن بد من أن يقع بصر العانس عليها وهى مارة .. **فتوقفت فجأة ، وجعلت تتأمل الصورة كالمشدوهة .. وأدركت أنا ما لفت نظرها ، فقد كانت الصخرة التى رسمتها هى ذات الصخرة التى اعتادت أن تتسلقها كلما أرادت أن تخلو بنفسها كى لا يزعجها أحد !**

« آوه ! » .. أطلقت المرأة صيحة الاستغراب هذه ، على الطريقة الانجليزية ، فاستدرت اليها مبتسما وقلت : « هذه هى أحدث لوحاتى يا آنسة ... » ، فقالت فى لهجة اعجاب رقيقة : « أوه ، مسيو ... يبدو انك فنان مرهف الاحساس ! »

« وصعد الدم الى وجهى على الفور ، واغتبطت بهذا المديح أكثر مما لو كان قدصدر من ملكة ، بل عرتنى نشوة عذبة غلبتنى على أمرى ، وجعلتنى أود لو كافأت المرأة بقبلة !

« وعندما حان وقت الغداء ، اتخذت مقعدى الى المائدة بجوارها ، كالعادة . وللمرة الاولى ، خرجت عن تحفظها ، فتبسطت معى فى الحديث . وقدمت لها أنا خبزا ، وماء ، وبعض النبيذ .. فتقبلت منى كل ذلك بابتسامه جوفاء .. ثم شرعنا نتحدث عن المنظر الذى رسمته ، فقالت فى حماس « لكم أحب الطبيعة ! »

* * *

« **وبعد** الغداء نهضنا عن المائدة معا ، وسرنا نتسكع فى فناء الحانة .. وكانت الشمس تصب نورها ونارها على

مسطح البحر ، فأغرانى جمال المنظر بأن أفتح البوابة المفضية الى الخارج فى اتجاه الخليج ٠٠ وسرنا جنبا الى جنب ، تستخفنا السعادة كأى رجل وامرأة توصل كل منهما الى فهم الآخر والتعمق الى أغوار مشاعره ودوافعه ٠٠

« وكانت الليلة صافية ساكنة ، كتلك الليالى الممتعه التى تغمر بسحرها الجسد والروح ، حتى ليغدو فيها كل شىء بهيجا جذابا ٠٠ ويترقرق الهواء المنعش محملا بأريج الاعشاب وعبير الازهار البرية الى أعماق كيان الانسان فيعطر خلاياه بعذوبته !٠٠ ومضينا حتى حافة الخليج المطل على البحر العريض الذى تصطخب أمواجه على بعد أقل من مائة متر ٠ وهناك وقفنا نجرع بأفواهنا المفتوحة وصدورنا الرحبة نسمات المحيط المنعشة التى تدغدغ البشرة ٠٠ ثم لفت رفيقتى جسمها فى شالها المربع كى تحتمى به من الهواء الرطب ، وثبتت بصرها على قرص الشمس العظيم وهو ينحدر نحو البحر ، حتى لمست أشعته الماء وبدأت تغوص فى اليم تدريجا الى أن ابتلعها تماما ٠٠ أمام أبصارنا !

« استغرقت مس هارييت فى التأملات ، وهى ترقب ـ نشوانة ـ آخر قبس فى ضوء النهار يتلاشى وينطفىء ، وسمعتها تغمغم : « ما أحب هذا المنظر الى ٠٠٠ » ، ثم استطردت والدمعة تنزلق من عينها : « **ليتنى كنت طائرا صغيرا ، كى أحلق طليقة فى أجواز الفضاء !** »

« وظلت واقفة كمن سمرت فى مكانها ، تحدق فى الافق البعيد وقد احتقن وجهها فصار فى حمرة شالها ٠٠ فى ذات الوضع الذى رأيتها فيه مرارا من قبل ٠ فأشحت بوجهى عنها وأنا أغالب ميلى الى الضحك ، ووددت لو رسمت لها رسما كاريكاتوريا وهى على تلك الصورة !

« ثم استأنفنا الكلام ، فحدثتها عن فن الرسم ، كما لو كنت أحدث زميلا فنانا ، مستخدما أعقد المصطلحات التى يفهمها محترفو المهنة ٠ وأصغت هى الى بانتباه ، باذلة كل

جهدها كى تفهم معانى الكلمات الغامضة التى استعصت عليها ٠٠ وبين الحين والآخر كانت تعلق على كلامى قائلة : « أوه ٠٠ فهمت ، فهمت ٠٠ هذا أمر شائق للغايه ! »

« ثم عدنا أخيرا الى الخان ٠ وفى اليوم التالى ، لم تكد ترانى حتى أقبلت على فى شوق ظاهر ٠٠ وصرنا صديقين !

« وأدركت من اختلاطى بها أى امرأة هى ٠٠ **كانت مخلوقة ينقصها « التوازن » ، شأن أكثر العوانس فى سن الخمسين ٠٠ ويحتفظ قلبها ببقية من حيوية الشباب وفتوة العذارى ٠٠ وكانت تكن للطبيعة والحيوان عاطفة قوية وحبا أشبه بالنبيذ المعتق ، يعوضها عن حرمانها من الحب الجنسى ٠٠ فكانت تنفعل بحمى النشوة العنيفة اذا رأت طائرا فى عشه يطوى جناحيه على صغاره التى لم ينبت لها بعد جناح ، أو فرسا ترعى فى الاحراش والى جانبها مهر وليد !**

« ولم ألبث أن أدخل تصرفها فى روعى انها تكتم شيئا تود لو تبوح لى به ، لكنها لاتجرؤ ٠ وكان خجلها هذا مبعث تسلية ومتعة لى ٠ وكنت أخرج فى الصباح الباكر وعلى ظهرى أدوات الرسم ، فتصحبنى هى الى آخر حدود القرية ، صامتة ، تصارع نفسها كى تجد الكلمات التى تبدأ بها الحديث معى ٠٠ وفجأة ، تتركنى وتعود أدراجها مسرعة بخطى مترنحة !

« وذات يوم ، وجدت فى نفسها الشجاعة كى تقول لى « بودى أن أرى كيف ترسم لوحاتك ٠٠ فهلا أتحت لى فرصة اشباع فضولى الى ذلك ؟ » ٠٠ وصعد الدم الى وجهها وهى تنطق بهذه العبارة ، كأنما قد تفوهت بكلمات مشينة !٠٠ ولم أبخل عليها بما طلبت ، فقدتها الى بطن الوادى الصغير ، حيث كنت قد بدأت لوحة جديدة ٠٠ ووقفت هى الى جوارى تتابع حركات ريشتى بانتباه عظيم ، وفجأة — وكأنما خشيت ان تكون قد ضايقتنى — قالت لى : « شكرا ! » ، وقفلت راجعة !

* * *

◆ « **ولكن** لم تمض أيام حتى غدت أكثر ألفة معى ، وصارت تصحبنى كل صباح ووجهها يطفح بشرا ، وتحت أبطها مقعد مطوى من القماش ، كانت تأبى أن أحمله لها ٠٠ فلا أكاد أبدأ عملى ، حتى تجلس الى جوارى وتظل فى جلستها ساعات صامتة بلا حراك ، تتبع بعينيها طرف ريشتى حيثما تحركت ٠٠ وحين تبرز معالم جزء من الصورة بلمسة خاطفة من الريشة ، لاتملك قمع صيحة الاعجاب والدهشة والانشراح ! ٠٠ وكانت تنظر الى لوحاتى نظرة احترام بل شبه تقديس ، لما تفصح عنه من تعبير عن ابداع الخلاق فى خلق الطبيعة الحية ! ٠٠ **بل مالبثت صورى أن بدت فى نظرها ذات طابع دينى ، حتى لقد صارت المرأة تحدثنى أحيانا عن الله ـ بفكرة هدايتى ! ـ وتصوره فى صورة الغاضب من أجل المظالم التى ترتكب تحت سمعه وبصره، العاجز عن منع ارتكابها ! ٠٠ وتصور نفسها فى صورة المطلعة على أسراره ونواهيه ، المنوط بها ابلاغ رسالته للناس ، فكانت تقول لى فى كل مناسبة : « الله يريد هذا ، ولايريد ذاك ! » ٠٠ وكأنها ضابط يبلغ جنوده أوامر قائده !**

« وصرت أعثر كل يوم ، فى جيوبى ، أو قبعتى ، أوصندوق ألوانى ، أو حذائى الذى أتركه للخادم كل ليلة أمام باب غرفتى ، على تلك النشرات الدينية المنوعة التى كانت كأنما تتلقاها مباشرة من السماء ! ٠٠ أما أنا ، فصرت أعاملها كما يعامل المرء صديقة قديمة ، بغير كلفة ٠٠ لكننى ماعتمت ان تبينت تغييرا طارئا فى أطوارها ، وان لم أعره فى البداية كبير اهتمام ٠ كنت أصادفها أحيانا فى بقعة من الوادى أو فى أحد ازقة القرية ، فلا تكاد ترانى حتى تتلاحق أنفاسها فتجلس على أقرب مقعد ، وهى تلهث من فرط التعب أو الانفعال ٠ ويحمر وجهها ذلك الاحمرار التقليدى عند الانجليز ـ وحدهم دون غيرهم ! ـ وبغتة ، وبلا أدنى سبب أو مناسبة ، يشحب وجهها شحوبا شديدا ، وتبدو كأنها على وشك الاغماء ٠٠ ثم تستعيد

هدوءها بالتدريج ، فتنحل عقدة لسانها وتكلمنى ٠ وفى وسط الحديث ـ وبغير تمهيد ـ تبتر عبارتها ، وتهب واقفة ، ثم تمضى عنى مسرعة بخطى عنيفة تاركة اياى أضرب كفا بكف ، محاولا عبثا أن أهتدى الى السر الذى أغضبها منى على هذا النحو !

« وكانت تعود أحيانا الى الحانه ، بعد مسيرة ساعات على الشاطىء العاصف ، شعثاء الشعر ، فتقصد الى غرفتها رأسا كى تصلح من هيئتها ، ثم تعود مهندمة ٠٠ فأقول لها مازحا ، وان بدا كلامى فى قالب جدى : « لكم أنت جميلة اليوم يامس هارييت ! » ٠٠ واذ ذاك تقفز الى وجنتيها حمرة خفيفة أشبه بحمرة العذراء التى فى سن الخامسة عشرة ٠٠ وتغدو جافة معى بعد ذلك لفترة ما ، تقاطعنى خلالها فلا تمنحنى شرف مصاحبتى وأنا أرسم !٠٠ فكنت أقول لنفسى : « انها أزمة نفسية عارضة لن تلبث أن تزول »

« لكن الازمة لم تكن تنتهى دائما سريعا ٠ كنت فى بعض المرات أكلمها ، فتجيبنى اما بعدم مبالاة أو بغضب ظاهر ٠٠ وأحيانا كانت تغدو فظة عصبية نافذة الصبر ! ثم مرت فترة لم أكن أراها فيها الا حول مائدة الطعام ، فكنا نتبادل بضع عبارات مقتضبة !٠٠ واخيرا انتهى بى التفكير فى علة تبدل أطوارها الى انى لابد قد أسأت اليها بغير أن أشعر ٠ فسألتها ذات ليلة : « لماذا صرت تعاملينني بغير معاملتك الاولى يامس هارييت ؟ ٠٠ بماذا أسأت اليك ؟ ٠٠ ان مسلكك يسبب لى ألما عميقا ! »

فأجابت بلهجة غاضبة : « هذا غير صحيح٠٠ غير صحيح٠٠ ان مسلكى نحوك لم يتغير ! » ٠٠ ثم اندفعت تصعد السلم الى غرفتها ، وأغلقتها على نفسها !

« وصارت تنظر الى أحيانا نظرة غريبة ، أشبه بنظرة المحكوم عليهم بالاعدام حين يعلمون أن يومهم الاخير على الارض قد أقبل !٠٠ كان يكمن فى عينيها لون من الحماقة ٠ حماقة

غامضة وعنيفة معا .. بل أكثر من ذلك ، حمى .. رغبة فائرة قلقة ، لاهى بالمتحققة .. ولا بالمتعذرة التحقيق !

« أجل .. لقد خيل الى أن معركة كانت تصطرع فى قلبها .. معركة اقتتل فيها قلبها مع قوة مجهوله كانت تريد إخضاعها .. أو لعلى كنت مخطئا ، ولكن أنى كان لى أن أعرف ؟!

- ٣ -

« ثم جاء اليوم الذى أزيح فيه الستار عن الحقيقة ! . كنت قد بدأت منذ فترة لوحة جديدة تمثل غديرا عميقا ، يجرى فى بطن واد ضيق سحيق ، تحف به أحراش وصفوف متراصة من الاشجار ، غارقة فى بحر من الابخرة والضباب ، مسربلة فى ذلك الرداء الهفهاف الذى يرفرف فوق الوديان فى مطلع النهار . ومن وراء هذه الغلالة الرقيقة ، يبدو بل يبدو شبحان متعانقان لفتى وعذراء ، رأسها على كتفه .. والشفاه ملتقية !.. وخلف العاشقين الريفيين ، التمع شعاع من الشمس خلال الاغصان ، فثقب ضباب الفجر ، وأشاع فيه ضوءا فى لون الورد ..

« وبالاختصار فقد جاءت اللوحة آية فى الروعة والابداع . وفى اليوم الذى وقع فيه الحادث الذى أعنيه ، كنت أشتغل برسم المنحدر المشرف على الغدير ، وقد استوحيته من طبيعة المكان المؤدى الى وادى « اتريتا » .. وصادف ان خيمت على الوادى فى ذلك الصباح تلك الغلالة من الضباب التى كنت أنوى رسمها .. وفجأة برز فى الافق الذى أرسمه شىء ، شبح ما .. وكانت مس هارييت !

« لكنها لم تكد ترانى حتى عمدت الى الفرار ، فلاحقتها مناديا : « تعالى .. تعالى هنا يا آنسة .. فلدى لك صورة رائعة ! »

« وجاءت ، فى مشية تنطق بالتردد والتخاذل ، فأريتهـا لوحتى • لكنها لم تعلق بكلمة ، بل وقفت تتأملها طويلا ، جامده بلا حراك • وفجأة ، انهمرت من عينيهـا الدموع •• بكت بعصبية وحرقة كما يبكى الرجال بعد ان يجاهدوا أنفسهم طويلا لقمع دموعهم ، بلا جدوى ، فيستسلمون لشجنهم راغمين !

« ووجدتنى أنهض من مقعدى مضطربا ، متأثرا ، وقد هزتنى رؤية ذلك المظهر المفاجىء من مظاهر الاسى الذى لم أفهم كنهه • وتناولت يديها بحركة عطف طبيعية ، مدفوعا بتلك الغريزة التى توحى للمرء أن يتصرف بأسرع مما يفكر

« وتركت هى يديها فى يدى بضع ثوان ، أحسست خلالها انهما ترتجفان فى عصبية شديدة •• ثم سحبتهمـا ، بل انتزعتهما من يدى فى خشونه !•• **وأدركت للفور كنـه تلك الرعشة •• لقد صدق حدسى • انها رعشة الحب عندمايصيب المرأة ، سواء فى سن الخامسة عشرة أو فى سن الخمسين !•• كان كيانها كله كريشة فى مهب الريح ، لاسيطرة لهـا على نفسها !•• وقبل أن أتمالك نفسى لانطق بكلمـة ، انفلتت المسكينة من بين يدى لاتلوى على شىء ، تاركة اياى مشدوها كما لو كنت قد شهدت معجزة خارقة ، مضطربا كما لو كنت قد ارتكبت جريمة بشعة !**

« ولم أعد الى الحانه لتناول الفطور بل مشيت على شاطىء الخليج وبى احساس من يريد أن يبكى أو يضحك •• لا أدرى أأنظر الى المغامرة نظرتى الى ملهاة أو الى مأساة ؟• كان موقفى يدعو الى الرثاء حقا ، حتى لقد خيل الى انى فقدت رأسى !

« وجعلت أسأل نفسى : ماذا ينبغى أن أفعل ؟ أولا يحسن أن أبادر بمغادرة القرية فورا ؟ •• وسرعان ماصح عزمى على الرحيل •• فجعلت أتسكع فى أرجاء الوادى حائرا مكتئبا حتى وقت الغداء ، ثم عدت الى الخان أجر أذيال الخيبة والحسرة على

قرب سفرى الاضطرارى ، فوجدت القوم قد بدأوا يتنـاولون الحساء ..

« واتخذت مقعدى حول المائدة كالمعتاد. وكانت مس هاربيت فى مكانها ، تأكل واجمة ، لاتكلم أحـدا أو ترفع عينيهـا الى أحد .. وعلى وجهها نفس التعبير الصارم الذى ألفته ..

« وانتظرت بصبر نافد حتى فرغ الجميع من الغـداء ، ثم استدرت الى صاحبة الخان قائلا : « يؤسفنى يامدام ليكاشور أن أرانى مضطرا الى الرحيل من هنا فى أقرب وقت ! »

« وبدت الدهشة والاسف على أسارير المرأة الطيبة ، وقالت فى صوت مضطرب : « ماذا تقول ياسيدى ؟ أتنوى أن تتركنا بعد أن ألفنا صحبتك ؟ »

« ونظرت الى مس هاربيت من زاوية عينى . لكنى لم ألحظ عليها أى تغير !.. بعكس خادمة الخان « سيليست » التى أقبلت على تستفسرنى وقد اتسعت حدقتاها استـغرابا !.. وكانت سيليست فتاة فى نحو الثامنة عشرة ، متوردة نضرة ، قوية البنية ، بدينة الجسم ، تمتاز عن بنات طبقتها بولعهـا الشديد بالنظافة والتأنق ..

* * *

• « وتوجهت بعـد الغداء الى الفنـاء العريض ، كى أدخن غليونى تحت شجرة التفاح ، ثم جعلت أذرع المكان ذهابا وجيئه من ركن الى ركن ، شارد الذهن ، أستعيد وأجتر الاحداث المفاجئة التى وقعت لى فى الصباح: العاطفة العنيفة التى وجدت نفسى بغتة هدفا لها ، والذكريات المنوعة التى تداعت فى رأسى على أثر الاكتشاف ، فأضاءت لى مقدمات ذلك الحب التى مرت على بغير أن أتنبه لمدلولها فى أوانها .. الذكريات العذبة والاليمة فى وقت معا .. ثم قد أكون فكرت أيضا فى مغزى تلك النظرة التي رمقتني بها الخادم حين أعلنت نبأ اعتزامى

الرحيل !... كل هذه الافكار المختلطة المتداخلة أثارت فى نفسى نوعا من الانفعال الجثمانى ، أحسست معه فجأة بدغدغة القبلات على شفتى ، وبنار تمشى فى عروقى وتهيب بى أن .. أرتكب حماقة !

« فلما هبط الليل ، وألقى ظلاله القاتمة تحت الاشجار ، تبعت سيليست خلسة بخطى متلصصة الى أقصى الفناء ، حيث مضت لتغلق « عشة » الدجاج .. ثم كمنت لها فى ركن مظلم ريثما تحكم رتاج النوافذ الصغيرة التى تدخل منها الكتاكيت وتخرج .. فلما فرغت من مهمتها وهمت بالعودة ، برزت لها من مكمنى وأخذتها بين ذراعى وأمطرتها بوابل من القبلات المحمومة .. وفيما هى تقاومنى بعزيمة خائرة ، وتضحك كعادتها فى مثل هذه المناسبات ، شعرت بذراعى تتراجعان عنها فجأة فى تخاذل ، وقلبى يدق صدرى بشدة كمن تلقى صدمة مباغتة !.. ترى من هذا الذى أسمع خطواته خلفى ؟

« .. كانت مس هارييت !.. وقد تسمرت قدماها على قيد خطوات منا كتمثال ، وأخذت تنظر الينا ولا تتحرك !.. وبعد لحظة كانت قد اختفت فى الظلام من حيث أتت !

« وخجلت من نفسى ، وتولتنى حيرة تفوق ما كان خليقا أن يتولانى لو أنها ضبطتنى ارتكب جريمة بشعة !

« ولم أنم فى تلك الليلة .. أزعجتنى وطاردتنى ألوان من الافكار القاتمة ، الحزينة . وخيل الى انى أسمع صوت نحيب متقطع ، ولو انى كنت واهما فى ذلك . بل توهمت أكثر من ذلك .. توهمت انى سمعت شخصا يصعد ويهبط سلم الخان أكثر من مرة ، بل ويفتح على باب غرفتى !

« وأخيرا ، قبيل الفجر ، هدنى التعب والاجهاد فأغفيت . وصحوت متأخرا ، فلم أبرح حجرتى حتى موعد الفطور ، خجلا من أن تلتقى عيناى بعينى مس هارييت . لكن خجلى وحيرتى زايلانى حين هبطت أخيرا فلم أجدها حول المائدة ، وقال الجميع

انهم لم يروها فى ذلك الصباح ٠٠ فانتظرناها فترة ، لكنها لم تظهر ٠ واذ ذاك قصدت الام ليكاشور الى غرفتها لتستدعيها ٠٠ فلم تقف لها فيها على أثر ! ٠٠ وأيقنا كلنا انها لابد قد خرجت فى مطلع النهار كما اعتادت أن تفعل أحيانا ، كى تستمتع بمنظر شروق الشمس ٠ ولم يستغرب أحدنا ذلك ، فعكفنا على فطورنا نتناوله صامتين ٠٠

« وعند الظهر ، كان الجو حارا ، قائظا ، والهواء ساكنا ثقيلا ، لايحرك غصنا أو ورقة ٠ وكانت المائدة قد أعدت فى الفناء ، تحت شجرة التفاح ٠ ومن وقت لآخر ، كان الفتى « ساربور » ـ سائس الجياد ـ يروح ويجىء حاملا من القبو قنينة من خمر التفاح المعتق ٠٠ فقد كنا جميعا فى أشد حالات الظمأ ٠ أما سيليست ، فكانت تحمل الينا من المطبخ صحاف الطعام عامرة باللحم والبطاطس ولحم الارنب البارد و « السلطة » وأخيرا ، وضعت أمامنا طبقا من الفراولة الطازجة ، كان أول تباشير المحصول الجديد ، فطلبت من الخادم أن تاتى بدلو من الماء البارد لغسل الفراولة وتبريدها ٠٠

« لكنها عادت بعد دقائق تقول ان البئر قد جفت من الماء ، وانها قد أنزلت الدلو الى آخر الحبل حتى لمس القاع ، ثم رفعته فارغا كما كان ! ٠٠ وأزعج النبأ الام ليكاشور ، فمضت لتتحرى الحقيقة بنفسها ، ثم عادت تقول انها رأت فى البئر شيئا غير عادى ، وان لم تتبين كنهه بوضوح ، ولا بد أنه حزمة من القش ألقاها أحد الجيران بدافع الكيد لها !

★ ★ ★

• « وأثار الامر فضولى ، فأردت أن أذهب بدورى لكشف ذلك السر الغامض ٠ ولم أكد انحنى بجذعى على حافة البئر حتى لمحت فى جوفها شيئا أبيض ، لم أستطع تمييزه ٠ ترى ماذا يكون ؟ ٠٠٠ واذ ذاك خطر لى أن أدلى مصباحا الى جوف البئر ،

ففعلت . ورقص اللهب الاصفر على جدار البئر الحجرية ، فبدأ القاع يظهر بوضوح . وكان أربعه منا قد انحنوا ينظرون بفضول وشوق . ثم استقر المصباح على كتلة مختلطة من السواد والبياض ، غير واضحة المعالم ، فهتف « سابور » : « إنه حصان .. ها أنا أرى حوافره .. لابد إنه انفلت من الاحراش فى ظلمة الليل ، فسقط فى البئر وهو يركض بسرعة ! »

« وفجأة مرت بظهرى قشعريرة باردة .. فقد تبينت قدما بشرية ، ثم ساقا مكسوة بالثياب .. ثم اكتمل الجسم كله ، ماعدا الساق الاخرى ، التى كانت ولا ريب غائصة تحت الماء !

« وشهقت مذعورا ، وتولتنى رعدة شديدة هزت الحبل فى يدى فتأرجح ضوء المصباح بين جدران البئر ذهابا وجيئة .. وفى أثناء تأرجحه ، وقع على فردة حذاء . فصحت من فورى : « انها امرأة .. .ولكن من ، من تكون ؟.. يا الهى ، انها مس هاربيت ! »

« كان سابور أربط الجميع جأشا ، فقد سبق له أن شاهد مشاهد كثيرة مماثلة فى افريقيا !

« أما الام ليكاشور وسيليست، فجعلتا تصرخان وتتصايحان فى رعب ، وهما تلوذان بالفرار

« وكان لابد من انتشال الجثة ، فربطت الفتى الافريقى فى طرف الحبل ، وأدرت البكرة برفق ، فهبط الفتى تدريجا حتى اختفى فى جوف البئر ، ولم ألبث أن سمعت صوته وكأنه منبعث من جوف الارض ، وهو يصيح بى : « كفى ! » .. ثم لمحت شبحه يلتقط الساق الاخرى من الماء.وحين فرغ من ربط قدمى الجثة ، هتف بى : « اجذب الحبل » .. فبدأت أجذبه بمجهود شاق ، لكننى شعرت بذراعى تخذلاننى وعضلاتى تتراخى .. فتملكنى الذعر خشية أن ينفلت الحبل من يدى فيسقط الفتى الى القاع .. فلما برز رأسه فوق حافة البئر ،

تنفست الصعداء ، وسألته بلا وعى : « ماذا وجدت ؟ » ـ كأنما كنت أجهل ما وجد ! ـ ثم اشتركنا معا فى رفع الجثة

« وكانت الام ليكاشور والخادم سيليست نرقباننا من بعد ، وهما مختبئتان وراء حائط الحانة ٠٠ فلما شاهدتا حذاءى الغريقة يبرزان من داخل البئر ، وفى أثرهما جوربيها ، ثم ساقيها ٠٠٠ هرعتا الى داخل الخان وقد تولاهما الفزع !

« وكنا قد جذبنا جثة المرأة من ركبتيها حتى أخرجناها من البئر ، فوجدنا رأسها مهشما اختلطت عظامه بلحمه واسودت معالمه ٠٠ وشعرها الاغبر الطويل متهدلا معقدا أشعث ٠ فهتف سابور فى دهشة : « رباه ٠٠ كم هى نحيلة البدن ! »

« وتعاونا على حملها الى غرفتها ٠ ولما لم تظهر واحدة من النسوة فى المكان ، فقد اضطررنا لتهيئتها للدفن بأنفسنا ، فتوليت أنا غسل وجهها المشوه ٠٠ **وفيما أنا أقوم بهذه المهمة ، لمست أصابعى احدى عينيها ، فانفتحت قليلا ٠٠ وبدت كما لو كانت تتفحصنى بتلك النظرة الشاحبة الباردة الرهيبة ٠٠ نظرة الاموات التى يخيل لمن يراها انها آتية من العالم الآخر !**

« ٠٠ وبذلت جهدى فى تصفيف شعرها الاشعث قدر طاقتى ، وأصلحت وضع خصلة نافرة منه فوق جبهتها ، ثم جردتها من ثيابها المبللة وقد تملكنى شعور بالخجل ، وكأنى قد أتيت فعلا دنسا ، فانكشفت كتفاها وصدرها ، وذراعاها الطويلتان النحيلتان كأغصان الشجر !

« ثم هبطت الى الحديقة أبحث عن بعض الازهار البيضاء والاعشاب النضرة المعطرة كى أفرش بها فراشها الاخير ٠ واقتضانى عدم وجود أحد غيرى الى جوارها ، أن أتولى بنفسى جميع المراسم الخاصة بدفنها ، ففضضت خطابها الذى عثرت عليه فى جيبها ، والذى أيقنت انها كتبته فى آخر لحظة ٠ وقد وجدت فيه وصيتها الاخيرة ، التى التمست فيها أن تدفن فى

القرية التى قضت فيها آخر أيامها . وعندما قرأت هذا ، خطر لى خاطر مخيف جثم على قلبى طيلة النهار : « **ألم تختر قبرها فى ذلك المكان بالذات .. كى أتولى أنا دفنها ؟!** »

* * *

• « وبليل المساء ، أقبلت نسوة القرية الثرثارات ليشبعن فضولهن برؤية جثة التعسة ، لكننى لم أسمح لواحدة منهن بالدخول الى الغرفة .. فقد أردت أن أنفرد بنفسى وبضحيتى » ! .. وبقيت ساهرا على جثتها الليلة بطولها !

« وعلى ضوء الشموع المتأرجح ، جعلت أتأمل جثة العانس البائسة ، التى ماتت هذه الميتة المفجعة ، بعيدا عن وطنها وأهلها ، وأنا أسائل نفسى : « ألم يكن لها أصدقاء أو أقارب؟ .. كيف قضت سنوات شبابها وطفولتها ؟! .. منذ متى هجرت بلدها وأسرتها وجاءت تضرب فى الارض منفردة ، ككلبة طريدة ؟ .. أية أسرار وآلام ومحن قد انطوى عليها هذا القلب الساكن ، وأوصدت عليها هاتان الشفتان ، واختفت داخل هذا الجسد الهامد ؟ .. وأية مأساة غامضة تلك التى طوحت بهذه المرأة هاهنا ، بعيدا عن الوطن ، والاسرة ، والحنان .. والحب ؟ » .

« واسترسلت بى خواطرى الى نتيجة واحدة : **كم فى الدنيا من مخلوقات بائسة ونفوس معذبة ؟ .. وشعرت ان مظالم الطبيعة القاسية الخالدة قد ناءت بكل ثقلها على هذه المخلوقة! .. انها قد فرغت من الحياة بغير أن تتذوق مرة – فيما يلوح – ذلك الامل الذى يهون الحياة حتى على أتعس التعساء من البشر ... الامل فى أن تصادف يوما رجلا يحبها ! ... والا فلماذا كانت تحرص دائما على الانزواء والفرار من الناس ؟ .. ولماذا أحبت دائما ، بكل عنف ورقة ، جميع الكائنات الحية ، باستثناء كائن واحد : الرجل ؟!**

« وقد تبينت الى جانب ذلك انها كانت تؤمن باله ، تأمل فى أن يعوضها عما قاست فى حياتها من آلام !‍ .. وهاهى ذى قد أصبحت جثة لن تلبث أن تتحلل وتغدو ترابا يختلط بالارض ، فتتغذى عليه الاعشاب التى تنمو فى هده الارض . وهكذا تستحيل الى أعشاب تأكلها الماشية ، فتتحول فى احشائها من جديد الى لحم ودم .. ويتغذى الانسان على هذا اللحم ، فلا تلبث مرة أخرى ان تتحول الى .. لحم آدمى !.. أما روحها ، التى طالما توهجت ، فقد خمدت أخيرا فى جوف البئر المظلمة ، فما عادت تقاسى وتتألم !

« وتوالت على الساعات ، وانا فى خلوتى مع الجثة ، مسترسلا فى تأملاتى ونجواى ، حتى أعلن ضوء الفجر الشاحب أخيرا مشرق يوم جديد .. وانساب من النافذة شعاع باهر ارتمى على فراش العانس الطاهرة .. انها الساعة التى طالما أحبتها .. والتى تصحو فيها الطيور ، فيسمع تغريدها من فوق أغصان الشجر ..

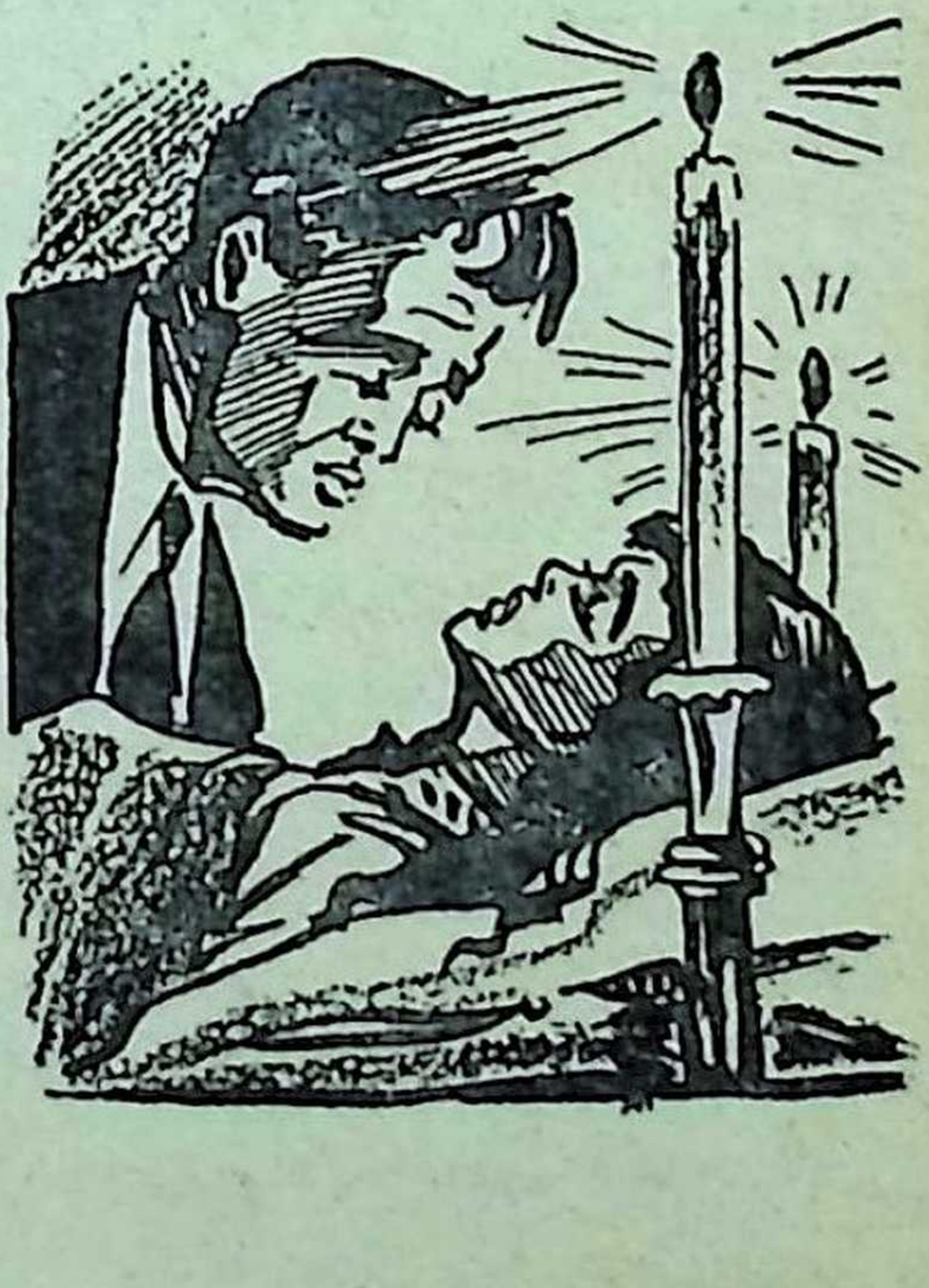

« وفتحت النافذة عن آخرها ، وأزحت عنها ستائرها ، حتى تستطيع السماوات كلها أن تطل علينا .. ثم انحنيت على الجسد البارد المسجى ، فتناولت الرأس المشوه بين يدى .. **وبغير فزع أو اشمئزاز ، طبعت قبلة طويلة على تلكما الشفتين اللتين لم تتلقيا قط من قبل.. تحية الحب ! »**

* * *

◆ ولاذ « ليون شينال » بالصمت ، فانهمرت دموع التأثر من أعين النساء ٠٠ وعقد الوجوم ألسنة الرجال ٠ وكان الحوذى قد غلبه النعاس وهو فى مقعده ، واستراحت الجياد من سياطه اللاذعة ، فأبطأت من خطوها ٠ ومضت العربة فى طريقها على مهل ، كأنما أثقل الحزن ظهرها ٠٠ وأعضها الاسى!

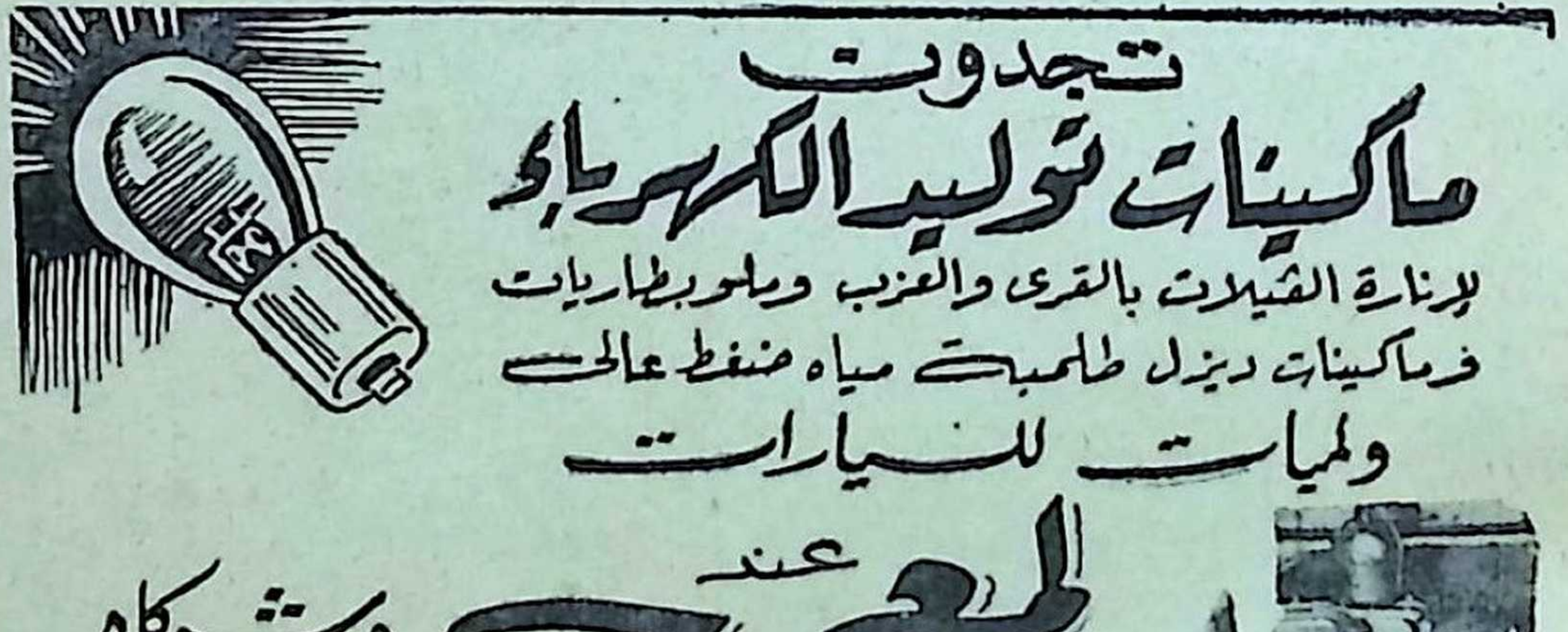

كتب الأولين

كنوز الكتب القديمة

عزيزى القــارىء ...

قرات معى فى الاعداد الماضية من كتابى ، من روائع الكتب القديمة ، هذه الكتب على التوالى :

« ديكاميرون » : بوكاشيو
« دون كيشوت » :
« الالياذة » : هوميروس
« اميل » : جان جاك روسو
« حى بن يقظان » : ابن طفيل
« روبنسن كروزو » : دانييل ديفو
« غرام الاخوين » : (كاتب فرعونى مجهول)
« يوتوبيا » : توماس مور
« الجمهورية » : افلاطون
« الكوميديا الالهية » : دانتى
« الأوديسة » : هوميروس
« العالم كما يسير » : فولتير
« غرام مشبوب » : لين يوتانج
« رباعيات عمر الخيام »
عفاف (كوزى سانكتا) : فولتير
« رسالة الغفران » : المعرى
« نظرية التطور » : داروين
« رأس المال » : كارل ماركس
« العقد الاجتماعى » : روسو
« الابطال وعبادة البطولة » : توماس كارليل
« أسرار انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية » : ادوارد جيبون

وفيما يلى أقدم لك الكتاب الذى تشتاق اليه منذ وقت طويل : « الأمير » !

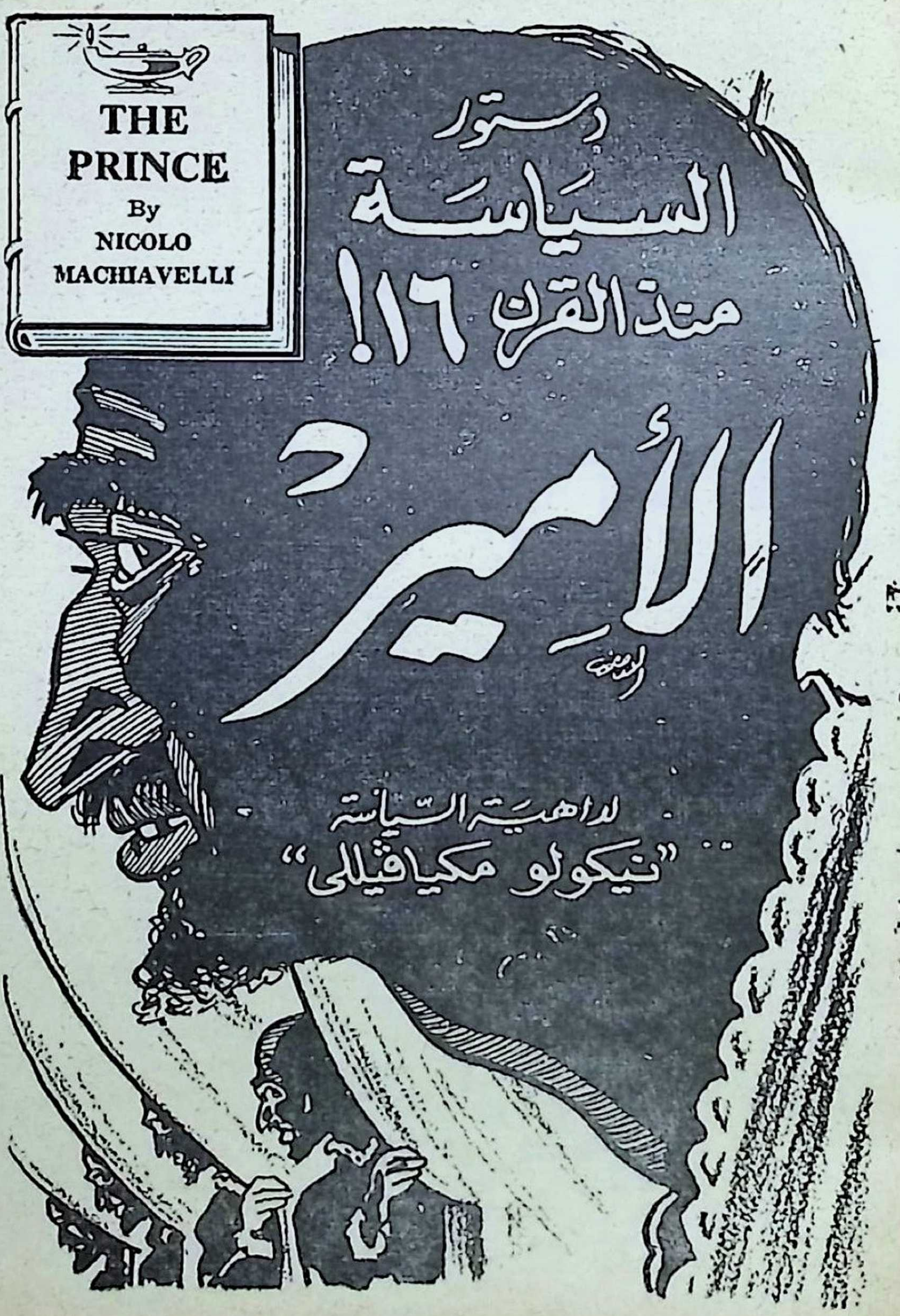

THE PRINCE
By
NICOLO
MACHIAVELLI
دستور
السياسة
منذ القرن ١٦!!
الأمير
لداهية السياسة
"نيكولو مكيافيللي"

الكتاب الذى مات صاحبه قبل نشره !

◆ ماذكر اسم « مكيافيللى » مرة ، الا وقفزت الى الاذهان صورة « شيطان » بشع ، يوسوس الى رجال الحكم بانتهاج سياسة القسوة ، والغش ، والدس ، للسيطرة على الشعوب ، دون احتفال بالمبادىء الدينية ، والانسانية ، والخلقية ! .. وما ذكر « الامير » مرة ، الا وتمثل السامع دستورا اسود يبرر الجور والظلم ، والتجرد من الانسانية والضمير ، فى حكم الشعوب والدول ! .. اما مبعث هذه الاطارات المظلمة ، البشعة - التى احاطت بالكتاب ومؤلفه - فامر لانستطيع ان نجزم به ، وان كان الانصاف يدعونا الى ان نذكر ان بعض النقاد نهضوا اخيرا للدفاع عن « سياسة مكيافيللى » ، مؤكدين ان المبادىء التى بنيت عليها لم تكن من ابتكاره ، وانما هى مستمدة من طبيعة الانسان ، وطبيعة السياسة ! .. على اننا نكتفى هنا بان نقدم لك تلخيصا امينا ، وافيا - للمرة الاولى فى اللغة العربية ، فيما نعلم - وندع لك امر الحكم على « مكيافيللى » ، وعلى « الامير » التى قصد به « الحاكم » او « رئيس الدولة » . ومما يذكر ان « مكيافيللى » نفسه كان من رجال الحكم وفلاسفة السياسة فى ايطاليا . فقد ولد فى سنة ١٤٦٩ ، وارتقى الى ارفع المناصب فى (فلورنسا) - حين كانت جمهورية - ثم اشتبه آل « مديتشى » فى انه كان يتآمر عليهم ، فاقصوه عن المقاطعة ، ولكنه ما لبث أن استرد حظوته لديهم . وقد الف كتبا فى « فن الحرب » ، وفى تاريخ (فلورنسا) . وكان « الامير » آخر كتبه ، اذ وضعه فى سنة ١٥١٣ . ولكن الكتاب لم ينشر الا فى سنة ١٥٣٢ ، بعد وفاة المؤلف بخمس سنوات !

من نيكولو مكيافيلى ..

الى لورنزو العظيم بن بييرو دى مديتشى

« اعتاد أولئك الذين يرغبون فى كسب ود أى أمير ، أن يسعوا الى ذلك بتقديم الهدايا اليه ، من أثمن مايمتلكون ، أو مما يعلمون انه يستطيب من أشياء !.. ولكننى لم أجد بين مقتنياتى شيئا أعتز به — أو أقدره — فوق معرفتى بأفعال العظماء ، تلك المعرفة التى اكتسبتها عن طريق الخبرة الطويلة بأحداث الحاضر ، والدراسة المتواصلة للماضى .. وليس فى وسعى أن أقدم اليك هدية أعظم من ان أمكنك من الالمام — فى وقت جد قصير — بكل تلك الامور التى تعلمتها أنا وتكبدت فى سبيلها متاعب الفقر والحرمان والتعرض للخطر ، طوال سنوات عديدة .. فان من الضرورى للحاكم أن يعرف طبيعة الناس معرفة وثيقة ، كما انه من الضرورى للرعية أن تعرف طبيعة الحكام » !

أنواع الحكومات وطرق اقامتها

• **الدول** التى تسيطر — أو سيطرت — على الجنس البشرى ، نوعان : فهى اما جمهوريات ، أو ممالك .. والممالك اما وراثية — ينحدر الحكام فيها لسنوات عديدة من أسرة واحدة — واما حديثة القيام . وهذه الحديثة ، اما أن تكون جديدة تماما ، أو تكون بمثابة « أعضاء جدد » ضمت الى الممتلكات الموروثة للامير الذى ضمها .. والاراضى التى من هذا القبيل ، اما أن تكون قد ألفت حكم أمير آخر من قبل ، واما أنها كانت أراضى حرة وضمت بقوة السلاح ، أو أصبحت من نصيب الامير الذى ضمها لمجرد الحظ ، أو لموهبة خاصة لديه

ولن أتحدث هنا عن الجمهوريات ، وانما سأقتصر على تناول الممالك . وأول شىء أقوله ، هو ان الاحتفاظ بالدول

الموروثة ، والتى اعتادت الخضـــوع لحكم أسرة مالكة ، أقل عناء من الاحتفاظ بالممالك الجديدة .. **اذ يكفى ان لايتجاوز الامير سلطات وأساليب أسلافه ، وان يهيىء نفسه للطوارىء ، كى يحتفظ بملكه ، ما لم تجرده منه قوة اسـتثنائية وقاهرة جدا !.. وحتى فى هذه الحالة ، يسـتطيع الامير ان يسترد مملكته ، عندما يعرض للمغتصب أتفه حادث من سوء الحظ.. ومن الطبيعى أن يكتسب الامير الشرعى محبة شعبه ، طالمـا تحاشى أى سبب أو داع للاساءة الى هذا الشعب ..**

وانما تقوم الصعاب حقا ، فى البلد الذى تكون فيه الملكية حديثة العهد . فأولا : اذا لم تكن المملكة جديدة تماما ، ولكنها عضو فى دولة أخرى ، فان القلاقل تنشأ فى البدايه من صعوبة طبيعية توجد فى جميع الممتلكات الجـديدة .. تلك هى ان الناس يستبدلون حكامهم ، أملا في أن يحسنوا من أحوالهم ، وهذا مايجعلهم يشقون عصا الطاعة على حكامهم اذا ماخدعوا فيهم ، وأثبتت لهم التجارب ـ فيما بعد ـ أنهم انما انحدروا من سىء الى أسوأ !.. وهكذا ، فانك تجد العداوة من كل من تلحق بهم الضرر باحتلالك لبلادهم ، كمـا انك لاتستطيع أن تحتفظ بصداقة أولئك الذين ساعدوك على تملك هذه البلاد . لانك لن تســتطيع أن تحقق لهم كل مايرتقبون من مطامـع وآمال ، ولن يسعك أن تتخذ اجراءات حازمة ازاءهم ، لانك مدين لهم بالفضل !.. ولهذا السبب ، تظل دائما فى حاجة الى رضاء أهالى أى اقليم اذا شئت أن تمتلكه ، مهما تكن قوة حشوك !

مبادىء فى الاستعمار واغتصاب الدول !

◆ **ومن الصحيح** حقا ان الاراضى الثائرة لايسهل فقدانهـا بعد اخضاعها من جديد ، لان الحاكم فى هذه الحال يغدو أكثر اصرارا على تعزيز منصبه ، بمعاقبة الخارجين عليه ، وبكشف

اللثام عن مواطن الريب ، وبتحصين مواطن الضعف !٠٠ ولكن من المعروف أن الدول التى تندمج – بالضم – فى دولة كانت قائمة من قبل ، قد تتحد مع هذه الدولة فى القومية واللغة ، وقد تختلف عنها فيهما ٠ **فاذا كان الوضع الاول ، سهل امتلاك زمامها ، لاسيما اذا كانت لم تألف الحرية من قبل ٠ ويكفى لتأمين امتلاكها ، القضاء على أسرة الامراء الذين كانوا يحكمونها فيما سبق ٠ وفيما عدا ذلك ، فان حالها القديمة لن تتغير ، اذ أن عدم اختلاف العادات يجعل الشعب يستقر هادئا فى ظل حكامه الجدد** ٠٠ ومن ثم فالحاكم الذى يمتلك بلادا كهذه ويود أن يحتفظ بها ، يجب أن يضع نصب عينيه أمرين : أولهما ، القضاء على سلالة الحكام السابقين ٠ وثانيهما ، عدم احداث أى تعديل فى القوانين أو فى الضرائب

أما عندما تكون الاراضى من اقليم يختلف فى اللغة ، والقوانين ، والعادات ، فان الصعاب التى لابد من مغالبتها تكون أكبر ، ومن ثم يتطلب الاحتفاظ بها حظا ، وجهدا عظيما٠ ومن أفضل الطرق وأضمنها فى ذلك ، أن يتخذ الحاكم الجديد لنفسه مقرا فى البلاد المضمومة ٠٠ فان وجوده فيها يمكنه من أن يرى القلاقل حين تنشب ، فيبادر الى علاجها ٠٠ فضلا عن أن البلاد لايمكن أن تغدو نهبا لعمالك ، لان المحكومين يملكون أن يحصلوا على مايرضيهم عن طريق الاتصال المباشر بك ٠٠ كما أن أية دولة خارجية تطمع فى غزو تلك الدولة ، تصبح أقل اقداما ، طالما كان الامير مقيما فيها !

وهناك طريقة أخرى ، وهى اقامة مستعمرات فى موقع أو اثنين من المواقع الرئيسية فى البلاد المضمومة حديثا ، يسكنها الامير أفرادا من رعيته الاصلية ، مما يغنيه عن الاحتفاظ بقوات كبيرة من الجيوش المسلحة (١) ٠ ولن تكبد هذه

---

(١) على نحو ماتفعل فرنسا فى شمال افريقيا وما فعلت ايطاليا فى ليبيا قبل الحرب الماضية ٠٠

المستعمرات الامير الا القليل ، ولن يلحق ضررا الا بأصحاب الاراضى والدور التى ينتزعهـا ليهبها للسكان الجدد !٠٠ **وهؤلاء المصابون بالضرر فئة ضئيلة بالنسبة لسكان الدولة جميعا ، فضلا عن أن فقرهم وتشتتهم يجعلهم عاجزين أبدا عن الاساءة اليه ٠ فى حين ان البـاقين ـ الذين لم ينلهم أذى ـ يظلون فى خوف من الاساءة ، حتى لايعاملوا كأولئك الذين شردوا ٠ اذ يجب أن نلاحظ أن الناس اما أن يعاملوا بالحسنى، واما أن يعـاملوا بالبطش والابادة ، ذلك لانهم قد يثأرون لانفسهم اذا ما أصيبوا بأضرار بسيطة ، ولكنهم يعجزون عن الثأر اذا كانت الاضرار بالغة ، ومن ثم فلابد ان يكون الضرر الذى نلحقه بالانسان بالغـا حتى لانحتاج الى الخـوف من انتقامه** !٠٠ أما اقامة حامية فى البـلاد المضمومة ـ بدلا من المستعمرات ـ فيكبد نفقـات تستنفد كل الايراد الذى يأتى منها ، فضلا عما فيه من جرح لشعور أبنائهـا ، فلا يلبث كل فرد منهم أن يغدو عدوا ٠٠ وهؤلاء الاعداء قادرون على الاساءة !

سياسة اضعاف الاقوياء !

◆ **وفوق** هذا ، يجب على من يحكم دولة أجنبية ـ بالطرق السالفة ـ أن يجعل من نفسه زعيما وحاميا للدول المجاورة التى تقل عنه قوة ، وأن يسعى لاضعاف القوية منهـا ، وأن يحرص على أن لايغزوها أجنبى يزيد عنه قوة

والقاعدة ، انه اذا دخل حاكم أجنبى قوى اقليما ما ، فان السكان المستضعفين يصبحون أنصارا له ، بدافع من الحقد الذى يكنونه لمن كانوا يسيطرون عليهم ٠٠ فلا يبقى عليـه سوى أن يكون حذرا حتى لايظفروا من السلطان والنفوذ بأكثر مما ينبغى ٠ كذلك يسهل عليه ، بما له من قوة ، وبفضـل هؤلاء الانصار ، أن يكسر شـوكة الاقوياء ٠ والذى لايحسن الحكم بهذه الطريقة ، لايلبث أن يفقد ماكسبه ، أو أن يتعرض

للصعاب والعناء طالما ظل محتفظا بكسبه !٠٠ وهناك قاعدة عامة أخرى قلما تخفق ٠٠ تلك هى ان من يتسبب فى أن يغدو سواه قويا ، انما يقضى على نفسه بالدمار !

وازاء الصعاب التى تكتنف احتفاظ الامير بدولة ضمها حديثا الى ملكه ، قد يتساءل البعض : كيف قدر للاسكندر الاكبر أن يصبح سيد آسيا فى سنوات قلائل ؟٠٠ وما هو ان احتلها حتى قضى نحبه ، مما كان خليقا بأن يدعو البلاد جميعا الى التمرد ، ولكن خلفاءه سيطروا على زمام الامور دون أن يلاقوا أيه متاعب سوى تلك التى نشأت ـ فيما بينهم ! ـ من جراء أطماعهم !

وجوابى على ذلك ان الممالك المعروفة فى التاريخ حكمت باحدى طريقتين : اما حكومة يتولاها أمير واتباعه الذين يساعدونه فى الحكم كوزراء بفضله واذنه ٠٠ واما حكومة يتولاها أمير وأشراف أو نبلاء ، لم يبلغوا مراكزهم بفضل منه، وانما نالوها بعراقة أصولهم ، كما ان لهم اقطاعيات ورعايا يتعلقون بهم ٠ لذلك نجد الامير ، فى الحكومة الاولى ، أكثر سلطانا منه فى الحكومة الثانية ، اذ لايكون فى الدولة من يعتبر رئيسا أعلى سواه ، وما الوزراء ورجال الحكم سوى أتباع له !

ولقد كانت حكومة « دارا » ـ فى امبراطورية الفرس ـ من النوع الاول ، لذلك كان على الاسكندر أن يقضى عليها أولا ، قضاء مبرما ، ليستطيع أن يغزو البلاد ٠ وبانتصاره وموت « دارا » ، بقيت البلاد فى يده ٠ **وهذا لان القضاء على الحاكم وأسرته ـ فى هذا النوع من الدول ـ لايبقى على أمراء أو أقوياء يخشى بأسهم أو يتطلع اليهم الشعب** ٠٠ ولكن من المستحيل أن تمتلك ـ بمثل هذه السهولة ـ بلادا كفرنسا، أو أسبانيا ، فى القرن السادس عشر (الذى كتب فيه « مكيافيلى » رسالته هذه) ، **لان الملك فى كل منها محوط بعدد**

كبير من النبلاء العريقين الذين يعترف بهم أهالى مقاطعـاتهم ويحبونهم ، وفى وسع كل منهم ان يعتمد عـلى الاقليم الذى يسوده ، فى اثارة التمرد !

وعندما تكتسب الدول المحتلة جـدارة لان تعيش حرة ، تحت لواء قوانينها الخاصه ، تغدو ثمة طرائق ثلاث للاحتفاظ بها : أولاها ، تجريدها من خيراتهـا ٠ وثانيتها ، ان يذهب الامير بنفسه للاقامة فيها ٠ وثالثتها ، السماح لها بأن تعيش فى ظل قوانينها الخاصة ، مع تقاضى الجزية منهـا ، واقامة حكومة فيها ، تتألف من نفر قليل من أهلها ، تضمن ولاءهم لك ، وشعورهم بأن لا بقاء لحكومتهم الا فى ظلال صـداقتك وحمايتك !٠٠ اذ أن أسهل طريقة لحكم البلد الذى درج عـلى الحرية ، هو ان تكل حكمه لاهله ــ على هذا النحو ــ ان شئت أن تحتفظ به !

وكل من يستولى على بلد حر ولا يدمره ، خليق بأن يرتقب الدمار لنفسه ، اذ أن مثل هذا البلد يجد دائما مايحفزه على الثورة باسم الحرية ، وباسم النظم القـديمة التى اعتادها ، والتى لايمكن أن ينساها على مر الزمن ، أو فى غمرة مايجنى من فوائد ٠٠ بل ان أهله سيظلون يتشبثون بتلك النظم ، ما لم يفرق الحـاكم الجديد بينهم ، ويشتتهم !٠٠ أما البلد الذى اعتاد ان يعيش تحت حكم أمير ، ثم أبيدت أسرة هـذا الامير ، فان من العسير على أهله أن يتحدوا ويختاروا واحدا من بينهم ، وذلك لطول اعتيادهم على الخضوع ، ولفقدانهم الامير الذى كان يوجههم ٠ وهم لايعرفون العيش فى حرية ، ومن ثم يتراخون عن الثورة ، فيسهل على أى أمير أن يظفر بهم ، ويعزز سلطانه عليهم !٠٠ ولكن فى الجمهوريات حياة وقوة أكثر مما فى مثل هذا البلد ، ومن ثم تكون رغبتها فى الثأر أعظم ، اذ ليس فى وسع أهلها أن يطرحوا عنهم ذكرى حريتهم القديمة ٠ ولهذا فخير سبيل الى حكمهم هو تشتيتهم ، أو الاقامة بينهم !

دعاة الاصلاح الذين وصلوا الى الحكم !

◆ وفى الدول الجديدة ، التى يقوم فيها أمير جديد ، تتوقف سهولة السيطرة عليها على مدى ما للامير نفسه من مقدرة . ولما كان ارتقاء الشخص العادى الى الامارة أو الحكم ، يتوقف على مهارة عظيمة ، أو على حظ طيب ، فان الذين لايعتمدون على الحظ قدر اعتمادهم على الكفاءة يكونون أقدر على حفظ ملكهم . وأرى ان أعظم الرؤساء الذين اعتمدوا على مواهبهم ، لا على حظوظهم ، هم : موسى ، وسيرس (كورش) مؤسس امبراطورية الفرس ، وروميولوس مؤسس دوله روما ، وتيسيوس ، مؤسس دولة الاغريق فى أثينا . ومع أن موسى انما صدع بأوامر الله ، الا انه خليق بالاعجاب ، ولو لعظمته التى جعلته أهلا لان يكلم الله . وقد كان لابد لموسى ان يجد شعب اسرائيل عبيدا فى مصر ، ليكونوا على استعداد لان يتبعوه تخلصا من ربقة الذل . كذلك كان من الضرورى لسيروس أن يجد أهل فارس غير راضين عن حكامهم من أسرة « الميديين » ، وان يجد هؤلاء الاخيرين ضعفاء ، أتلفهم الترف . وما كان « تيسيوس » ليملك أن يظهر مواهبه لو لم يجد أهل أثينا متفرقين ، متناحرين !.. كل هذه الظروف اذن ، أتاحت الفرص لاولئك الرجال ، كما مكنتهم مواهبهم وخصالهم من ان ينتهزوا هذه الفرص ليرفعوا من قدر أوطانهم ، ومن مكانتها !

وأمثال هؤلاء ، ممن ينالون الحكم بفضل مواهبهم ، ينالونه بعناء ، ولكنهم يحتفظون به بعد ذلك بسهولة . والصعاب التى تكتنف ظفرهم بالحكم ، انما تنشأ - الى حد ما - عن القوانين والنظم الجديدة التى يضطرون الى اصدارها ليدعموا بها مراكزهم . اذ يجب أن نراعى أن ليس هناك ما هو أشق تنفيذا ، وأكثر تعرضا للفشل ، وأخطر علاجا ، من انشاء نظام جديد . **ذلك لان المصلح يجد أعداء فى كل من كانوا**

ينتفعون من النظام القديم ، ولا يجد من الانصار سوى مترددين ينتفعون من النظام الجديد ، وهذا التردد يتأتى عن خوف من خصـــومهم - الذين كانت القوانين فى صفهم - وعن عـدم اطمئنان ، لانهم لايؤمنون بأى جديد حتى يجربوه فعلا . ومن ثم فكلما سنحت الفرصة لمهاجمة المصلح ، هاجمه خصومه فى تحمس ، بينما دافع عنه أنصاره فى تخاذل ، وبين الفريقين ، يظل هو معرضا لاشد الاخطار !.. ولهذا السبب نجد ان كل دعاة الاصلاح الذين اعتمدوا على السلاح ظفروا ، فى حين أن الذين كان يعوزهم السلاح أخفقوا !.. والى جانب ماذكرنا ، نجد أن أخلاق الناس تتفاوت ، فمن السهل اقنـاعهم بأمر ، ولكن من الصعب استبقاءهم على هذا الاقتناع !

كيف يعمل الامير الجديد لحاضره ومستقبله ؟!

◆ لايجد الذين يصعدون الى مناصب الحكم - من المواطنين العاديين - عن طريق الحظ ، كثير عناء فى صعودهم ، ولكنهم يلاقون الكثير من العنـاء فى الاحتفاظ بمراكزهم . وهكذا حال من يصلون الى هذه المراكز بالمـال . فان أمثال هؤلاء ، يستندون استنادا مطلقا الى حسن نية اولئك الذين يرفعوهم . ذلك لان الشخص الذى عاش عمره مواطنا عاديا ، لايكون عـلى دراية بالحكم ما لم يكن ذا نبوغ كبير .. وهو يعجز كذلك عن صـون مركزه ، لانه لم يؤت قوات موالية ومخلصة له . وفضلا عن ذلك ، فان الدولة التى تقام على عجل ، لايمكن ان تكون ثابتة الدعائم ، ومن ثم فان اول عاصفة تهب عليهـا خليقة بان تدمرها ، ما لم يكن الرجل الذى يغدو اميرا عليهـا عظيم النبوغ - على ما اسلفنا - بحيث يبادر الى اتخاذ الاجراءات لصون ما آثره به الحظ ، ثم يمضى فى ارساء الاسس التى يعمل سواه على ارسـائها قبل أن يصبحوا امراء !

واضرب للحالين مثالين بفرانشيسكو سفورزا وسيزار بورجيا . فلقد ارتفع « سفورزا » - بفضل مواهبه - من مواطن ، فاصبح دوق (ميلان) ، واستطاع بقليل من الجهد ان يحتفظ بما اكتسبه بكثير من العناء !.. اما « بورجيا » - دوق فالنتين - فقد بلغ الحكم بنفوذ ابيه ، فلما تقلص هذا النفوذ ، فقد منصبه ، برغم انه بذل كل مايستطيع اى عاقل ، وكفء ، ان يبذله لتدعيم مركزه فى دولة ظفر بحكمها بفضل السلاح وكرم الغير !.. اجل ، فبالرغم

من متانة الاسس التى بادر الى وضعها لضمان مستقبل سلطانه ، الا انه اخفق لغير ماذنب منه ، وانما نتيجة لغدر الحظ !

ولقد اضطر البابا اسكندر السادس ، فى سبيل اعلاء شأن ابنه الدوق سيزار ، الى أن يخوض صعابا فى حاضره ومستقبله . وكان اولى ما لاحظه ، ان ليس هناك بلد ينصب ابنه حاكما عليه ، اللهم الا اذا اختار له بلدا من ممتلكات الكنيسة ، وهو ماكان يقف دونه دوق (ميلان) واهل (البندقية) . ورأى كذلك ان القوات العسكرية التى تستطيع ان تساعده ، كانت فى أيدى أولئك الذين يخشون ازدياد سلطان « البابا » .. لذلك كان لابد له من ان يبث القلاقل بين دويلات ايطاليا ، ليفوز بنفوذ على بعض منها . وكان أهـل (البندقية) قد دعوا فرنسا الى التدخل فى ايطاليا ، فلم يعـارض البابا ذلك ، بل استغل جنود ملك فرنسا فى تمكين « سيزار » من السيطرة عـلى اقليم (رومانيا) !.. ثم أخذ الدوق يتغلب على امارة اثر أخرى ، ولم يكن يقف فى وجهه سوى امارة (أورسينى) . وما لبثت ان قامت ثورة فى (أوربينو) وقلاقل فى (رومانيا) ، فتغلب عليها بمعونة الفرنسيين ، ولكنه لم يشأ أن يركن الى فرنسا ، أو يثق فى القوات الاجنبية .. ومن ثم عدل من اهدافه بحيث اطمأنت (أورسينى) اليه فهادنته . وبينما قضى على زعمائها بالغدر . استطاع أن يفوز بود أنصارهم ، وبهذا ارسى دعامة طيبة لنفوذه . وما لبثت (رومانيا) ان اطمأنت اليه ، فسعى الى اكتساب ود اهلهـا .. اذ لاحظ أنها كانت من قبل تحت سيطرة حكام ضـعفاء ، استغلوا الشعب ، وفرقوا صفوفه ، واشاعوا الفوضى فيه ، وصيروه ضعيفا ذليلا . لذلك اقام عليهـا حاكما قديرا ، قاسيا ، اقر النظام والوحدة فى أمد وجيز . وقدر الدوق ان هذه القسوة كفيلة بأن تثير الاحقاد ، فقرر ان يعمل على كسب قلوب الشعب تماما . واستيقظ الناس يوما ، ليجدوا جثة الحاكم مشطورة وملقاة وسط الميدان العام ، والى جوارها سكينا ملطخة بالدم .. وكان لهذا المنظر البشع تاثير مزدوج : فقد أرضى الشعب ، وأرهبه !

واصبح مركز الدوق عزيزا ، تدعمه قوات مسلحة ، فبدأ يعمل على اضعاف ماقد يهدده من دويلات مجاورة ، وعلى عقد محالفات مع دول أخرى

على انه كان يخشى عـلى مستقبله من أى أمير جـديد يرقى حكم امارات الكنيسة ، فانتهج ازاء ذلك أربع طرق :

اولا – القضاء على كل من ينتمى للاسرات الحاكمة التى انتزع الحكم منها

ثانيا – اكتساب ود النبلاء الرومان ليضمن ايقاف اى « بابا » يخلف اباه عند حده

ثالثا – اكتساب أكبر نفوذ ممكن على المجمع البابوى

رابعا – اكتساب كل هذا النفوذ قبل موت ابيه ، ليتمكن من ان يقاوم اول

موقف يترتب على هذا الموت !

ولكنه - عند موت البـــابا - كان قد أصيب بمرض « جبار » جعله شبه ميت !٠٠ وهكذا لم ينفعه مابذل ابوه ، وما ارسى هو من دعائم لسلطانه . لانه لم يكن يتوقع أن يكون شبه ميت ٠٠ عند موت أبيه !

لهذا كله لا أرى أن الدوق يستحق اى لوم أو تثريب ، بل اعتبره مثالا يجب أن يحتذى ٠٠ فلست أرى أفضل منه قدوة لاى امير جديد ، يرى ان الضرورة تدعوه الى تعزيز موقفه ضد أعدائه ، والى اكتساب أصدقاء ، والى السيطرة بالقوة والخداع ، والى ان يجعل نفسه محبوبا ومرهوبا من الشعب ، متبوعا وموقرا من الجنود ، والى ان يقضى على كل من يستطيع ايذاءه ، وان يضع نظما جديدة فى مكان القديمة ، وان يكون صارما ورحيما ، وان يشتت الجيش القديم لينشىء جيشا جديدا ، وان يحرز صداقة الملوك والامراء الى درجة تحملهم على أن يعملوا لمصلحته ويخشوا ايذاءه !

الذين ينالون الحكم بالخبث والدهاء !

◆ على أن وسائل الوصول الى الحكم لاتقتصر على الحظ أو المواهب ٠٠ بل ان هناك من الامراء من يصل الى منصبه بوسائل بشعة ، شريرة ٠٠كما ان منهم من يرقى للامارة بفضل محبة مواطنيه له ٠ واضرب للحالة الاولى مثالين :

المثال الاول هـو « اجاثوكليس » الصقلى ، الذى لم يكن مواطنـــا عاديا فحسب ، بل ان مراحل حياته اقترنت بكل الشرور ٠ عـلى ان خبثه كان مقرونا بقوة ذهنية وجسـدية جعلته يرقى المناصب سريعـــا ، عندما التحق بجيش (سيراكيوز) ، حتى أصبح قائدا له ، واذ ذاك قرر أن يصبح اميرا ، فاستعان بهاميلكار ، قائد جيوش قرطاجنة التى كانت تحاصر (صقلية) ، وأقدم على دعوة المجلس التشريعى للجمهـورية ذات صباح ، بعــد ان اتفق مع أعوانه على خطة معينة ٠فما ان اجتمع أعضاء المجلس والاعيان ، حتى أعمل الجنود فيهم تقتيلا ٠ وبعد ذلك اقام « اجاثوكليس » نفسه حاكما على المدينة دون مقاومة !٠٠ على أن القرطاجنيين كانوا يحاصرون (سيراكيوز) ، فترك فى صقلية جزءا من جنوده ، وغزا بالباقين شمال افريقيا ، وما لبث ان ارتد فحرر (سيراكيوز) من الحصار ، واجبر القرطاجنيين على الصلح ، وعلى ان يتركوا له (صقلية) ، فى مقابل شمال افريقيا !٠٠ ومن هـذا ترى انه لم يرق منصب الامارة بمعونة احد ، وانما بفضل صعوده مناصب الجيش عن جدارة ٠ وقد لايكون القتل والغدر بالاصدقاء والتجرد من الوفاء ومن الرحمة ومن الدين٠٠قد لايكون كل هذا من الفضائل فى شىء،ولكن شجاعة«اجاثوكليس» وجراته على خوض الاخطار ، وعظمته فى مغالبتها ، تعتبر فضائل !٠٠ ومع ذلك

فان قسوته الوحشية ، وفظائعه ، لم تكتب لاسمه الخلود بين العظماء !

أما المثال الثانى ، فهو « اوليفروتو » أمير (فيرمو) ، الذى تيتم فى صغره ، فكفله خاله « جيوفانى فوجليانى » ، وأرسله ليتدرب على القتال على يدى « باولو فيتالى » .. فلما مات « باولو » استطاع الشاب بذكائه البالغ ، وقوته البدنية ، أن يصبح من القادة ، ثم عمل بمساعدة بعض أهالى (فيرمو) ، ومعونة شقيق « باولو » وخليفته ، على احتلال المدينة ، بأن كتب الى خاله يعلن اليه رغبته فى زيارة موطنه بصحبة بعض زملائه وجنوده ، وساله ان يدبر له استقبالا يرفعه فى عيون هؤلاء . ولم يتردد « جيوفانى » فى أن يدبر لابن اخته استقبالا شعبيا ، وتريث « اوليفروتو » اياما ريثما احكم خطته ، ثم دعا خاله وجميع وجهاء (فيرمو) الى مادبة عظيمة ، واوعز الى جنوده فانقضوا عليهم وفتكوا بهم !.. واعلن « اوليفروتو » نفسه رئيسا للمدينة التى كان رجاله يحاصرونها ، فانصاع له اهلها ، ومن ثم انشأ حكومة اقام نفسه اميرا على رأسها ، واخذ يقضى على كل من يحتمل أن يهدد مركزه ، فلم ينقض عام ، حتى كان هذا المركز قد توطد ، وغدا حصينا سواء فى داخل المدينة او خارجها . وكان من الممكن ان يظل محتفظا به ، لو لم يغرر به «سيزار بورجيا» عندما رآه يستولى على (اورسينى) ، فلم يلبث أن اوقع به فى شراكه وقضى عليه !

وقد يعجب البعض من «اجاثوكليس» ، وبعض من هم على شاكلته ، لانهم استطاعوا أن يستمتعوا بمناصبهم سنين طويلة ، فى حين أن القسوة كانت سببا فى أن فقد سواهم مراكزهم !.. والواقع ان الذين يحسنون استعمال القسوة ، ويعالجونها بعد ان يعززوا مراكزهم ، يحسنون الى انفسهم ، ويصلحون ماسبق ان افسدوا ..وهذا مافعله «اجاثوكليس» .. ومن ثم نرى أن على من يغتصب امارة ، ان يرتكب كل اعمال القسوة اللازمة فى الحال ، لكى لايكررها يوما بعد يوم ، ولكى لايضطر الى احداث تغييرات جديدة ، فيطمئن القوم اليه ، لاسيما حين يعمل على كسبهم الى صفه باداء مايعود عليهم بالخير !.. اما الذى يتصرف فى تردد ، او استنادا الى المشورة

غير الحكماء ، فانه يضطر الى أن يقف دائما مشهرا خنجره ، ولا يستطيع قط ان يعتمد على رعاياه ، لانهم لايملكون أن يطمئنوا اليه وهم يرون اساءاته يوما بعد يوم !

الزعامة القومية بين عامة الشعب وخاصته

◆ ننتقل الآن الى المواطن الذى يصبح أميرا ، لا عن طريق الجريمـة او الظلم ، وانما بفضل مواطنيه ، مما يمكن ان يسمى بـ « الرئاسة المدنيـة » . أو بالاحرى ، الزعامة القومية . والوصول الى هذه الرئاسة لايستند الى المواهب وحدها ، ولا الى الحظ وحده ، وانما الى الدهاء المقترن بالحظ ، وبالحظوة لدى الشعب ، أو الحظوة لدى علية القوم .. ففى كل بلد يوجد هذان الفريقـان المتناقضان ، اذ ينهض العامة لتفادى ظلم الكبراء ، وينهض الكبراء رغبة فى السيطرة على العامة والجور عليهم .. وينشأ عن نهوض هذين الفريقين فى بلد ما ، واحدة من نتائج ثلاث : اما حكومة مطلقة (فردية) ، أو حـرية ، أو فوضى .. والاولى يقيمها عامة الشعب ، أو النبلاء ، حسب ظروف كل من الفريقين . فحين يشعر النبلاء بالعجز عن مقاومة الشعب ، يتحدون لرفع واحد منهم فيجعلونه أميرا ، كى يتمكنوا من تحقيق أغراضهم فى ظل سلطانه . ومن ناحية اخرى ، قد يسعى العامة ، اذا عجزوا عن مقاومة الخاصة ، الى رفع أمير يحتمون بسلطانه . اما الذى يتولى الحكم بفضـل النبلاء ، فيلاقى عنـاء فى الاحتفاظ بسلطانه يفوق مايلقاه ذاك الذى رفعه الشعب ، لانه يكون محوطـا بانصار يرون أنفسهم أندادا له ، فلا يملك أن يوجه ويامر وفق مايطيب له . أما الذى يرقى الى الزعامة بفضل الشعب ، فانه يجد نفسه منفردا بالسلطان ، فليس هناك من لايرتضى اطاعته ، أو هم قلة اولئك الذين لايبدون استعدادا لاطاعته . وبجانب هذا ، يستحيل على الحاكم أن يرضى الخاصـة بالمعاملة العادلة ، ودون الحاق ضرر بالغير ، فى حين ان من السهل جدا ارضاء جموع العامة بهذه المعاملة . ذلك لان أهداف العامة أكرم واشرف من أهداف الخاصة . اذ يطمع هؤلاء فى الجور ، بينما لايبغى اولئك سوى تفادى الجور . يضاف الى هذا ان الامير لايمكن أن يطمئن ازاء كراهية الشعب ـ لكثرة عدده ـ ولكنـه يستطيع أن يطمئن على مركزه من عدوان الخاصة ، لقلة نفرهم !.. كمـا انه يملك أن يستغنى عنهم ، اذ بوسعه أن يرفع اناسا الى مناصب الجاه ، وان يخفض غيرهم من مراكز الصدارة ، فى أى وقت يشاء !

على أن الذى ينال منصب الحكم بفضل الشعب ، خليق بأن يحتفظ بصداقة هذا الشعب .. وهو أمر سهل ، لان الشعب لايبغى سوى تجنب الظلم . اما الذى يغدو أميرا بفضل الخاصة ، رغم رغبات الشعب ، فخليق بأن يسعى قبل كل شىء الى كسب حب الشعب ، وسيسهل عليه ذلك ، اذا هو بسط على

الشعب حمايته ، فان الناس اذا أصابوا الخير من حيث توقعوا الشر ، ازدادوا تعلقا بمصدر هذا الخير وشعورا بفضله وصنيعه ! ٠٠ والامير العاقل ، هـو الذى يسعى الى الوسائل التى تجعل رعاياه دائما ، وفى كل ظرف ممكن ، فى حاجة الى حكومته ، فهم بذلك يظلون على ولائهم له !

الامير ٠٠ قدوة لشعبه فى الملمات !

◆ هنا ينبغى أن نتدبر مسألة أخرى ، وهى ما اذا كان الامير فى مركز يمكنه - عند الحاجة - من أن يصون ملكه بمفرده ، أو انه بحاجة دائما الى حماية أمراء آخرين ٠ الواقع ان القادرين وحدهم ، هم الذين يملكون - بفضل وفرة المال أو الرجال - أن يحشدوا جيشا كافيا لمهاجمة أى معتد ٠ أما المحتاجون للغير ، فهم الذين لايستطيعون الصمود لاعدائهم ، فيضطرون الى أن يلوذوا باسوار ملكهم ، وان يقتصروا على الدفاع ٠ وعلى الامير - فى مثل هذه الحال - أن يهون مقر ملكه ويحصنه ، ولا يشغل عنه بالاراضى المحيطة به ٠٠ فان الامير الذى يحصن مدينته - عاصمته - ويكون قد راعى فى حكم رعيته ماذكرناه من قبل ، يتردد الغير قبل أن يهاجمه ، لان الناس ينصرفون عادة عن المشروعات التى يتوقعون فيها الصعاب ، ولن يبدو لهم من السهل انْ يهاجموا اميرا حصن مدينته أقوى تحصين ، وظفر بحب شعبه !٠٠ وحتى اذا هوجم الامير فى هذه الحال ، فان المهاجم يضطر الى التراجع مخذولا ، لان من المستحيل على أحد أن يصر على الحصار لمدة عام ، معطلا بذلك جيوشه ٠ أما الذين يقولون ان اهل المدينة المحاصرة لايصبرون على الحصار الطويل ، ولا يلبثون أن ينسوا اميرهم فى سبيل مصالحهم ، فجوابى على قولهم هو ان الامير القوى ، الشجاع ، يتغلب دوما على هذه الصعاب بانعاش آمال رعاياه ، فيمنيهم تارة بان الشر لايدوم ، ويرهبهم حينا بالتلويح بقسوة العدو !٠٠ ولن يجد الامير العاقل عناء فى الاحتفاظ بشجاعة رعاياه - سواء فى بداية الحصار أو أثناءه - اذا كان يمتلك المؤن الكافية ، واذا كانت لديه وسائل الدفاع عن نفسه

الامارات التابعة للكنيسة فى ايطاليا

◆ بقى بعد هذا ان نتحدث عن الامارات الدينية ٠٠ وهى تكتسب بالجدارة أو بالحظ ، ولكنها لاتصان باى منهما ، وانما بعادات دينيه قديمة ، يبلغ من قوتها واثرها انها تحفظ الامراء فى مناصبهم كيفما كانت سياستهم أو أساليب حياتهم ٠ وينفرد هؤلاء الامراء بحكم دول لايضطرون للدفاع عنهـا ، وبرعايا لايصادفون اية متاعب فى حكمهم ، ومن ثم فهى دول آمنة ، سعيدة ، تعيش فى رعاية الله ، فمن الحماقة لبشر مثلى ان يتناولها بالبحث !٠٠ على أن هناك من قد يسالنى : كيف تسنى للكنيسة ان تصل الى مثل هذه السلطة الدنيوية ،

فى حين ان حكام الامارات الايطالية ـ قبل عهد البابا اسكندر السادس ـ كانوا يستخفون بهذه السلطة الدنيوية ٠٠ وانها الآن (فى القرن ١٦) موضع حقد ملك فرنسا الذى طردته هذه الامارات الدينية من ايطاليا ؟!

والجواب على ذلك ان ايطاليا كانت ـ قبل مقدم شارل ، ملك فرنسا ـ تحت حكم البابا ، والبندقيين ، وملك نابولى ، ودوق ميلان ، والفلورنسيين ٠ وكان هؤلاء الحكام يحرصون على أمرين رئيسيين ٠ أولهما ، أن لايمكنوا أى أجنبى من دخول ايطاليا بقوة السلاح ، وثانيهما ان لاتعمل أى من هذه الحكومات على التوسع فى ممتلكاتها ٠ ولم يكن بينهم من يخشى بأسه سوى البابا وأمراء البندقية ٠ وكان كبح جماح هؤلاء يتطلب تحالف الحكام الآخرين ، كما ان الوقوف فى وجه البابا كان يدعوهم الى استغلال سادة روما الاقطاعيين ، ليستبقوا البابوات ضعافا ٠ وساعدهم على ذلك ان حكم أى من البابوات لم يكن يدوم عادة لاكثر من عشر سنوات ٠ وأدى هذا الى أن السلطة الدنيوية للبابا لم تكن عظيمة الشأن فى ايطاليا ، حتى تولى البابا اسكندر السادس ، الذى أظهر كيف يستطيع البابان يسود بفضل المال والقوة ، والذى قام بما سبق أن سردناه من أعمال ، متخذا دوق فالنتين ـ ابنه ـ ستارا ، لالرفعة شأن الكنيسة ، وانما لرفعة شأن الدوق !

أنواع القوات المسلحة والجنود المرتزقة

◆ اما وقد تحدثنا عن الامراء والامارات ، ورأينا ان اهم الاسس لجميع الدول ، هى القوانين الصالحة ، والجيوش القوية ، فانى أدع الاولى جانبا ، لاتكلم عن الثانية ٠ فالجيوش التى يحمى أى أمير بها ملكه ، اما ان تكون جيوشا خاصة يمتلكها ، واما ان تكون مؤلفة من جنود مرتزقة ، أو ان تكون قوات مساعدة (اضافية) أو مختلطة ٠ على ان الامير الذى يدعم دولته بجيوش من المرتزقة ، لايقدر له قط أن يقف صامدا او مطمئنا ، لانهم غير متحدين ، كما انهم طموحون ، غير منظمين ولا مخلصين ، جبناء ازاء الاعداء ، لايخافون الله ، ولا يرعون مع الناس ذمة ٠٠ ينهبونك فى السلم ، كما ينهبك العدو فى الحرب !٠٠ ذلك لانهم لم يؤتوا أى حب او أى حافز يستبقيهم فى حلبة الصراع ، اللهم الا اجر ضئيل لايكفى لان يجعلهم على استعداد للموت من اجلك ٠ فهم يظلون راغبين فى خدمتك مادمت لاتدخل حربا ٠ اما اذا جاءت الحرب ، فانهم يفرون او يتخلون عنك !٠٠ وما حل الدمار بايطاليا الا لانها اعتمدت سنوات عديدة على الجيوش المرتزقة ٠ وقد أثبتت التجربة ان الدول التى لاميرها جيش يقوده بنفسه ، أو الجمهوريات ذات الجيوش المسلحة ، هى التى تحرز تقدما كبيرا ، فى حين ان القوات المرتزقة لاتعود الا بالضرر !

وعندما يسأل أمير جارا قويا من جيرانه أن يخف الى مساعدته أو الدفاع عنه بقواته ، فان هذه القوات تسمى « اضافية » أو « مساعدة » ، وهى عديمة الجدوى كالمرتزقة ٠ فهى قد تكون قوات صالحة فى حد ذاتها ، ولكنها خطرة على من يستعيرها ، لانها اذا خسرت الحقت بك الهزيمة ، واذا تغلبت فانك تصبح أسيرها !٠٠ فالدمار على أيديها محقق ، سواء فى هزيمتها او نصرها ، لان افرادها متحدون ، يدينون بالطاعة لغيرك ٠ ومن ثم فالامير العاقل يتحاشى الاعتماد على هذه القوات دائما ، ويعتمد على قواته الخاصة ، مؤثرا الهزيمة بها على الغلبة بقوات الغير ، مدركا أن النصر الذى تنتزعه له قوات أجنبية ليس من النصر الحقيقى فى شيء !٠٠ ولست أتردد فى أن أضرب المثل بسيزار بورجيا ٠ فقد دخل أقليم (رومانيا) بقوات مساعدة ، كانت تتالف من جنود فرنسيين ٠٠ فلما بدت له غير مأمونة ، اعتمد على قوات مرتزقة ٠ ثم تبين بعد ذلك ان السيطرة على هذه القوات غير مضمونة ، وانها غير وفية ، فعمد الى تشتيتها ، واعتمد على قوات من رجاله ، وارتفع قدره حين راى الجميع انه السيد الاوحد المسيطر على قواته ورجاله !

واسوق هنا مثالا من « التوراة » : فعندما عرض « داود » على « شاؤل » أن يذهب ـ أى داود ـ فيحارب « جوليات » بطل (فلسطين) ، اراد « شاؤل » أن يشجعه ، فامده بجنوده ، ولكن « داود » ـ عندما ابتلاهم ـ رفض اصطحابهم ، وفضل ان يواجه العدو بمقلاعه وخنجره !٠٠ ولو اننا بحثنا عن السبب الاول لانهيار الامبراطورية الرومانية ، لوجدناه راجعا الى استئجار الجنود المرتزقة من (القوط) ، اذ اخذت سطوة الرومان فى الاضمحلال منذ ذلك الحين ، واخذت كل المنافع المستمدة من الامبراطورية تتحول الى (القوط) !٠٠ فلا أمان لامير الا فى الاعتماد على جيوشه الخاصة ، وهى تلك التى تتالف من رعاياه ، او بنى وطنه ، او ممن يعتمدون عليه فى حياتهم !

الامير ٠٠ وفنون الحرب !

◆ ولا ينبغى ان يكون للامير من هدف او فكر او دراسة الا ٠٠ الحرب ، وامور تدبيرها ، ونظامها !٠٠ لان هذا هو الفن الاوحد الذى لا غنى عنه لمن يحكم ، وهو من القيمة بدرجة انه لايحفظ الملك للامراء الذين تولوا الحكم بالوراثة فحسب ، وانما هو كثيرا مايمكن الافراد العاديين من أن يصلوا الى الحكم ٠ وعلى النقيض من هذا ، نرى ان الامراء اذا مافكروا فى الترف أكثر من تفكيرهم فى الحرب ، فقدوا ملكهم !

ومن المساوىء التى تترتب على عدم التسلح ، انك تكون عرضة للازدراء !٠٠

فليس ثمة وجه للمقارنة بين الشخص المسلح ـ أى ذى الجند ـ وبين غير المسلح • وليس من المعقول ان نتوقع من المسلح أن يدين بالطاعة لغير المسلح •• أو ان أى رجل غير مسلح يظل بمأمن بين خدم مسلحين !•• ومن ثم فان الامير الذى يجهل شئون الحرب ـ الى جانب العيوب التى سبق ذكرها ـ لايمكن أن يكون موضع تقدير من جنوده ، ولا ينبغى ، من ناحيته ، أن يثق فيهم • ولهذا يجب على الامير ان لايدع أفكاره تتحول عن ممارسة الحرب ، وعليه ان يتمرس فيها خلال السلم اكثر منه أثناء الحرب ، وذلك بالمران العملى وبالدراسة • فمن الناحية العملية ، يجب ـ الى جانب احتفاظه بجنوده منظمين ومدربين ـ ان يخرج دائما للصيد ، فيعود جسمه على المشاق ، ويدرس طبيعة الارض ، فان معرفته بمواقع الجبال والسهول والانهار تكسبه دراية ببلاده ، فيكون اقدر على تدبير الدفاع عنها •• كما انها تكسبه خبرة تمكنه من ان يفهم أى بلد آخر تقع عليه عيناه • والامير الذى تعوزه هذه المهارة يفتقد اول مقومات القيادة والزعامة ، فان قوة الملاحظة هى التى تعلمه كيف يكتشف مواقع العدو ، وكيف يختار مواقعه هو ، ويقود جنوده ، ويرسم الخطط لمعاركه ، ويدير الحصار النافع حول المدن !

وعلى الامير ان يمرن عقله بقراءة التاريخ ، ودراسة أعمال عظماء الرجال ، ليرى كيف تصرفوا فى الحرب ، وليفحص اسباب انتصاراتهم وهزائمهم • وهكذا لاينبغى للامير العاقل ان يبقى خاملا فى أوقات السلم ، وانما يجب ان يكون نشيطا ، وان يستغل هذه الاوقات ، حتى اذا قلب الحظ له ظهر المجن ، كان على استعداد لان يصد الضربات ، وان يتغلب فى الصراع !

الصفات التى يجب توفرها فى الامير

◆ بقى الآن أن نبحث القواعد التى يجب أن يتبعها الامير ازاء رعاياه وأصدقائه • وانى لادرك كثرة ماكتب فى هذا الصدد ، ولكننى اذ أهدف الى كتابة ماينفع أهل الفهم ، أرى أن أعالج حقيقة الامر مباشرة ، وأدع الخيال جانبا • فما أشد الفارق بين الحياة التى نحياها ، وتلك التى كان ينبغى ان نحياها • لذلك أتحدث عن الواقع ، فأقول ان كل الذين ينعمون بمكانة رفيعة ـ لاسيما الامراء ـ يشتهرون بصفات قد تكون ممدوحة وقد تكون مذمومة • فمنهم السخى ، ومنهم الشحيح •• المبذر ، والمقتر •• القاسى ، والرحيم •• الوفى

لعهده ، والناكث بوعوده .. المترف المستخذى ، والخشن المقدام .. المتواضع ، والمتغطرس .. التقى ، والفاجر .. الصريح ، والماكر .. الصلب ، والسهل .. الجاد ، والهازل .. المتدين ، والزنديق ! .. **ولما كانت طبيعة البشر لاتسمح لشخص بأن يكتسب كل هذه الصفات فى وقت واحد ، فان على الامير أن يكون من الحكمة بحيث يتفادى افتضاح ما لديه من نقائص قد تودى بملكه ، وان يحرص ما استطاع على تلك التى قد يتعذر بغيرها انقاذ ملكه (كالقسوة ، والخشونة) !**

وقد يكون من المستحب ان نوصف بالسخاء ، لولا ان السخاء كما يفهمه الناس خليق بأن يجلب لك الاذى . فلو ان أميرا حاول أن يتخذ المظهر الذى يبديه سخيا أمام الناس ، لتمادى فى الانفاق حتى يستنفد موارده ، ولاضطر - فى النهاية ، واستبقاء لسمعته ! - الى اثقال كواهل شعبه بالضرائب ، والى التهالك على جمع المال بشتى الطرق ، فتكرهه الرعية ، ويقل قدره بين الناس . ولو أحس الامير بخطر السخاء ، فرغب فى التحول عنه ، لاتهم فى الحال بالشح ! . لذلك فمن الخير للامير - الذى يعجز عن السخاء دون ما خطر - ان يتقبل أن يوصف بالبخل ، لانه لن يلبث على مر الزمن ان يبدو كريما ، حين يرى الناس ان حرصه وفر له ايرادات كافية ، فأصبح قادرا على أن يدفع عن نفسه عدوان من يشنون الحرب عليه ، وعلى أن يضطلع بالمشروعات دون ان يثقل شعبه . **وهكذا لاينبغى للامير ان يبتئس لوصفه بالبخل ، اذا هو شاء أن يتفادى سلب رعاياه ، واذا هو شاء ان يعزز ملكه ، وأن يتحاشى الفقر والمذلة . فالشح أحيانا من الفضائل التى تصون الملك !**

ولمن يعترض على قولى ، أضيف ان السخاء يستحب اذا كان الامير ينفق من أمواله الخاصة ، لا من أموال شعبه . وان

السخاء لضرورى للامير الذى يشن الحروب ، ويعيش بالدسائس ، ويسلب وينهب ، ويبدد فى ثروات الغير .. لاسيما اذا كان هذا الغير بلادا غير بلده وشعبه ، كما فعل كورش الفارسى ، وقيصر الرومانى ، والاسكندر المقدونى !

الامير .. بين حب الشعب ورهبته !

◆ **على** ان كل أمير يحب أن يوصف بالرحمة ، لا بالقسوة ، ولكن عليه ان يحذر سوء استعمال رحمته . ولقد اشتهر « سيزار بورجيا » بالقسوة ، ولكن قسوته وطدت النظام فى اقليم (رومانيا) ووحدته ، وجلبت له السلام والطمأنينة . ومن ثم فلا ينبغى ان يكترث الامير لاتهامه بالقسوة اذا كان فى هذا الاتهام مايصون وحدة رعيته ، وما يبقى له ولاءهم ، لانه بأمثلة قليلة من القسوة ، يغدو أفضل من أولئك الذين يسمحون ـ لفرط رفقهم ـ بقيام الفوضى فى ملكهم .. فان أعمال النهب وسفك الدماء المترتبة على الفوضى ، تضر بالمجتمع كله ، فى حين ان أحوال الاعدام التى يفرضها الامير لا تضر سوى أفراد قلائل . **وعلى كل حال ، فمن المستحيل على الامير الجديد ان ينجو من الاشتهار بالقسوة ، لان الدول الحديثة القيام ، تكون مليئة بالاخطار !**

وينبغى للامير ان يكون على حذر فى تصديق مايسمع ، وفى الاقدام على أى تصرف . كما ينبغى أن « لايخاف من خياله » !.. وخليق به ان يسير فى اعتدال ، وحكمة ، الى جانب الحذر .. فلا يخرجه الاطمئنان عن جانب الحذر ، ولا يخرجه التوجس عن حدود التسامح . ومن هنا ينبعث السؤال التالى : **هل من الخير أن يكون الامير محبوبا أكثر منه مرهوبا ، أو أن يكون مرهوبا أكثر منه محبوبا ؟.. والجواب ان على الامير ان يجمع بين الصفتين ، فان تعذر ذلك ، فمن الاسلم ان يكون مرهوبا أكثر منه محبوبا !..** اذ أن من الممكن ان نقول عن البشر عامة

انهم جاحدون ، متقلبون ، هيابون ، جشعون ٠٠ يغدون ملك يديك طالما كنت نافعا لهم ، ويقدمون لك دماءهم ، ومتاعهم ، وحياتهم ، وابناءهم ٠ فاذا مددت يدك لتتناول شيئا من هذه ، انقلبوا متمردين !٠٠ والامير الذى يركن الى نفاق رعيته دون ان يتخذ آية استعدادات اخرى ، خليق بان يهلك ٠ ذلك لان الصداقه التى تشترى ، ولا تاتى عن طريق سمو الروح وعظمة النفس ، صداقة غير مضمونه ٠ والناس أقل خشيه للامير الذى يجعل نفسه محبوبا ، منهم للامير الذى يجعل نفسه مرهوبا ، لان الحب لاتربطه سوى سلسلة من الالتزام لايتردد الناس — بما للبشر من أنانيه — فى ان يكسروها اذا ما كان كسرها يقربهم من غرضهم ٠ أما الخوف ، فتصونه وطأة العقاب !٠٠ **ومع ذلك ، فعلى الامير ان يجعل نفسه مرهوبا ، لا مكروها ، لان الخوف وانعدام الكراهية ينسجمان معا ، فيسهل على الامير ان يحتفظ بهما مادام لايمد يده الى أملاك رعاياه ولا الى نسائهم !**٠٠ فاذا اضطر لان يعدم شخصا ، فليقدم على اعدامه عندما يجد مبررا سليما ، وليعلن السبب لهذا الاعدام ٠ ولكنه يجب — قبل كل شىء — ان يتورع عن الاستيلاء على أملاك الغير ، لان الناس أسهل نسيانا لموت آبائهم منهم لفقدان أموالهم !

واذا ماكان الامير محوطا بجيش عديد النفر ، فمن الضرورى ان لايكترث لوصفه بالقسوة ، لانه بغير هذه السمعة لايستطيع أن يسيطر على الجيش ويبقيه متحدا ، مستعدا ٠ وأخلص من هذا الحديث عن الحب والرهبة ، الى القول بأن الناس يحبون من تلقاء أنفسهم وبمحض ارادتهم ، ولكنهم يخافون تحت سطوة الامير ٠٠ فالامير العاقل هو الذى يستند الى مافى طوقه ونفوذه ، لا الى مايجود به الغير !

على الامير آن يقلد الاسد ٠٠ والثعلب !

◆ **ليس** أفضل من ان يعيش الامير طاهر الذمة ، نزيها ،

بعيدا عن الدهاء • ولكن التجربة فى أيامنا تدل على أن الذين حققوا جلائل الاعمال من الامراء ، هم أولئك الذين لم يحفلوا كثيرا بالطيبة والذمة ، واستطاعوا بالدهاء والذكاء ان يربكوا عقول الناس ، وان يتغلبوا على أولئك الذين جعلوا الاخلاص أساس سياستهم • لذلك فاعلم ان ثمـة أسلوبين للصراع : أحدهما يستند الى القانون ، والآخر الى القوة • والاول هـو أسلوب البشر ، أما الثانى فأسلوب الوحـوش ، ولكن الاول كثيرا ما لا يكون كافيا ، ومن ثم فلابد من الاستعانة بالآخر • وعلى الامير أن يعرف كيف يستخدم الاسلوبين •• وهذا ماكان قدماء المعلمين يلقنونه للحكام • **فلابد للامـير ان يتعلم كيف يقلد كلا من الاسد والثعلب ، لان الاسد لايقوى عـلى ان يقى نفسه الشباك والفخاخ ، فى حين ان الثعلب لايسـتطيع ان يحمى نفسه من الذئاب • فعلى المرء أن يكون ثعلبـا ليتجنب الشراك ، وأسدا ليرهب الذئاب** • ولو ان البشر كانوا جميعا طيبين ، لما كانت هذه القاعدة صالحة ، ولكنهم جبلوا عـلى الشر ، ولن يرعوا لك ذمة ، ولذلك فليس ثمة مايجبرك عـلى ان تفى لهم • ولم تعوز الحجة المشروعة ـ مطلقا ـ أميرا أراد أن يبدى عذرا براقا لنكثه بوعده !•• على أن من الضرورى ان يخفى الامير هذه الصفة فى نفسه بمهارة ، وأن يكون داهيـة ، ومموها كبيرا ، لان البشر من السذاجة بحيث ان المخادع يجد بينهم دائما من يسمحون لانفسهم بأن يكونوا مخدوعين !

وقد لايكون من الضرورى ان يفعـل ماكان يفعله البـابا اسكندر السادس ، الذى لم يكن ثمة من يضـارعه فى بذل التأكيدات المطمئنة ، وفى تدعيمها بالاقسام المغلظة •• لا ولم يكن ثمة من يضارعه فى عدم الاكتراث بتأكيداته ومواثيقه !•• ولكن من الضرورى للامير أن يتظاهر بأنه يملك هذه الصفات• بل اننى لا أتردد عن القـول بأن امتلاك هـذه الصـفات واستخدامها باستمرار خطر ، ولكن التظاهر بهـا نافع !••

ولندرك ان الامير ـ لاسيما الذى نال الحكم منذ عهد قريب ـ لايمكن ان يرعى كل الصفات التى تعتبر طيبة ، لانه كثيرا مايضطر ، فى سبيل صون الحكم ، الى العمل بما ينافى الذمة والخير والانسانية والدين ٠ ويجب ان يكون من حضور الذهن بحيث يوجه نفسه تبعا لاتجاه الريح ، ووفقا لما تمليه تقلبات الحظ ٠٠ وان لايتحول عن الخير اذا استطاع ، على أن يكون قادرا على الشر اذا دعت الضرورة !

ولكن على الامير ـ كما ذكرت ـ أن يتجنب التصرفات التى تجعله مكروها ٠٠ فاذا أفلح فى هذا ، لما وجد فى ممارسة الرذائل الاخرى أى خطر !٠٠ وأهم مايجعله مكروها هو الجشع ، واستباحة أموال رعاياه ونسائهم !٠٠ ذلك لان عامة شعبه سيعيشون قانعين ، طالما انه لم يسط على أموالهم أو شرفهم ٠ وعليه ان يحذر ان يبدو للشعب متقلبا ، مترفا ، ناعما ، خجولا ، مترددا ، وأن يعمل على أن تنم أعماله عن جلال ، وقوة نفس ، وخطورة جانب ، وثبات جنان ، وحزم ٠٠ فان الامير الذى يوفق الى خلق هذه السمعة لنفسه ، يتعذر على أعدائه التآمر عليه ، أو الدس له ، أو مهاجمته ٠ اذ يقع فى نفوسهم انه قادر ، وانه موضع توقير شعبه !

ذلك لان من واجب الامير ان يحرز نوعين من الرهبة : رهبة داخلية يبثها فى نفوس رعاياه ، ورهبة خارجية يبثها فى نفوس الدول الاجنبية ٠ والامير الذى يأمن شعبه ، يستطيع أن يرهب عدوه ، لاسيما اذا كان قد راعى فى حكمه ماسبق ان أوضحت ، وتجنب كراهية رعاياه له ٠ ولنذكر ان الكراهية قد تتأتى عن العمل الطيب ، كما تتأتى عن الشر ، ومن هنا تتبين صحة ماذكرت من ان الامير الراغب فى صون حكمه ، كثيرا مايضطر الى ارتكاب الشر ، لان الطائفة التى تعتبرها لازمة لك ـ سواء كانت العامة ، أو الجند ، أو الخاصة ـ اذا

كانت مفسودة ، وجب عليك أن تتمشى معها وترضيها ، وفى هذه الحال قد يكون العمل الطيب ضارا بك !

ويؤثر عن « سيفيرس » ـ الامبراطور الرومانى ـ أنه أوتى من الكفاءة ماجعله يكتسب ود الجيوش ، فكان فى ملكه سعيدا. رغم انه جار على الشعب ‥ لان فضائله جعلته موضع اعجاب الجنود ، كما بهرت أنظار الشعب وجعلته مشدوها • وسأبين بايجاز كيف استخدم ببراعة صفات الثعلب والاسد • فقـد كان « سيفيرس » قائدا للجيش الرومانى فى (سلوفانيا) . حين قضى الجند على الامبراطور « برتيناكس » ـ لان تمسكه بالفضائل حرمهم من الفوضى ! ـ فمازال « سيفيرس » بجنوده، حتى أغراهم على أن يسيروا معه الى روما للانتقام للامبراطور ، وما ان وصل الى (روما) ، حتى انتخبه مجلس الشيوخ ـ (السينات) ـ امبراطورا ، خوفا منه ، وقتل « جوليانوس » الذى خلف « برتيناكس »

ووجد « سيفيرس » أمامه عقبتين تحولان دون السيطرة على الامبراطورية : أولاهما ، ان قائد الجيوش الاسيوية أعلن نفسه امبراطورا • وثانيتهما ، أن « ألبينوس » قام فى الغرب يسعى طامعا فى الامبراطورية • ومن ثم عمد الى خداع « ألبينوس » ، فكتب اليه انه يشرفه أن يشاطره المنصب الذى انتخبـه له الشيوخ ، وأنعم عليه بلقب « قيصر » • ثم تحول فحارب قائد الجيوش الاسيوية ، وهزمه ، وقضى عليه • وما ان أقر الهدوء فى آسيا ، حتى عاد الى روما ، ووجه الى « ألبينـوس » ـ فى مجلس الشيوخ ـ تهمة اهمال واجبات منصبه ، والسعى الى اغتياله غدرا ، فخول له المجلس أن يذهب ليعاقبه • وبالفعل ، سار الى فرنسـا حيث قضى عليـه • ومن هـذا نتبين أن « سيفيرس » كان أسدا كاسرا ، وثعلبا ماكرا فى آن واحد ، وكان موضع توقير الجميع ، كما انه لم يكن مكروها من جيشه .

ولقد كان ابنه « انطونيوس » لايقل عنـه كفاءة ، وكان له من

الصفات ماجعله موضع اعجاب الشعب والجيش ، ولكن وحشيته وقسوته كانتا تفوقان كل ماهو معروف . وقد أدى اسرافه فى الاعدام الى قتل عدد كبير جدا من أهل روما ، وأهل الاسكندرية ، فكرهته الدنيا بأسرها ، وبدأ من كانوا يحيطون به يخافونه ويمقتونه الى درجة أفضت الى اغتياله وسط جيشه

والذى يستعرض أحداث التاريخ ، يجد ان الكراهية والحقد كانا سببى هلاك كثير من الاباطرة

تجريد الرعية من السلاح غير مأمون !

◆ عمد بعض الامراء - فى سبيل ضمان ممتلكاتهم - الى تجريد مواطنيهم من السلاح . وعمد بعضهم الى تقسيم أراضى رعيته ، ومنهم من أثاروا الحزازات ضد انفسهم ، كما ان غيرهم سعوا الى كسب ود أولئك الذين كانوا يرتابون فيهم ، فى بداية حكمهم . ومنهم من اقام الحصون والقلاع ، فى حين ان منهم من هدمها وأبادها . وليس فى وسع الانسان ان يبدى حكما قاطعا فى هذه الامور ، ما لم يخض تفصيلاتها ، ومن ثم ساتحدث عنها بوجه عام ، وبقدر مايسمح المقام

لم يعرف عن امير - حديث عهد بالحكم - انه جرد رعاياه من السلاح ، بل انه عادة يسلحهم اذا وجدهم عزلا ، لانهم بذلك يغدون جندا له . ولما كان من غير الممكن تسليح الشعب كله ، لذلك ففى وسعك ، اذا آثرت بعضه بالسلاح ، أن تعامل البعض الآخر وانت أكثر اطمئنانا الى سلامتك ، لان هذه التفرقة فى المعاملة تجعل الذين نالوا السلاح يدينون بالولاء لك ، فى حين أن الفريق الآخر سيلتمس لك العذر ، ويدرك أن الذين نالوا السلاح انما أوتوا مقدرة على القتال ، ومن ثم حملوا اعباء أفدح واخطر من نصيبه هو . اما حين تجرد شعبك من السلاح ، فانك تمس كرامته ، وتبدى عدم الاطمئنان اليه ، سواء عن جبن أو عن عدم ثقة ، فتثير البغضاء فى قلوب الرعايا نحوك .. وتضطر الى الاستعانة بجنود مرتزقين ، ذكرنا من قبل عواقب استخدامهم . ومن ثم فليس للامير أن يجرد الرعية من السلاح ، الا اذا كانت هذه الرعية اهل منطقة جديدة ضمها الى ملكه القديم

والسيطرة على الناس بالتفرقة بينهم ، اجدى من السيطرة عليهم باقامة القلاع والحصون .. وان كنت ارى انها ليست سياسة طيبة ، لان التفرقة والحزازات اذا شاعت بين اهل بلد ، جعلت هذا البلد ضعيفا امام اى عدو يهاجمه !

وكم من امراء - لاسيما حديثو العهد بالحكم منهم - وجدوا وفاء ونفعا

ممن ارتابوا فى ولائهم لهم فى بداية حكمهم ، يفوق ماظفروا به ممن وثقوا فيهم من البداية . ولا يتسع المقام لان أقول سوى ان أولئك الذين يبدون عداء للحكومة الجديدة ، فى البداية ، يمكن كسبهم بسهولة اذا كانوا ينشدون مايحفظ عليهم مراكزهم ، وهم فى هذه الحال يجدون أنفسهم مضطرين لخدمة الامير فى اخلاص ، محاولين أن يمحوا بخدماتهم ماسبق ان علق بذهنه عنهم .. ومن ثم يكونون أكثر عونا للامير من أولئك الذين اطمأنوا الى مراكزهم - من أعوانه - فبدأوا يتراخون ويهملون مصالحه !

بقيت مسألة القلاع والحصون . فالامير الذى يخشى شعبه أكثر من خشيته الاجانب ، يجوز له ان يقيم القلاع .. اما الذى يخشى الاجانب أكثر مما يخشى شعبه ، فلا حاجة به اليها .. وخير القلاع هى التى تقام فى قلوب الشعب ، ومن محبته ، اذ أن اية قلاع أو حصون لن تنقذك اذا كنت مكروها من شعبك !

الصدق .. فى الود والعداء !

◆ وليس ادعى لرفع قدر الامير من المشروعات الجليلة ، ومن ان يثبت أقدامه وشجاعته . واقرب مثال لذلك هو الملك فرديناند الارجونى ، ملك أسبانيا (فى العقد الثانى من القرن السادس عشر) ، اذ يعتبر ملكا جديدا ، لانه ارتقى بنفسه من الضعف الى الشهرة والمجد ، حتى صار الملك الاول فى الدول المسيحية . ولقد عمد فى بداية ملكه الى مهاجمة (غرناطة) ، فكان هذا المشروع نواة دولته ، اذ شغل به بال أمراء (قشتالة) فلم يعودوا يفكرون فى غير الحرب ، وبذلك امن كيدهم ، ونال الشهرة والنفوذ على حسابهم دون أن يفطنوا . واستطاع باموال الكنيسة ان يقتنى الجيوش ، وبتلك الحرب الطويلة أن يرسى دعائم قوته الحربية . ولكى يقوم بمشروعات أضخم ، اتخذ من الدين ستارا ، ثم هاجم شمال افريقيا ، واقدم على غزو ايطاليا ، واعتدى على فرنسا . وبهذه « المشروعات » الكبيرة المتوالية ، لم يدع لرعاياه فرصة لتستقر أذهانهم ، بل استبقاهم فى دهشة دائمة ، وشغلهم بتتبع أعماله عن ان يعملوا ضده !

كذلك يزداد الامير قدرا اذا كان صادقا فى وده أو فى عداوته ، فهذه السياسة أجدى دائما من الحياد . واذا اشتبكت دولتان متجاورتان فى حرب ، فمن الافضل أن تعلن بجلاء موقفك من كل منهما ، وان تشترك فى الحرب ، لانك اذا لم تفعل ، فلن تلبث ان تغدو فريسة للمنتصر ، مما يثير شماتة المهزوم !.. ذلك لان المنتصر لن يبغى ود من لم يساعده فى الملمات ، فى حين أن المغلوب لن يحفل بمن لم يحمل السلاح ليناصره فى قضيته . والامراء المترددون هم الذين يتبعون الحياد عادة ، ليتجنبوا الاخطار القائمة ،

فلا يلبثوا أن يحكموا بذلك على أنفسهم بالدمار • وهنا يجب أن نذكر انه لاينبغى للامير أن يتحالف مع من هو اقوى منه لالحاق الضرر بالغير ، ما لم تكن ثمة ضرورة تدعوه لذلك • لانك تبقى – اذا كسب – تحت سلطانه • أما اذا لم يكن ثمة مفر ، فاعلن موقفك ، للاسباب السابق ذكرها •

وينبغى على الامير – كذلك – أن يبدى حبه لذى الموهبة ، وايثاره لذى الكفاءة ، واكرامه لمن يبدعون فى كل فن •• وان يشجع رعاياه على ان يتفوقوا فى أعمالهم ، سواء فى التجارة او الصناعة ، حتى لايحجموا عن تحسين أحوالهم خشية ان تنتزع منهم ثرواتهم •• أو خوفا من أن ترهقهم الضرائب • وعليه كذلك ان يشغلهم خلال مواسم السنة بالاعياد والمهرجانات ، وأن يبدى اهتماما بما تنقسم اليه كل مدينة من طبقات وطوائف ، فيختلط بها من وقت الى آخر ، ويبدى لها جانبا من تواضعه وعظمته ، محافظا طيلة الوقت على كرامة مركزه وجلاله !

ليحترس الامير من المنافقين !

◆ وليس اختيار الامير لوزرائه وأعوانه بالامر الهين ، فان رجال الامير هم عنوان حكمته ورجاحة عقله •• فاذا كانوا اكفاء ، مخلصين ، دل ذلك على أنه عاقل حكيم • وهناك أسلوب لايخفق قط فى ارشاد الامير الى الوزير الصالح •• فاذا رأيت وزيرا يفكر فى نفسه أكثر مما يفكر فيك ، ويسعى من وراء كل تصرف الى مصلحته ، فاعلم انه لن يكون وزيرا صالحا ، وليس لك أن تعتمد عليه !•• ومن الناحية الاخرى ، ينبغى على الامير – ليحتفظ بولاء وزيره – أن يفكر فيه ، ويكرمه ، ويغنيه ، ويخلع عليه ألوان التمجيد • ويعهد اليه بالمسئوليات

وهناك موضوع هام ، كثيرا ماينقاد الامراء الى الزلل بصدده • ذلك هو موضوع المتملقين ، المنافقين ، الذين تحفل بهم مجالس الحكام • فليس أدعى لصون المرء من الاغترار بالملق من ان يقنع من حوله بانهم لن يغضبوه اذا ما قالوا الصدق •• ولكنك قد لا تلبث ان تفقد احترام الجميع اذا كان بوسع كل واحد أن يتكلم صدقا • لذلك فالحكيم هو الذى ينتهج مسلكا وسطا ، فيختار لمشورته رجالا عقلاء ، يبيح لهم – وحدهم – حق مصارحته بالصدق فى الامور التى يسألهم عنها فقط ، وليس فى سواها •• ويجب ان لاينصت لغير هؤلاء ، ثم ليترو فى الامر قبل ان يتخذ رأيا ، فاذا اتخذ الرأى فليكن حازما حاسما !•• وهكذا نرى انه ينبغى على الامير أن ينشد المشورة ، ولكن •• حين يشاء هو ، لا حين يشاء الغير • بل ان عليه أن يثبط كل محاولة لنصحه ما لم تصدر عن تكليف منه •• فاذا سأل فليسأل فى جلال ، واذا انصت للحقيقة بصدد الامور التى سأل عنها ، فليصغ فى صبر • وما لم يكن الامير

حكيما ، فان مستشاريه لن يلبثوا أن يتحولوا الى التفكير فى مصالحهم ، فيعجز عن اصلاحهم ، أو ادراك انحرافهم !

ولست أجهل ان الكثيرين يعتقدون ان الاحداث الدنيوية انما تخضع لسلطان الله والقدر ، وان ليس بوسع البشر أن يغيروا بحكمتهم هذه الاحداث ، فمن العبث أن يتعبوا أنفسهم بشأنها . وانى أرى ان القدر يسيطر حقا على نصف أعمالنا ، ولكنه يدع لنا السيطرة على النصف الآخر .. فهو كالنهر ، اذا فاض أغرق السهول ، وجرف الاشجار والمبانى ، واستسلم كل شىء لثورته دون أن يقوى على مقاومته . ومع ذلك فهو من اللطف بحيث يستطيع البشر - أثناء هدوئه - أن يقيموا الاحتياطات ، فينشئوا الجسور والسدود .. كذلك يظهر القدر جبروته اذا لم يتخذ البشر الحيطة لمقاومته ، ويوجه بطشه الى حيث لاتقوم حواجز لصده !

وأعتقد ان الامير السعيد هو الذى يتمشى مسلكه تبعا لحاجات العصر والظروف . فاذا كان الوقت والظروف مواتية لمن يصدر فى تصرفاته عن حذر وحكمة ، فهو ولابد موفق فى حكمه !

« صورة مدام بانكوك » لوحة تمثل الجمال الكلاسيكى .
للفنان « انجر »

« امرأة تدخن الحشيش ! » هكذا يتصوروننا فى الغرب ،
وهكذا أطلق الرسام « اديل برنار » على لوحته هـذه التى جعل عنوانها
بالفرنسـية (FUMEUSE DE HASCHICH)

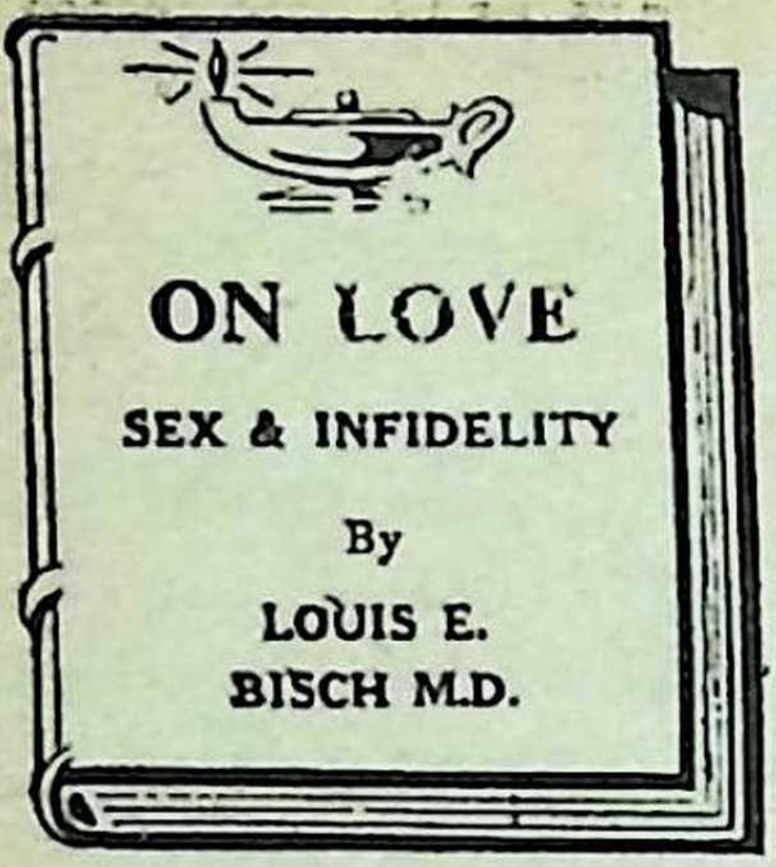

للعالم النفسى الأمريكي

الدكتور لويس بيش

حُبّ.. وَجِنْس.. وَخِيانة!

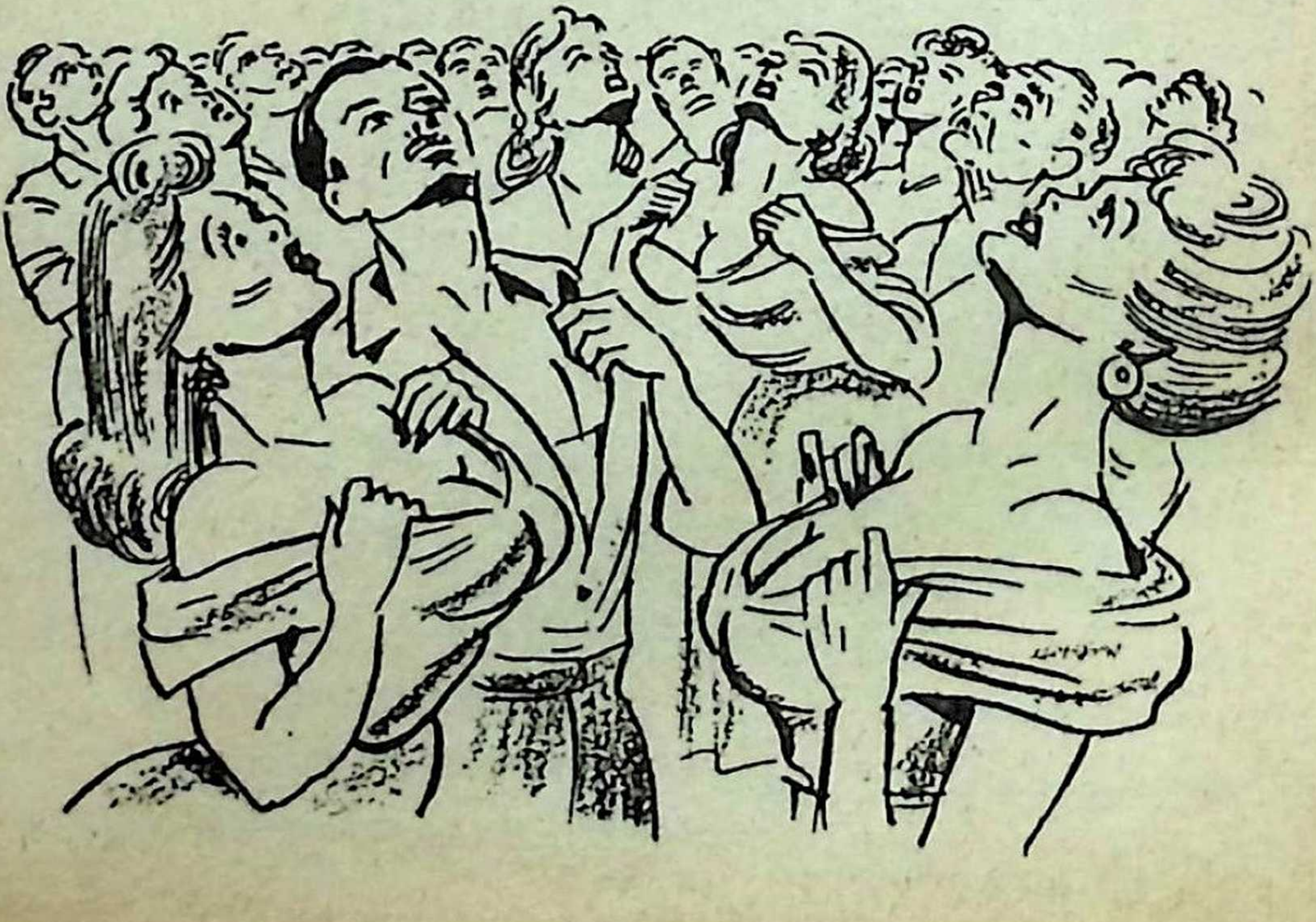

بين « الحب » و « الجنس » ٠٠ ابحثوا عن الخيانة !

◆ ح ، ج ، خ ٠٠ ان هذه الحروف الثلاثة خليقة بان تنقش على كل شيء تقع عليه عينا المرء ، لتذكره دائما بالعوامل الثلاثة التى تسيطر على حياته العاطفية ، والاجتماعية : « حب ، وجنس ، وخيـانة » !٠٠ ان معظمنا لايفطن ـ مهما يبلغ مستوى تعليمـه ـ الى مدى امتزاج الحب والجنس ، واختفاء كل منهما وراء الآخر ، ومن ثم فنحن كثيرا ما نخدع بالجنس على انه الحب ، فتكون النتيجة : خيانة ! ٠٠ وهذا مايتعرض لبحثه الدكتور « لويس بيش » ـ وهو طبيب نفسى مبرز فى أمريكا ـ اذ يبين لنا السر فى الخيانة الزوجية ، وفى اقدام بعض الازواج والزوجات على الانزلاق فى مهاوى الخيانة ، رغم حبهم لزوجاتهم أو ازواجهم !٠٠ ويسوق لنا المؤلف فى بحثه المشوق ، امثلة من حياة العظماء ، ورجال الفكر والادب والفن ، الذين كانوا يشغفون بغانيات متبذلات ، فى حين ان سيدات المجتمع الراقى ، من ذوات المحتد والمكانة، كن يتهافتن عليهم بغير طائل

فتعال معى نتعرف على « الحب » ٠٠ و « الجنس » لنتفـادى ٠٠ « الخيانة » !!

حديث تليفونى ٠٠ يثير حنينا !

◆ كثيرا مايشقى الرجال بمشكلة الخيانة الزوجيـة ٠ وكذلك حال النساء ، ولكن بدرجة أقل ٠ ولقـد التقيت فى ممارستى الطويلة للطب النفسى بكثير من الرجال والنسـاء ، شبابا وشيبا ، جاءونى يشـكون مايلاقون من عذاب نفسى ، لانهم لم يكونوا مخلصين فى حياتهم الزوجية ، أو لانهم يخشون أن تكون قوة ارادتهم موشكة على الضعف ، فهم نادمون أشد الندم لانحراف تفكيرهم ومشاعرهم ٠٠ وهم فى أشد الخجـل والحياء ، يحقرون أنفسهم ويزدرونها !٠٠ بل ان منهم من كان يذهب الى الاعتقاد بأنه ولا بد سيلاقى فى دنيـاه عقابا ، وان الله ولا بد منتقم منـه لمسلكه !٠٠ واذا كان معظم الرجـال مهيئين لان يدوسوا خياناتهم ويتناسوها ، الا أن أشد حالات الندم وازدراء النفس ، نجدها لدى النساء !

فمن هؤلاء ، سيدة فى أوائل العقد الثالث من عمرها ،انقضى عليها فى الزواج تسع سنوات ، أنجبت خلالها ثلاثة أولاد ٠ ٠ جاءتنى فى حال تقرب من الخبل ٠ فلقد سافر زوجها فى رحلة طويلة تتعلق بعمله ، وما لبثت أن تلقت حديثا تليفونيا من شخص كان يحبها فيما مضى ٠ واستطردت تقول : « صدقنى يادكتور ٠٠ لست أدرى ما الذى أصابنى ٠٠ فلقد ذكر لى انه فى المدينة لبضعة أيام ، والتمس أن أقابله ، فلما راوغت ،راح يذكرنى بأننا لم نلتق منذ تلك الليلة التى أنبأته فيها بأننى قبلت الزواج من « جيم » ، فأى ضير فى لقائنا ؟ ٠٠ ومضى يقول : « لقد ذكرت لى انك تحبين زوجك ، وانك أم أطفال ، وانك سعيدة ، فمم تخافين ؟٠٠ هل حاولت أن ألاحقك أو ان أضايقك مذ فضلت « جيم » وانبأتنى بأنك اعتزمت اتخاذه زوجا ؟! ثم اننى نزحت الى (شيلى) ، وتزوجت من فتاة جميلة ـ ولا بد انك تسمعين عن سحر بنات شيلى ـ وقد أنجبت منها أولادا »

« ووجدتنى أهتف : « أحقا تزوجت ؟ » ٠٠ فلست أنكر اننى فكرت فيه بين آن وآخر ، ولكن زواجه لم يخطر ببالى قط ٠ وسألته : « وهل أنت أيضا سعيد ؟ » ، فأجاب : « بالتأكيد ٠٠ أولا تجدين فى كل هذا ما يطمئنك ؟٠٠ ألا تعالى ٠٠ وإذا اعترض « جيم » فاحضريه معك ! »

ورحل الرجل بعد أسبوع ، كان خلاله « يعمل » عشيقا للسيدة !٠٠ وحاولت هى بعد رحيله ان تتمالك نفسها ، وان تقنعها بانها لم تكن تهدف الى خيانة زوجها ، وان ما حدا بها الى الاتصال بالرجل فى البداية كان مجرد فضول !٠٠ وسكن ضميرها فترة ، تحت تأثير هذه الفكرة ٠٠ « ولكننى الآن ادرك اننى كنت اكذب على نفسى ، وأننى مازلت احب الرجل !٠٠ لكم احتقر نفسى ! يالى من مخلوقة وضيعة ، بغيضة !٠٠ ماذا يكون لو علم اولادى ، او عرف اصدقائى !٠٠ وكيف

أقوى بعد ذلك على أن أتطلع الى عينى « جيم » اذا ماعاد من رحلته ؟٠٠ يجب ان أصارحه ، ولكن ٠٠ هل يحمله حبه لى على أن يغفر ذنبى ؟ »

هكذا هى الخيانة !

• **هكذا** هى الخيانة ، تستدرج المرء ، ثم تأخذه على حين غرة ، وتدفع به الى أسود ألوان القنوط !٠٠ فالغريزة الجنسية ، وحنين الهوى ، واندلاع العاطفة التى كانت مكبوتة ، منسية ٠٠ كل هذه الحوافز قد تعمل كالبرق الخاطف ، وعلى غير توقع ، فتحدث أبلغ الاضرار ٠ وقد روى لى أحد المشاهير ، الناجحين ، مغامرة مشابهة ، فقال : « كيف تتصور ان أقدم على مثل هذه الحماقة فى الثانية والخمسين من عمرى ٠٠ وأنا زوج محب لزوجته ، وأب صالح ، ومواطن طيب ٠٠ وليس لدى من الاحساس العاطفى أو الشبق الجنسى مايغرينى على الانزلاق ؟! » ٠٠ فلقد ذهبت اليه فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها ، تسأله عملا ٠٠ فتاة فاتنة ، ذات شعر أحمر ، وفيها غواية واغراء ٠ وأحس الرجل بنظراتها تنفذ الى أعماقه ، فاذا بها تفقده حكمته واتزانه ٠٠ وخلق للفتاة عملا لم يكن له وجود من قبل !

« ٠٠ **كان ذلك منذ سبعة شهور ٠ واليوم ، اتصل بى محاميها زاعما انها حامل ، متسائلا عما أعتزم ان أفعل ! »**

وسألته : « وهل تظنك مسئولا عن حملها ؟ » ٠٠ فقال : « من الجائز ، وان كنت لا أثق فى الفتاة ! » ٠ قلت : « وماذا فى وسع الطبيب النفسى ان يفعله لك ؟ » ٠٠ فتطلع الى فى حيرة ، ثم قال : « أترانى موشكا على الاختبال ؟!٠٠ كيف يتسنى لرجل مثلى أن يتردى الى هذا الدرك مع فتاة فى سن أولاده ، وهو الذى يكن أصدق الحب لزوجته منذ ثلاثين عاما ؟! »

ان تردى الرجل ـ أو المرأة ـ وانصياعه لنداء الخيانة ، يتوقف الى حد كبير على القوى الدافعة المتولدة من « الهرمونات » الجنسية فى كيانه • ولما كانت هذه القوى الدافعة أشد لدى الرجل منها لدى المرأة ، فاننا نجد الذكر أكثر اقداما على الخيانة الزوجية من الانثى ! •• والمخلوق الآدمى حيوان ذو نظام دقيق ، راق ، معقد • فنحن نجد أن تصرفاته العاطفية تتغير وفقا للبيئة ، ووفقا لمشاعر كان يخالها قد استكانت الى الابد فى أعماقه ، فاذا حنينها يستيقظ فجأة • وهو قد يصدر فى تلك التصرفات عن رغبة فى التجربة ، أو عن شعور بالوحدة أو الضجر ، أو عن رغبة فى الاحساس بأنه حر ، وبأن من حقه الاستمتاع وخوض التجربة لمجرد الابتهاج ، أو عن رغبة فى أن يختبر مقدرته الجنسية !•• وكل عامل من هذه العوامل كفيل بأن يوضح السر فى أن الناس تستعذب الحماقات ، ثم تتألم وتلوم نفسها وتزدريها !

سر غرام الرجال بالغانيات !

• **ويحضرنى** بهذه المناسبة موضوع طالما أثار التساؤل ، وهو : لماذا يهوى الرجال الغانيات والساقطات ؟

حدثتنى مرة النجمة السينمائية « ماى ويست » ـ التى فتنت رواد السينما الى عهد قريب ـ فقالت انها ظهرت على المسرح وهى فى الخامسة من عمرها ، وقد اكتسبت منذ ذلك الوقت معرفة ودراية بأهواء الناس ، فلما فكرت فى الانتاج لحسابها ، كتبت على هدى هذه الخبرة مسرحية أحجم اثنان من المخرجين عن اخراجها ، فلما قبل مخرج ثالث أن يقوم بهذه المهمة أخيرا ، وقدر للمسرحية ان تقدم تحت اسم « الجنس » ، تورعت الصحف عن نشر اعلاناتها ، فما كان من « ماى ويست » الا أن أغرقت (نيويورك) باعلانات الحائط • وما ان عرضت المسرحية للمرة الاولى ، حتى ظهرت صحف (نيويورك) وفى

صدورها عناوين ضخمه عنها !٠٠ وقدر للمسرحية ان تضرب الرقم القياسى فى اجتذاب النظارة ٠٠ ثم تهالكت (هوليوود) على « ماى ويست » وعلى أفلام « الجنس » !

ولقد اعترف « سومرست موم » فى كتابه « الرق الآدمى » بأنه حين كان طالبا يدرس الطب ، مرهف المشاعر ، مشبوب الخيال ، تعلق بساقيه فى مشرب ، كانت لعوبا تثير فى النفوس رغبة لا سبيل الى مقاومتها !٠٠ **والذى ينقب فى سير أهل الفكر ، والمثقفين ، والفنانين ، والشعراء ، والفلاسفة ، يجد ان معظمهم كان يفتتن بفتاة من هذا النوع ٠ فقد كان « هنريك هاينى » ـ شاعر ألمانيا الخالد ـ فى أوج مجده ، حين افتتن بفتاة تبيع الاحذية فى أحد المتاجر الصغيرة بباريس ، وكانت غانية ، مرحة ، غير متعلمة ٠٠ فى حين كانت الاميرات وسيدات الطبقة الراقية يتهافتن على طلب ود « هاينى »** ٠ ولكنه أعرض عنهن وتزوج من هذه الفتاة التى كانت على النقيض من كل السيدات اللائى عرفهن ٠ فقد كانت مهملة ، لاتعنى بثيابها ، وقلما كانت تغتسل ٠٠ كما كانت نزقة ، طائشة !٠٠ ولم يكن يملك ان يصطحبها الى المجتمعات الراقية ، بل انه لم يكن يجسر على الظهور معها الا فى الاوساط البوهيمية ٠٠ وكانت تنساق وراء نزواتها الجامحة ٠٠ ومع ذلك فقد أسعدت « هاينى » بسحر شبابها ، وبما كان لها من عبث مثير ، كما لم تسعده أرقى السيدات اللائى عرفهن وعرفنه !

« الحب ٠٠ تعاون على تبادل اللذة الجسدية ! »

◆ **والتاريخ** حافل بأنباء غانيات غيرن مصائر امبراطوريات، أو طبعن المجتمع فى حياتهن بطابعهن ٠ ألم تفتن « كليوباترا » كلا من « يوليوس قيصر » و « مارك أنتونى » ، وباعت جسدها لتنقذ مملكتها ، وحملت « أنتونى » على أن يهجر زوجته

و (روما) ، وغيرت مجرى الاحداث فى الامبراطورية الرومانية ؟

ولم تكن « كاترين » ـ امبراطورة روسيا ـ لتتكتم أسماء عشاقها !٠٠ فقد شاء الحظ لهذه الالمانية البروتستانتية النشأة أن تتزوج من بطرس الثالث ، الذى مات بعد تسع سنوات من زواجهما ، وخلفها ٠٠ عذراء !٠٠ وكانت ذات مواهب فكرية وأدبية ، حتى انها كتبت مسرحية أو اثنتين ، وتبادلت الرسائل مع عدد من كبار الكتاب الاوربيين فى عصرها ، مثل « فولتير » ٠ وكانت امبراطورة حازمه ، مصلحة٠ **ولكنها ـ كأنثى ـ كانت عارمة المشاعر والنزوات ، فكانت تختار أجمل رجال امبراطوريتها ، فتتخذهم عشاقا ، دون ان يبدو عليها أى شعور بالاثم !**

ويزخر تاريخ فرنسا بأحاديث الغوانى والمتبذلات ٠ فمنذ ثلاثمائة سنة ، رأت « نينو دولنكلو » ـ التى فتنت كثيرا من الكتاب ـ ان تطبق على نفسها شريعة الرجال فى الحب ، **فتعتبره مجرد تعاون على تبادل اللذة الجسدية فقط !**٠٠ واندفعت فى التبذل ، غير حافلة بالعرف والتقاليد ، فكان بين عشاقها كثير من عظماء فرنسا ، حتى لقد قيل ان « موليير » كان يحرص على أن يقرأ عليها مسرحياته ٠ ولقد أمرت الملكة « آن » النمسوية بايداعها فى أحد الاديرة ، ولكن الملكة السويدية « كريستينا » زارتها فى هذا « المعتقل » ، ثم خرجت تقول للكاردينال « مازاران » أن البلاط الفرنسى يفتقد أجمل وألمع نجومه بغياب « نينو » !

وعندما مل لويس الخامس عشر سيدات حاشيته الراقيات، تحول الى فتاة كانت تعمل يوما فى أحد المتاجر ، تلك هى « مدام دى بارى » ، التى لم تكن لتحفل بالموسيقى ، ولا بالكتب ، ولا بالسياسة ، وانما كرست حياتها للحب كمحظية للملك !٠٠ ومن أشهر الغانيات كذلك « لولا مونتيز » التى كانت فى السابعة والعشرين من عمرها ، حين التقى بها

« لودفيج الاول » ـ ملك بافاريا ـ وهو فى الحاديه والستين ، فهام بها حبا ، وما لبثت أن صارت غانيه دوليه !

المرأة ٠٠من وراء ورقة التوت !

◆ **والواقع** ان مايفتن الرجال فى الغانيات المتبذلات ، هو انهن يفعلن ما لا تجرؤ السيدات العاديات على فعله ، ويكشفن للرجال عما تستنكر المهذبات أن يجارينهن فيه ٠ **ويمكن أن نقول ان الفتنة التى للغانيات ترجع الى سحر الجسد الانثوى كما كان يبدو من وراء ورقة التوت فى بدء الخليقة !٠٠ فالغانيه تدرك انها متعة للرجل ، ومن ثم لاتدخر وسعا فى اغرائه وامتاعه !٠٠ وبينما يعرف الرجل مايمكن ان يتوقعه من النساء المهذبات ، نجد ان الغانية تستبقيه فى حدس وتخمين ، وتكشف له فى كل لحظة عما لم يكن يتوقع !٠٠ والحدس والتساؤل عنصران هامان فى الحب ، كما هما فى القصص** !٠٠ ثم ان الغانية متمردة على الاوضاع ، معتدة بشخصيتها ، فهى بذلك تبدو معقدة ، متعددة الالوان ، ولذلك نرى الممثلات يحببن دائما أداء أدوار الغانيات !

كذلك نجد ان الغانية تثير الحيوان الكامن فى نفوس الرجال ، عن طريق اطلاق ناحية بدائية من نواحى فطرتها وطبيعتها ٠٠ عن طريق اطلاق العنان لما تضطر غيرها الى قمعه وكبته انصياعا للعرف والتقاليد !

القوة الجنسية ٠٠ وبرود المرأة !

• **والآن** وقد كشفنا عن ناحية من النواحى التى تدعو الرجال للخيانة الزوجية ، نعود الى حديثنا العام عن الخيانة . فعلى الرغم من تعدد واشتباك الحوافز التى تدفع أى شخص الى المتاعب الجنسية ، الا أن بوسعنا ان نميز بجلاء بعض أنواع واضحة : فهناك ـ مثلا ـ الشخص الذى يتورط فى هذه المتاعب بدافع مما أوتى من مقدرة جنسية عارمة . ومثل هذا الشخص قد يزهو بمقدرته هذه ، فى حين انه أبعد مايكون عما يظن ، لانه انما يفرط فى استنفاد مقدرته التى يزهو بها !٠٠ والذين على هذه الشاكلة ـ لاسيما من الرجال ـ ليسوا فى الواقع سوى مرضى ، يعانون اضطرابات عصبية ، ولابد لهم من علاج !

ومن الغريب حقا ان النساء المصابات بالبرود الجنسى، نجدهن أكثر ميلا من غيرهن الى الاندفاع فى المغامرات الجنسية ، وكأنى بهن يقلن لانفسهن : « ماذا يهمنى ؟ ٠٠ مادام الجنس ليس بأمر ذى بال لدى ، فلماذا لا أمتع غيرى ، وأكسب من وراء ذلك ؟! » ٠٠ ولا عجب اذن من ان نجد ان « محترفات الجنس » ـ (أى البغايا) ـ من هذا الصنف غالبا !

والنساء اللائى يحاولن إن يتهربن من الشعور بخيبة الامل ـ فى الناحية الجنسية ـ ومن وقائع الحياة القاسية ، فيسرفن فى الانسياق للخيال ولاحلام الحب والجنس ، انما يضعفن من مقاومتهن للاغراء ٠٠ فان الرغبة دائما أم التفكير فى التنفيذ !٠٠ وهن عرضة ـ بأحلامهن هذه ـ للوقوع فرائس سهلة لاى رجل ذكى ، لبق ، على شيء من الفراسة والحيلة

وخوف المرأة من سن اليأس ـ الذى ينقطع عندها الحيض ـ كخوف الرجل من الشيخوخة . **وهذا الخوف كثيرا ـ بل غالبا ـ مايثير الرغبة والشوق الى رشفة اخيرة من المنهل العذب !٠٠**

لذلك نجد ان أواسط العمر ـ لاسيما بين الاربعين والخمسين ـ من أخطر المراحل فى حياة الجنسين . والفسق فى هذه الحال يكون نوعا من الافراط فى التعويض . . تعويض الجسد عما يوشك أن يحرم منه ! . . ذلك لان «الهرمونات» الجنسية ـ فى هذه المرحلة ـ تبدأ فى التلاشي ، فتؤدى الذبذبة العاطفية الناشئة عن ذلك الى محاولة بذل نشاط فوق المعتاد، للتغلب على الشعور بالنقص الداهم !

ومن أسباب انسياق المرأة للخيانة ، أنها قد تخال ان تأثيرها على الرجال قد أصابه الفتور ، فتخلق ـ دون ان تفطن ـ الجو الذى يؤدى الى ترديها فى الخيانة ، وهى لاتبغى أكثر من ان تطمئن الى أنها لاتزال تفتن الرجال ! . . **وهى قد تقدم على الخيانة أحيانا للثأر لنفسها من زوج يخونها . . أو للانتقام من امرأة تؤذى شعورها وتتعالى عليها ، فتسعى هى الى اغواء زوج تلك المرأة !**

أما الرجال ، فمن أسباب انزلاقهم الى الخيانة : ضيقهم باهمال زوجاتهم ، أو تمردهم على ماتبدى الزوجات من « برود جنسى » . وقد يقع الرجل فى شرك الخيانة لمجرد الرغبة فى التظاهر ـ فى الاوساط التى يرتادها ـ بأنه رجل ساحر تهفو اليه النساء !

ليفتكن القطار ٠٠ ولكن لا تستسلمن !

◆ **ويخلط** معظم الناس بين « الحب » و « الجنس » ، فى حين أن هاتين الرابطتين هما أهم مايربط بين الذكر والانثى من روابط ٠٠ والمشكلات التى تترتب على هذا الخلط ، كثيرا ماتقود الى صدمات تحطم الاعصاب ، والى شقاء ، والى تحطم المبادىء والاحلام ، والتردى فى أكناف التعاسة ٠٠ **والطبيب النفسى يلتقي في حياته اليومية بكثير من الحالات الناشئة عن عدم الفهم بالفارق بين « الحب » و « الجنس »**

جاءتنى يوما فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها ، دهمها ألم مرير ، وندم قاس ، لانها أسلمت نفسها لشاب غرر بها باسم الحب ٠٠ وكان مما قاله لها ليستدرجها : « مادام كل منا يحب الآخر ويثق فيه ، فلماذا نعذب نفسينا ؟ » ٠٠ وانصاعت له الفتاة الساذجة ، وهى لاترى أى حرج ، « مادام يحبها ، وما دامت تثق فيه وفى وعوده » !٠٠ ولكنه بعد ستة أشهر ، تحول عنها الى سواها !٠٠ وهناك من يفعن فى هذا الشرك لانهن يشعرن بأن السن تتقدم بهن ولما يتزوجن بعد ، فاذا اللهفة تغريهن على الاستسلام للشاب اللبق ، الذى يجيد الحديث عن الحب والزواج ٠ وقد لاتكون هذه الحالات غريبة، **ولكن الغريب حقا ، ان كثيرات من المتزوجات لايدرين الفرق بين « الحب » و « الجنس » ، حتى بعد مضى سنوات عديدة على زواجهن**

وكم من أولئك النساء من يذكرن لى ان ماينغص عليهن حبهن لازواجهن ، هو شعورهن بأن « كل شىء » قد تغير عما كان عليه يوم الزفاف !٠٠ فمنهن من تشكو انصراف زوجها عن الناحية الجنسية ، وتعتبر هذا الانصراف مظهرا لفتور حب الزوج لها ، فتساورها الهواجس فى انه قد شغل بامرأة سواها !٠٠ ومنهن من تظن آن انشغال زوجها عن اصطحابها الى النزهات والسهرات - لتزايد أعماله - دليل على فتور

مشاعره نحوها . وقد سألت واحدة من هذا الفريق ، تتردد على عيادتى ، عما اذا كانت تجزم بأن زوجها لم يعد يحبها ، فكان جوابها : « انه لاينفك يزعم انه يحبنى ، ولكنى لا أملك أن أصدقه .. فهو يستمرىء الناحية الجنسية ، ولا يبدو عليه أنه ينشد سواها لدى ! »

وما أكثر القصص التى يمكن ان تروى فى هذا الصدد ، وكلها تشير الى لب المشكلة وجوهرها ، وهو : ان « **الحب** » **شىء ، و « الجنس » شىء آخر ، وهما ليسا على درجة واحدة لدى الجنسين ، بل ان درجة كل منهما تختلف لدى أحد الجنسين عنها لدى الآخر !**

الحب + الارتباط الجنسى = نعيما مقيما !

◆ على ان الرجال أقدر من النساء على التفريق بين الشعورين ، وكأن غريزتهم تهديهم الى ذلك . فالرجل قد يتدله فى حب المرأة ويحرص على الوفاء لها ، ولكنه لا يحفل بفتنة جسدها ، على مر الزمن . أما المرأة ، فانها غالبا ما تربط بين « الجنس » و « الحب » ، وترى ان حبها للرجل يبرز استسلامها له !.. وهذا الوهم الخاطىء هو الذى يسبب كثيرا من الاضطرابات العاطفية ، بل والبدنية ، لدى الفتيات قبل الزواج ، ويقودهن الى الآلام والهموم بعد الزواج !.. **ولو ان النساء وضعن نصب أعينهن وجوب التمييز بين « حافز الجنس » و « حافز الحب » ، لما كانت صدمتهن قوية حين يضعهن واقع الحياة أمام هذا الفرق .. فالشوق الجنسى ، واشباعه ، قد يتيسران دون ما حب .. والشوق العاطفى ـ أقصد الحب ـ وارضاؤه ، قد يتمان دون رغبة جنسية ، بل دون ممارسة العمل الجنسى !**

والدافع الجنسى منشأه الجسد ، وهدفه الاكثار من النوع ، أى التناسل ، ويعتمد فى وجوده ونشاطه على افرازات الغدد

الصماء . أما « الحب » فمنشأه ـ ببساطة بعيدة عن الاسلوب العلمي ـ يرجع الى الناحية العاطفية من العقل ، وهو ظاهرة نفسية انبعثت في الاصل من رغبة المرأة في التماس حماية الرجل لكي تؤدى وظيفتها التى أعدتها لها الطبيعة ، وهى انجاب النسل وتربيتهم

وغنى عن القول ، ان الحب والجنس يمتزجان عادة عند معظم الافراد ، من رجال ونساء . فاذا لم تعترض طريق أى من الفريقين عوامل توحى بالخيبة أو الفشل ، تولدت حال من الرضى البدنى والعاطفى ، لا يتأتى مثلها من أية ناحية من نواحى الحياة والعلاقات الانسانية . ولايضاح هذا ، أقول انه **اذا قدر لذكر وأنثى ان يرتبطا جنسيا ، مع وجود حب متبادل بينهما ، فان كل المتاعب ، والهموم ، والمرض ، والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية ، بل والخوف من القنبلة الذرية ... كل هذه تغدو أمورا ثانوية لدى الاثنين !.. واذ ذاك تكون الحياة لديهما نعيما يستعذبان الاقامة فيه !**

ولقد حدثتنى سيدة ـ فى احدى المرات ـ عن الحب لدى الاناث ، فقالت : « ان الطبيعة خلقت فى المرأة حبا لايكفى رجلها وأولادها فحسب ، وانما هو من القوة والوفرة بحيث انها تبسطه الى أبيها ، وأمها ، واخوتها ، وأصدقائها ، وبعض الحيوانات التى تعتز بها ، بل وبعض الجمادات أيضا » !.. وعندى ان الرجل لايقل حبا عن المرأة ، وحبه من أعمق ألوان الحب وأكثرها تباينا وتنوعا . على أن الرجل لايقع فى الحب بسرعة وسهولة كالمرأة ، وانما هو أكثر تحفظا وترددا .. وهو اذا وقع أخيرا ـ وأقصد هنا الحب الصادق ، لا مجرد الافتتان ـ كان حبه من القوة والثبات بحيث يدوم الى نهاية العمر ، لاسيما اذا كانت المحبوبة هى أم أطفاله وربة داره ، فى الوقت ذاته !

الحب ـ لا الجنس ـ أساس الحياة الزوجية !

◆ **أما** « الحب » الذى يوحى الى النساء بأن الرجل متقلب ، لا يؤمن جانبه ، فليس من الحب الحقيقى فى شىء ، وانما هو ـ فى الواقع ـ مظهر للجنس !٠٠ يضاف الى هـذا ، ان عنف الرجل فى محاولة ارضاء شوقه الجنسى ، يرجع الى أن الدافع الجنسي لديه أقوى منه لدى المرأة !٠٠ على أن الملاحظ ان « الجنس » لا يأبه ـ لدى الرجل والمرأة على السواء ـ بالشخصية ، أو المستوى الاجتماعى والاقتصادى ، أو الذكاء ، أو غير ذلك من الصفات الاجتماعية ، وانما هو ينشد الاشباع ، دون اهتمام بالعواقب ٠ ومن ثم فان هذا الاشباع قد لايستلزم الحب على الاطلاق ٠ وهذه الظاهرة أبرز لدى الرجل منها لدى المرأة !

هذه الطبيعة المتهورة ، المستهترة ، توضح لنا السر فى ان « الجنس » يبدو شهيا ، مستعذبا ، أثناء الممارسة ، ثم ينقلب بعدها بغيضا ، غير مرغوب فيه !٠٠ أما فى حالة وجود الحب، فانه يظل مستعذبا بعد الممارسة ، كما كان قبلهـا ، وان لم يتخذ مكانة أساسية ـ فى العلاقة بين الذكر والانثى ـ تمكنه من أن يطغى على كل العواطف الاخرى !

هذا عن « الجنس » ٠ أما « الحب » فيستمر ويبقى بعد اجتماع الحبيبين ، كما كان من قبل ٠ أى ان اتحاد حياة الزوجين لايصل به الى درجة الاشباع والكفاية ، بل إنه قد يستمر فى ازدياد ٠٠ وهو يظل باقيا حتى بعد موت الحبيب !٠٠ ثم انه لايحفل باجتماع الحبيبين واتحاد حياتهما ، أو بافتراقهما وتباعدهما ٠ وهذا هو السر فى ان « الحب الاول » يظل باقيا ، حتى لو قدر لكل من الحبيبين ان يتزوج من غير حبيبه ٠٠ وقد لاتزيده الايام الا نموا والحاحا !

ومن ناحية أخرى ، نرى ان للحب عدة وجوه ونواح ٠ فمن

الممكن للشخص ان يحب أكثر من فرد واحـد ، وان تنوعت الاسباب • وهذا على النقيض من المثل القائل بأن القلب لايتسع لاكثر من حب واحد !•• بل ان هذا المثل دليل عـلى الخلط بين الحب والجنس • ذلك لان فى وسع المرء ان يحب أباه ، وان يحب أخاه ، وان يحب زوجته ، وان يحب ابنـه ، وان يحب صديقه ، وان يحب وطنه ••• كلها ألوان للحب ، وان تباينت !•• ولقـد كتب أحد العلماء يوما يقـول ان النساء ينقسمن الى نوعين : طراز الأم ، وطراز اللعوب •• وذكر ان الاتجـاه الاول لطراز « الأم » هو انجاب النسـل ، وتربية الاطفال ورعايتهم ، والعناية ببيتها ، وبنفسها • أما «اللعوب»، فيتجه اهتمامها الاول الى حب الرجل لذاته فقط ، فهو ليس وسيلة الى غاية ، وانما هو غاية مشتهاة ومرغوبة !•• وهـذا التقسيم يوحى بأن المرأة من طراز « الأم » لاتحفل بالجنس ، فى حين ان المرأة من الطراز « اللعوب » لاتحفل بالنسل ، ولا بالبيت • ولعـل هـذا يفسر ماذكرناه عن شغف الرجـال بالغانيات والمتبذلات • فلدى المرأة « الأم » ، نجد ان الحب هو العامل الغالب المسيطر ، أما لدى « اللعوب » فالجنس هـو ذلك العامل • وبمعنى آخر ، تتجـه المرأة الاولى الى الزواج والاسرة ، أما الثانية فلا تحفل بهما الا اذا رغبت فى أن تتخذ لنفسها ضمانا يؤمنها من غدر الايام !

وفى أى الحـالات ، نجـد ان الرجـال يفتتنون بالمرأة « اللعوب » ، ولكنهم لايتخذون من هـذا الطراز زوجات ، ما استطاعوا ••-وانما يتجهون فى الزواج الى طراز « الأم » •• الى المرأة التى ترغب فى البيت ، والاطفال

ولا مراء فى ان الزيجات لاتتحطم الا لان الزوجين لايتبينان ـ فى البداية ـ ان ميلهما المتبادل قام عـلى « الجنس » لا « الحب » •• ففى هذه الحالة لاتلبث الجاذبيـة الجنسية ان

تهن وتضمحل ، وكثيرا مايموت الميل الجنسي الذى يكنه أى من الزوجين نحو الآخر . وهنا ، لا يكون ثمة مفر من الغدر ، والخيانة الزوجية !

أما الحب .. الحب الصادق ، الحقيقى ، غير المشوب ، فأصلب من الحديد ، لاتستطيع ان تحطمه الايام أو الملمات !

سكك حديد جمهورية مصر

عربات مكيفة الهواء وصالونات بولمان وعربات أكل بالقطارات السريعة والاكسبريس

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من أول مايو سنة ١٩٥٦ قد أعدت عربات مكيفة الهواء وصالونات بولمان وعربات أكل بالقطارات السريعة والاكسبريس بالخطوط الحديدية الآتية :

القاهرة ـ الاسكندرية
القاهرة ـ بور سعيد
القاهرة ـ غزة
وخط الوجه القبلى

ولزيادة الايضاح المرجو الاطلاع على الاعلان المعروض بالمحطات

مجلس اخميم البلدى

ظهر يوم ١٦ يونية سنة ١٩٥٦ عن توريد ١٦٠ اردب شعير .وتطلب الشروط والمواصفات على عرضحال تمغة فئة ٥٠ مليما نظير دفع مبلغ ٢٥٠ مليما بخلاف ٣٥ مليما اجرة البريد . وكل عطاء يرد بدون تامين ابتدائى ٢ ٠/٠ من قيمته لايلتفت اليه

٤٩٢٤

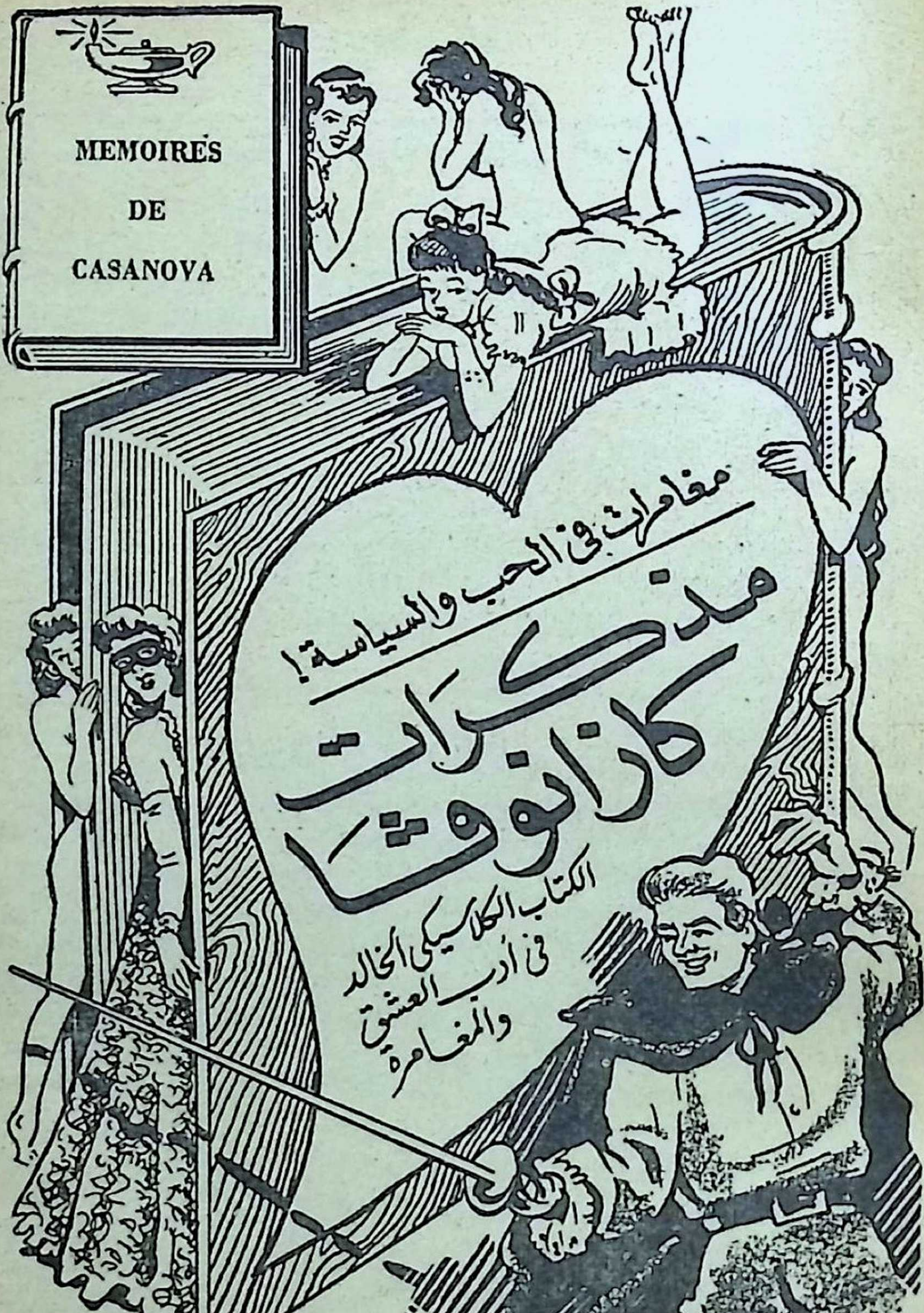
MEMOIRES
DE
CASANOVA
مغامرات فى الحب والسياسة !
مذكرات كازانوفا
الكتاب الكلاسيكى الخالد فى أدب العشق والمغامرة

حبيبة كازانوفا .. تدخل الدير !

◆ الحقت حبيبة « كازانوفا » بدير للراهبات ، بعد ان رفض ابوها ان يقبل الشاب زوجا لها ، فاشتدت بصاحبنا اللوعة ، وتكاثرت عليه الهموم ، واقبل على الخمر والميسر يدفن فيهما احزانه . وكان ابوه الروحى وزميلاه قد ذهبوا الى (بادوا) ، فما لبث ان لحق بهم ، حيث اشترك مع شاب من (ميلانو) يدعى « دون انتونيو كروشى » فى مغامرة ، ليحصل منها على مبلغ كبير من المال ، يستعين به على اختطاف حبيبته والفرار بها . على ان مغامرة « كروشى » تكشفت عن فضيحة ، وامرت السلطات ذلك الرجل بمبارحة المدينة ، فبارحها « كازانوفا » بدوره خشية ان يناله سوء . وكان قد اعطى شريكه سندا بالف دينار بندقى . ووصل « كازانوفا » اخيرا الى (البندقية) ، فاذا « لورا » مبعوثة حبيبته « ك . ك . » تقبل برسالة منها ..

والآن .. تعال نتابع هذه المغامرة المشوقة ، مع امير العشق والغرام :

قبلات حنون .. من احدى الراهبات !

◆ كان الخطاب طويلا ، يتالف من سبع صفحات ، ولن ارهق القارىء بايراد نصه ، ولكنى اكتفى بتلخيصه فيما يلى :

عاد والد الفتاة الى الدار بعد مقابلته للسيد « براجادان » ، فدعاها وامها ، وسال الفتاة عن ظروف تعرفها بى ، فقالت انها راتنى خمس او ست مرات مع اخيها ، واننى سالتها عما اذا كانت توافق على الزواج منى ، فقالت ان الجواب من شان ابويها . واذ ذاك قال لها ابوها انها لاتزال صغيرة فى السن ، فلا ينبغى ان تشغل بالها بامر الزواج ، فضلا عن اننى لم اكن قد حصلت بعد على مركز فى المجتمع . وبعد يومين ، قال الاب لابنته ان عمة لها ستصحبها الى دير تمكث فيه حتى يختار لها اهلها زوجا صالحا ، فاجابته بانها تطيع رغباته راضية ، مما اغتبط له الرجل ، فوعدها بان يزورها فى الدير ، وان يصطحب امها اذا ما كانت صحتها تسمح لها بمرافقته

وهكذا الحقت الفتاة بالدير ، حيث افردت لها حجرة نقل اليها فراشها وثيابها . وقد اغتبطت بهذه الغرفة ، كما ارتاحت الى الراهبة التى تولت رعايتها . ومع ان هذه الراهبة حرمت عليها كتابة الرسائل ، او تسلم خطابات من الخارج ، او استقبال زائرين - والا كان عقابها الحرمان من الكنيسة ، بل واللعنة الابدية ! - فقد كانت هى التى امدتها بالورق والمداد

والكتب ، فانتهزت حبيبتى فرصة الليل لتخرق القانون وتكتب لى كل هذه الصفحات !

وروت لى فى اسلوب مشوق ان أجمل راهبة فى الدير أحبتها ، فآثرتها بدروس فى اللغة الفرنسية مرتين فى كل يوم ، وحرمت عليها - فى ود - ان تتعرف بواحدة سواها من ساكنات الدير . وكانت تلك الراهبة فى الثانية والعشرين من عمرها ، جميلة ، كريمة ، من اسرة غنية ، تبدى لها كافة الراهبات الاخريات احتراما كبيرا .. « حتى اذا انفردنا معا ، اخذت تنهال على بقبلات حنون . واحسبك كنت تغار منها لولا انها أنثى ! » . وذكرت حبيبتى ان مشروع الفرار لن يكون عسيرا ، ولكنها نصحتنى بالتريث ريثما تدرس موقع الدير والطريق الذى تتبعه . وناشدتنى أن ابقى وفيا لها . وسألتنى أن ارسل لها صورة لى ، لتخفيها فى خاتم لايعرف سره سوانا !.. وانبأتنى ان فى وسعى ان ارسل هذا الخاتم عن طريق امها .. واضافت قائلة : « وعلى اية حال ، فاننى آمل ان اجد نفسى بعد اشهر قلائل فى وضع كفيل بان يثير فضيحة فى الدير ، اذا أصر أهلى على ابقائى هنا » !

كازانوفا والقديسة « كاترين » .. فى اطار واحد !

◆ وارسلت اليها - مع رسولتنا - ورقا ، واقلاما ، وشمعا احمر تختم به رسائلها ، فضلا عن رسالة ملتهبة بالاشواق . وعدت فى اليوم ذاته الى (بادوا) ، بعد ان اطمأننت الى أن قرار السلطات باقصاء « كروشى » لايمسنى فى شىء ، فتلقانى ابى الروحى وزميلاه باغتباط فياض . وفى الليلة ذاتها ، قدر لى ان أكسب خمسمائة دينار فى اللعب ، فلجات فى اليوم التالى الى رسام بارع ، رسم لى صورة دقيقة ، كما رسم صورة أخرى للقديسة « كاترين » ، ثم حملت الرسمين الى صائغ سالته ان يصنع خاتما يضع فى مكان الحجر الكريم منه صورة القديسة ، على ان يكون فى وسط الاطار المحيط بها زر دقيق جدا ، اذا ضغط انزاحت الصورة فتكشف عن صورتى !

ودهشت عندما التقيت فى يوم الجمعة التالى بشقيق حبيبتى فى المدينة ، فزرته وعشيقته فى الفندق الذى نزلا فيه . وهناك ، عرفت ان رجلا ذا مكانة ابتاع منه العقود التى كانت لديه ، مقابل خمسة عشر الف دينار فلورنسى ، يدفعها على ثلاث سنوات ، وانه لقاء هذا سعى للافراج عنه مقابل ضمانة شخصية منه ، كما منحه اربعة خطابات اعتماد بمبلغ ستة آلاف دينار ، ذكر لى الشاب انه سيبتاع بها كمية من الحرير يبيعها بربح لايقل عن عشرة فى المائة . وسالنى ان اصحبه وعشيقته الى (فيشنتسا) فى اليوم التالى لشراء الحرير ، وابرام الصفقة ، واعدا بان يرد لى جزءا مما كان قد اقترضه

منى • ولم ار مانعا من ان اجاريه ، فسافرت معهما فى اليوم التالى ، بعد ان توليت عنهما دفع حساب الفندق !•• وما أن استقر بنا المقام فى فندق فيشنتسا ، حتى انطلق « ب • ك » لينجز مهمته • وعندما وجدت الغانية نفسها معى على انفراد ، حتى قالت لى : « لقد احببتك منذ ثمانى عشرة سنة •• عندما رايتك فى (بادوا) للمرة الاولى ، وكان كل منا فى التاسعة من عمره ! » •• واستطعت بعد لأى أن أتذكرها • كانت ابنة الرجل الذى ارسلنى اليه السيد « جريمانى » حين بعث بى الى (بادوا) لاتعلم ، والذى أشرف على ايجاد مسكن لى هناك

وعاد « ب • ك • » يصحبه بعض التجار ، فسرعان ما امتلأت الحجرة بالبضائع ، وراح يناقشهم فى الاسعار ، ثم طلب كميات اخرى وعدوه بأن يرسلوها فى اليوم التالى ، رغم انه كان يوم الاحد • ودعاهم « ب • ك » الى الغداء ، واسرف فى طلب اشهى الوان الطعام والخمور • حتى اذا حل المساء ، اقبل نفر من علية القوم ، كان الشاب يحمل رسائل توصية لهم ، فدعاهم الى عشاء كان أفخم من الغداء • وغاظنى هذا التصرف منه ، اذ كنت اعلم انه لايحمل من المال سوى خطابات الاعتماد التى سيحولها للتجار ، لذلك تركت الجمع فى صخبهم ولجأت الى فراشى محنقا • وفى الصباح ، وجدت الغرفة قد اكتظت ببضائع تفوق أثمانها قيمة تلك الخطابات • وجاء التجار فتناولوا معنا غداء لا يقل فخامة عن غداء اليوم السابق • حتى اذا كان المساء ، اخبرنى « ب • ك » باننا مدعوون الى حفلة راقصة ، فصحبته وعشيقته ، ولكننى سرعان ما شعرت بالضيق والملل ، لاسيما وقد لاحظت ان القوم كانوا يتحاشوننى ولا يكادون يتكلمون معى ، وان السيدات كن يعرضن عن مراقصتى • ورابنى هذا الامر ، ولكننى كنت فى حالة نفسية جعلتنى ارتاح الى هذا الاعراض ، لابادر الى مغادرة الحفلة ، واللجوء الى فراشى

كازانوفا •• « زوج شرف » !

◆ واحتملت يوم الاثنين بصبر نافد ، اذ كان من المقرر ان نرحل فى صباح يوم الثلاثاء • فلما استيقظت فى ذلك الصباح ، اقبل خادم يدعونى الى الافطار • واذ تلكات قليلا ، جاء خادم آخر واخبرنى ان « زوجتى » ترجونى ان اعجل بالهبوط • ولم اتمالك نفسى ، فصفعت الخادم فى عنف ، وركلته بقوة طوحت به الى اسفل السلم ، ثم هبطت محنقا ، فولجت غرفة المائدة ، وسالت « ب • ك » عن الوغد الذى اعلن فى الفندق اننى زوج لعشيقته ، ولكنه ابدى جهلا بكل شىء !•• وفى تلك الاثناء ، اقبل صاحب الفندق مشهرا خنجرا ، ليقتص منى جزاء ضربى خادمه • وشهرت بدورى مسدسى ، وسالته

ـ آمرا ـ بأن يفسر لى السر فيما قيل من أننى زوج المرآة ، فأجاب قائلا :
« هكذا أثبت الكابتن ب٠ك٠فى سجل الفندق » !

وانقضضت على « ب ٠ ك ٠ » وقد ادركت سر ازورار القوم عنى ، بعد اذ رأونى أترك « زوجتى » تنام فى مخدع « زميلى » راضيا !٠٠ وامسكت برقبة الوغد ، والصقته الى الجدار ، واوشكت أن أقضى عليه لولا ان أنقذه صاحب الفندق من بطشى ٠ وأخذت الفاجرة تبكى ، بينما كان الجبان يردد : «هذا كذب ! » ٠٠ فأثار قوله صاحب الفندق فأسرع واحضر السجل ، ووضعه تحت عينى النذل وتحداه ان ينكر انه الذى أملى اسماءنا ٠ ثم أطبق الرجل دفتى السجل ، وصفعه به صفعة طوحته الى الجدار مبهوتا ، مذعورا !

وغادرت الحجرة ثائرا ، فأمرت صاحب الفندق بأن يعد لى عربة ، ثم صعدت الى غرفتى أحزم امتعتى وأنا أكاد أموت خجلا ، بعد ان تبينت الموقف الذى وضعنى فيه ذلك الزنيم أمام المجتمع ٠ وفيما أنا أهم بالانصراف ، اقبلت مدام « ك » ـ عشيقة النذل ـ فصرخت فيها : « اغربى عنى ، والا نسيت ماينبغى من احترام لجنسك » !٠٠ ولكنها ارتمت على قدمى وقلبها يتفطر أسى ، وراحت تقسم ان لا يد لها فى الامر ، وانها لم تكن حاضرة عندما أملى الوغد أسماءنا ٠ وأكدت زوجة صاحب الفندق قولها ٠ واقبلت العربة التى طلبتها ، فدعوت الفندقى لانقده نصيبى من النفقات ، ولكنه اعتذر عن قبول شىء منى ، قائلا اننى لم اطلب بنفسى شيئا !

ووفد اذ ذاك واحد من علية القوم الذين تعرفوا الى « ب ٠ ك » ، ويدعى « الكونت فياو » ، فناديته قائلا : « احسبك صدقت ياكونت ان هذه المرأة زوجتى ؟ » ٠٠ فأجاب فى ترفع : « هذه حقيقة تعرفها المدينة بأسرها ! » ٠ قلت : « يا للعنة ! ٠٠ وكيف تصدقون شيئا كهذا وأنا أقيم وحدى فى غرفة منفصلة ، وقد رأيتمونى أغادر مائدة العشاء ، والحفلة ، تاركا اياها معكم جميعا ؟ » ٠٠ فقال الكونت : « من الازواج من يستمرئون هذا التساهل ! » ٠٠ فصرخت فيه : « ما أظننى أبدو من هذا النوع ، وما كنت

احسب انكم على هذه الدرجة من الجهل باقدار الاشراف .. انتظر فى خارج الفندق ياسيدى ، وساريك الدليل ! »

.. ومغفل كبير !

◆ وكانت التعسة « ك » تكاد تنفطر لفرط البكاء ، حتى لقد اشفقت عليها .. فان الدموع من أقوى الاسلحة التى كنت أواجهها من النساء طوال حياتى !.. ورأيت اننى اذا غادرت الفندق دون ان ادفع شيئا ، فلن يلبث القوم أن يضحكوا ويسخروا من غضبى ، ويروا اننى كنت شريكا فى حيلة للنصب والغش . لذلك رجوت صاحب الفندق ان يحضر لى قائمة الحساب ، وقد عولت على ان أدفع نصف قيمتها . ولكن مدام « ك » عادت - فى تلك الاثناء - ترتمى على قدمى باكية ، ضارعة ، ذاكرة اننى سالقى بها الى التهلكة اذا تخليت عنها ، اذ لم تكن تملك مالا تدفعه ، أو شيئا ترهنه فى مقابل اقامتها فى الفندق . فصحت : « أو ليس لدى زميلك خطابات اعتماد ؟ » .. فقالت : « لقد فطن التجار الى زيفها فردوها ، واستردوا جميع بضائعهم .. أواه !.. من كان يظن أن الامر كله بهذا الشكل ! » .. فصحت : « يا للوغد ! .. كان يعرف ذلك ، ومن ثم الح على كى أصحبكما الى هنا !.. حسنا ، سادفع ثمن غبائى ! » .. ودفعت قيمة قائمة الحساب باكملها ، اذ رأيت هذا انسب لمقامى ومركزى ، وحصلت من صاحب الفندق على ايصال وقعه اثنان من الشهود . ثم منحت الخادم الذى ضربته جنيهين ، تعويضا له ، والقيت للتعسة ، مدام « ك » ، بمثلهما !

وهكذا انتهت المغامرة المزرية ، التى لقنتنى درسا لم أنسه بعد ذلك . وعلمت بعد بضعة اسابيع أن احد علية القوم فى المدينة اشفق على الشقيين فمنحهما مبلغا مكنهما من مغادرة المدينة . وبعد شهر من ذلك ، القى القبض مرة أخرى على « ب . ك » لعجزه عن سداد ديونه ، ولافلاس الرجل الذى كان قد توسط للافراج عنه فى المرة السابقة بضمانة شخصية منه . ولقد كتب لى عدة رسائل يتوسل الى فيها أن أذهب لزيارته فى السجن . ولكننى لم أحفل بهذه الرسائل . كذلك حاولت مدام « ك » مرارا أن تقابلنى ، فلم الن ، ولم أقبل السماح لها بمقابلتى !

كازانوفا يتعرف بالراهبة « الغامضة » !

◆ وعدت الى (بادوا) ، فلم ابق بها الا ريثما تسلمت الخاتم من الصائغ الذى كنت قد عهدت اليه بصنعه ، وتناولت الغداء مع السيد « براجادان » ،

الذى لم يلبث ان عاد الى (البندقية) بعد أيام قلائل ، حيث كنت قد سبقته !

وفى ساعة مبكرة من ذات صباح ، أقبلت مبعوثة حبيبتى من الدير ، تحمل خطابا من الفتاة ، مليئا بالاشـواق ، فاقبلت على قراءته ملهوفا ، ثم كتبت لها رسالة رويت فيها تلك الخدعة اللئيمة التى استدرجنى اليها اخوها الوغد ، ثم انبأتها بسر الخاتم الذى وعدتها بان اسلمه لامها . وما لبثت ان اخذت اتردد لبضعة أيام على الكنيسة التى كانت امها تذهب اليها لتحضر القداس كل صباح ، حتى رأيتها تفد عليها يوما ، فركعت الى جوارها ، وسألتها ان تتبعنى ، ثم قدتها الى احدى الردهات . وبعد بضع عبارات على سبيل المجاملة ، ذكرت لها اننى سأظل وفيا لابنتها الى آخر العمر ، ثم سألتها عما اذا كانت قد زارتها ، فقالت : « اننى اعتزم ان اذهب لاطمئن عليها فى يوم الاحد المقبل . ولسوف اذكرك لها بالطبع ، فاننى أدرك انها ستغتبط لسماع انبائك .. ولكنى ـ للاسف ـ لست فى حل من ان اذكر لك مكانها ! » .. كانت السيدة الطيبة تظن اننى لا أعلم بمقر حبيبتى !!.. فقلت لها : « لن احرجك يا امى ، ولست ارغب فى معرفة مقرها . ولكنى ارجوك ان تحملى اليها هذا الخاتم هدية وتذكارا . انه يحمل صورة قديستنا التى تستبشر ببركتها ، فارجوك ان توصيها بأن تحيط اصبعها بهذا الخاتم دائما ، وان تتأمل صورة القديسة وهى تؤدى صلاتها اليومية ، لاننى أعتقد ان ببركتها سيتاح لنا ان نغدو زوجين ، وان نحقق آمالنا . وقولى لها اننى أتوجه بالدعوات فى كل صباح الى القديس جيمس » !

وابتهجت الأم لتقواى ، ولهذا الوفاء منى لابنتها ، فوعدتنى بأن تحمل اليها هديتى واقوالى . وقد برت بوعدها ، اذ تسلمت فى يوم الاربعاء التالى خطابا من حبيبتى مفعما بأرق آيات الحب والحنان ، وباجمل مظاهر الشكر والعرفان . وقالت لى انها لا تكاد تخلو الى نفسها حتى تمس زر الخاتم ، فتنزاح صورة القديسة « كاترين » ، وتصافح عينيها طلعتى الحبيبة ، فتخال انها ملكت الدنيا بأسرها . واضافت : « اننى لا انفك أقبل صورتك ، حتى أمام الراهبات وتحت ابصارهن . فاذا اقتربن منى ، ضغطت الزر ، فترتد صورة قديستك الحبيبة لتخفى صورتك .. ومن ثم تجد كل الراهبات أشد

مايكن ابتهاجا لتقواى ، ولتعلقى بالقديسة « كاترين » ، التى يؤكدن ان وجهى جد شبيه بوجهها » !٠٠ واسترسلت قائلة ان الراهبة التى تعلمها اللغة الفرنسية عرضت عليها خمسين دينارا فى مقابل الخاتم ، لشدة الشبه بينها وبين القديسة ٠٠ ولكنها بالطبع لم تكن لتنزل عن الخاتم ، ولو وهبت لها الدنيا بأسرها فى مقابله !٠٠ كذلك قالت : « ولقد أطرت أمى تقواك كل الاطراء ، وهى أشد ماتكون ابتهاجا بوفائك ومشاعرك ٠ وبهذه المناسبة ، ارجو ان لا تذكر لى قط اسم ذلك الاخ الوضيع الذى رزئت به ! »

وظل حديث القديسة « كاترين » المباركة يملأ صفحات خطاباتها لبضعة اسابيع أخرى ٠٠ تلك القديسة التى كانت تجعلها ترتجف فرقا عدة مرات فى كل يوم ، اذ كانت الراهبات الكبيرات يقبلن على تامل صورتها - فى الخاتم - بدافع من الفضول ، ويرحن يتحسسن الصورة ونقوش الخاتم ، ومعبودتى فى خوف من ان تمس أصابعهن الزر الدقيق ، فيفتضح سرها !

(تلت هذه السطور صفحات مليئة بذكر الراهبات ، دون ما أحداث معينة ذات قيمة ، اللهم الا ان « كازانوفا » استطاع التعرف بالراهبة التى كانت تلقن حبيبته اللغة الفرنسية ، فاذا بها امرأة شديدة الذكاء ، وشديدة الغموض فى آن واحد ، حتى لقد أحس العاشق الداهية ان دهاءه وحيلته لايكادان يرقيان الى درجة دهائها وحيلتها !)

(وبهذا انتهى المجلد الاول ، الذى ضم ثلاثة أجزاء من مذكرات أمير العشق والسياسة ٠ وسنبدأ معا - فى العدد القادم - مرحلة جديدة من مراحل حياة هذه الشخصيه الفذة التى لا يكاد يكون لها مثيل فى التاريخ !)

كتاب البحث الطبى
فى الامراض البولية والتناسلية المستعصية وتضخم البروستاتا التى هى سبب العلل فى جسم الانسان ٠٠ وطريقة علاجها بجهاز فهجر الذى لا يستعمله الا مخترعه مؤلف هذا الكتاب الدكتور فهمى جرس ، ٧٨ شارع الجمهورية (ابراهيم باشا سابقا) ت ٥٦٢٠٤
ويطلب من المؤلف (٥٠ مليما)

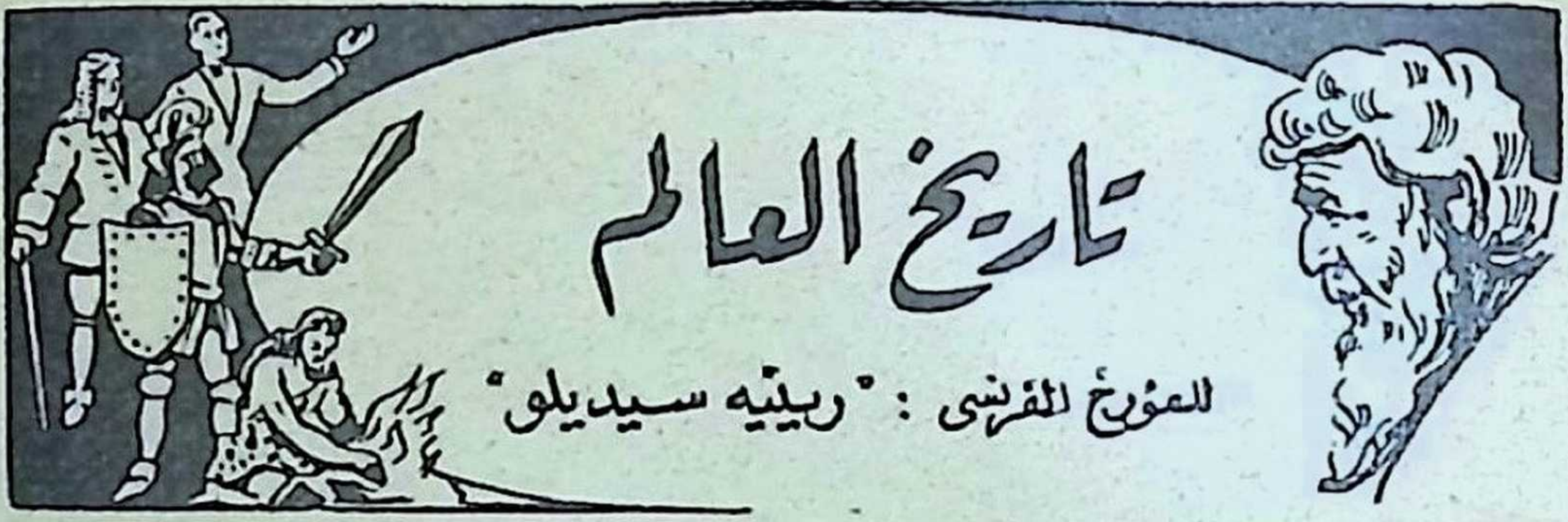

السلم والترف يقضيان على امبراطوريتين !

◆ انتهى بنا المؤرخ الفرنسى «رينيه سيديللو» ، فى الحلقة الاخيرة من « تاريخ العالم » الى مأساة الامبراطورية الرومانية ، مستخلصا لنا أهم ظاهرة تجلت فى الاعوام الالف الاولى من عمر الحضارة الرومانية .. اذ لقنت (روما) جميع الامم التى غزتها درسا فى نظام الدولة ، ونظام الحكومة ، والحضارة المنظمة تنظيما دقيقا رائعا . وهو فى الحلقة التى نقدمها اليوم ، يتناول ناحية طريفة من نواحى التاريخ القديم ، هى المقارنة بين أثر السلام فى الامبراطورية الرومانية ، وأثره فى امبراطورية الصين التى كانت تعاصرها ، وتقوم من نصف الكرة الشرقى مقامها من النصف الغربى :

سلام قائم على الحرب !

◆ لم يكن « السلام الرومانى » أكثر من ستار .. فهو لم يكن سلاما مسلحا فحسب ، وانما كان أيضا سلاما أقيم على حروب لاحصر لها .. حروب عدوانية للتوسع والاستعمار ، وحروب دفاعية للاحتفاظ بما اكتسب بالغزو . حروب فى الخارج تجلب المغانم والعبيد ، وحروب فى الداخل تقمع الفتن فى البلاد المغلوبة . فسادت (روما) : بريطانيا واسكتلندا ، وموريتانيا ، وتراشيا ، وداشيا ، وبلاد العرب ، ومدت حدود الامبراطورية الى ماوراء نهرى (الدانوب) و (الفرات) . وتلقى الامبراطور « نيرفا » سفيرا من الصين ، وبعث « تراجان » بسفير الى الهند ، وكانت (مصر) تغذى (روما) بثلث الغلال اللازمة لاستهلاكها ، وصارت (اليونان) ملتقى السياح الرومان ، وتوفرت (سوريا) على نسج الحرير للاسواق الرومانية .. واصطبغت الولايات بالصبغة اللاتينية — من

الناحية اللغوية - فانجبت كل منها ادباء وشعراء ساهموا فى الثروة الادبيه الرومانية ..

وكما كانت الصين مطمئنة وراء سورها العظيم ، احاطت الامبراطورية الرومانية نفسها بسياج من الخنادق المحصنة ، التى تتخللها القلاع . وهكذا كانت (روما) - فى سلامها - مطمئنة الى استحكاماتها !

ولكن السلام كان مفتقدا فى قلب الامبراطورية ذاتها .. كانت الحروب بين الطبقات تقوم من آن الى آخر . فقد كان الفقراء لايكفون عن التذمر ، وقامت اضرابات كثيرة فى آسيا . على ان كل الحركات التمردية كانت ذات طابع سياسى . وكان الطمع يستشرى على حدود الامبراطورية ، اذ اخذ الترف الداخلى يغرى القبائل الهمجية (البرابرة) ، كما اخذ الضعف المتزايد يشجعها ، ولم يكن فى وسع (روما) ان تصد كل غاراتهم ، فما لبث (القوط) ان اغاروا - فى سنة ١٧٢ قبل الميلاد - على اليونان ، واعقبوا ذلك بالاستيلاء على آسيا الصغرى ، وكان الفرس قد سبقوهم بالزحف على انطاكية - فى سنة ٢٤٨ قبل الميلاد - يراودهم الامل فى اعادة بناء امبراطوريتهم . كما امتازت السنة الالف من عمر (روما) بزحف الالمان على (ثراشيا) ، وباحتلال شمال ايطاليا، وكان ذلك فى سنة ٢٦١ قبل الميلاد . بل لقد اضطرت (روما) فى بعض المناسبات الى مهادنة البرابرة ، ومحالفتهم ، ودفع جزية لهم ، فكان هذا كله علاجا أسوأ وامر من الداء ذاته !

تصدع بنيان الامبراطورية !

◆ وهكذا راح بنيان الامبراطورية يتصدع . وزاد من تداعيه انقسام الدولة الى فريقين : فريق اتخذ اللغة اليونانية لسانا له ، وفريق اتخذ اللاتينيه لغته. وظهرت فى الوجود « امبراطورية رومانية شرقية » و « امبراطورية رومانية غربية » ، وما لبثت الثانية ان تهالكت أمام غزو القبائل الهمجية ، بينما عاشت الاولى بضعة قرون اخرى . وكان مصرع الامبراطورية الغربية أليما ، امتزج فيه الوباء ، بالتضخم المالى . ومن الطريف ان آخر اباطرتها كان يدعى « رومولوس » .. تماما كما كان يدعى اولهم ! .. وما كان سقوط (روما) الا لان الامة الحربية اغرقت فى الترف ، حتى لم تعد تجد من ابنائها جنودا ، الى حد ان « تراجان » اضطر - ابان حكمه - الى فرض عقوبات قاسية على من كانوا يحدثون بانفسهم جراحا ، للتهرب من الذهاب الى ميدان القتال . واضطرت (روما) الى الاستعانة بالجنود المرتزقين من ابناء القبائل ، حتى لم تعد جيوشها تتالف الا منهم . وساعد على نقص عدد الصالحين للقتال من الرومانيين ، ان

الترف هوى بنسبة المواليد ، وأصبحت الامبراطورية تعانى نقصا فى السكان ، وهجر الريف أهله . وانحدر مستوى الاخـلاق ، وانتشرت الرذيلة ، حتى ان أكثر الاباطرة رقيا ، وهما « تراجان » و « هادريان » ، كانا يمارسان الوانا من الشذوذ الجنسى لاسبيل الى وصفها !٠٠ وساد الكفر والزندقة ارجاءالدولة. ثم استنفدت (روما) ثروتها ، فبدأت تتردى فى الفقر ، وقضت على زعمائها والطبقة الوسطى التى كانت مصدر ثرائها ، وقتلت روح التجارة ، وكرهت العمل الشاق ، فلم تعد تنتج وان لم تكف عن الاستهلاك ٠ وكان من جراء انهيارها ، ان انتقل المحور الاقتصادى لاوربا من حوض البحرالابيض المتوسط الى حوضى الراين والدانوب ٠ ولم تعد (روما) قلب العالم النابض !

اشتراكية الدولة فى الصين ٠٠ منذ ألفى عام !

◆ وكان السلم فى الصين ، يعاصر السلم فى روما ٠ وكانت الصين قد شيدت قواها ونفوذها على الاصلاح ، وعلى جهاز حكومى وادارى متين ، كما فعلت روما ٠ وقام ابن فلاح مغمور ، يجيد فنون القتال ، بالسيطرة على الحكم ، فاسس – فى سنة ٢٠٢ قبل الميلاد – أسرة « هان » التى حكمت البلاد زهاء أربعة قرون ٠ وكان أعظم أباطرتها « وو – تى » ، الذى دعم – فى سنة ١٤٠ قبل الميلاد – سلطة الامبراطور ، وكبح جماح امراء الاقطاع ، ومد حدود الدولة الى (كوريا) شمالا ، والى (تونكين) جنوبا ، والى تركستان الروسية غربا ، فى سنة ٨٧ قبل الميلاد ٠ ولكن الحروب اوقعته فى ضائقة مالية ، فاقدم على سك نقود من القصدير والفضة ، من فئات تعادل ٣٠٠ و ٥٠٠ و ٣٠٠٠ قطعة من العملة البرونزية ، وابتكر عملة مربعة من الجلد ، قيمتها ٤٠٫٠٠٠ قطعة برونزية ، هى أساس العملات الورقية المعروفة ٠ كما فرض ضريبة على راس المال قدرها ٥ فى المائة ، ولكنه اضطر للتحول عنها حين اخذت الاموال تتسرب من البلاد ٠ وفرض احتكار الدولة على الملح ، والحديد ، والكحول ، واقام ادارة مركزية تتولى جميع المواصلات ، كما حاول السيطرة على الاسعار وتحديدها

وكان حكم اسرة « هان » سلسلة من الكفاح ضد الاستغلاليين ، وضد الطبقة المتعلمة التى ما لبثت ان تغلبت وفرضت « وانج مانج » امبراطورا – فى سنة ٩ ميلادية – لينفذ آراءها ، ففرض اشتراكية الدولة . اذ جعل الدولة هى المالكة الوحيدة للارض والعبيد ، واعاد توزيع الاراضى على الفلاحين ، فقضى على الملكيات الكبيرة ٠ وكان يحدد اسعار جميع السلع ، فى كل فصل من فصول السنة ، واجبر البنوك على ان لاتتجاوز فى الفائدة التى تتقاضاها على القروض ٣ فى المائة فى الشهر ، ووضع نظاما من شانه ان يقدم أصحاب المرتبات الثابتة اقرارات عن ايراداتهم بجملتها ، وذلك ليتقاضى عليها ضريبة ايرادات ؛

وضاعف عدد السلع التى كانت تحتكرها الدولة . ولكن تجربة سيطرة الحكومة على الاقتصاد القومى ، ادت فى سنة ٢٢ ميلادية الى افلاس الفلاحين ورجال الاعمال على السواء ، فاشتدت المجاعة ، وقامت فى سنة ٢٧ ثورة ردت أسرة « هان » الى الحكم !

الصين اخترعت الورق والبارود منذ ١٨٠٠ عام !

◆ واصلح الامبراطور الجديد « كوانج - وو » ما افسده سلفه ، ثم بسط حدود البلاد الى واحات (تاريم) فى أقصى صحراء (جوبى) ، وبذلك فتح لتجارة الحرير مع اوربا طريقا بريا خلال تلك الواحات ، وطريقا بحريا من (تونكين) الى البحر الاحمر . وعن الطريق البرى ، وصلت تعاليم « بوذا » الى الصين فى سنة ٦٠ ، قادمة من الهند ، فلم يقاومها الامبراطور ، ولكن اتباع « كونفوشيوس » أخذوا يرقبون انتشارها فى غيرة وحسد !

وازدادت عظمة الصين كما ازداد ثراؤها وازدهار فنونها . وتوصلت البلاد الى صناعة الورق فى سنة ١٨٠ ، كما توصلت الى صناعة البارود الذى استخدمته اوربا فى الحرب بعد اثنى عشر قرنا !.. كذلك ابتكر أهل الصين سروجا لصدور الخيل . ولم يكن الهندوكيون - فى تلك الفترة - أقل نشاطا وانتاجا من الصينيين ، فابتكروا العلامة الدالة على « الصفر » ، والتى فتحت آفاقا واسعة فى عالم الرياضيات ، وابتكروا بعد ذلك الارقام التى اخذها عنهم الغرب ، وفتحوا الابواب لمختلف ميادين العلم . وأسست الهند مع ايران امبراطورية قوية ، ولكن الفرس مالبثوا أن انشقوا ، فاضمحلت الاسرة الآرية التى كانت تحكم الهند ..

ذلك لان الاسرات كالامبراطوريات ، لادوام لها !.. وكما حدث فى روما والهند ، سقطت أسرة « هان » فى الصين فى سنة ٢٢٣ ميلادية ، فاقتسم البلاد ثلاثة أدعياء ، أنشأوا ثلاث ممالك ، ونشروا السلام ، واضعفوا الجيوش فاطمعوا القبائل الهمجية فى الصين .. كما كان الحال مع (روما) تماما !

(وفى الحلقة القادمة ، يروى لنا المؤرخ القصصى تدفق القبائل الهمجية على امبراطوريات العالم)

وزارة الشئون البلدية والقروية
المراقبة الاقليمية بقنا

تعلن عن قبول عطاءات بمكتب المراقبة الاقليمية بقنا عن عملية انشاء قسم داخلى لمدرسة المعلمات العامة بقنا لغاية ظهر يوم ١٩٥٦/٦/٢٦ وتقدم طلبات الحصول على هذه العطاءات للمراقبة بقنا على ورقة دمغة فئة الخمسين مليما نظير دفع مبلغ خمسة جنيهات مصرية ، بخلاف مائتى مليم أجرة البريد · وسوف لايلتفت الى أى عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢٪ من قيمته ·

٤٩١٠

مجلس بلدى أسيوط

تقبل العطاءات بمجلس اسيوط البلدى حتى ظهر يوم السبت الموافق ١٩٥٦/٦/٢٣ عن توريد موتوسكلين بسيدكار ، وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة دمغة فئة الخمسين مليما نظير دفع مبلغ ٢٥٠ مليما للنسخة خلاف أجرة البريد · وكل عطاء لا يرفق به تامين ابتدائى قدره ٢ ٠/٠ من قيمته لايلتفت اليه ·

٤٨٦٧

بلدية الاسماعيلية

تطرح فى المناقصة عملية تبليط أرصفة تبع البلدية ، وتطلب الشروط والمواصفات من البلدية على ورقة تمغة فئة خمسين مليما نظير خمسمائة مليم ، وتحدد لفتح مظاريف العطاءات ظهر يوم الخميس ٢٨ يونية سنة ١٩٥٦ ، وكل عطاء يرد بعد هذا الميعاد أو غير مرفق به تامين ابتدائى بواقع ٢٪ من قيمته لايلتفت اليه ·

٤٩١٤

مجلس بلدى دمياط ـ اعلان

تقبل عطاءات بمجلس بلدى دمياط لغاية ظهر يوم ١٩٥٦/٦/٢٨ عن توريد ٤٥٠ أردب شعير ، ١٨٠ حمل تبن حسب الشروط والمواصفات المعتمدة ، وتطلب الشروط على ورقة تمغة فئة ٥٠ مليما من المجلس · نظير مبلغ ٥٠٠ مليم ، بخلاف مصاريف البريد

٤٩٢٢

لمعى وشركاه

اكبر مصنع لجميع اصناف الملابس

للرجال والأولاد

ملكى وجهادى لجميع الهيئات
والمصالح الحكومية والشركات والعمال

الى الرياضيين ..

تجدون كل ما يلزمكم من الأدوات
والملابس الرياضية ..

بأسعار مخفضة

بمحلات

مصر الرياضية

ميدان مصطفى باشا كامل
"نيولندن هاوس"

ملابس بيرلس وكفى!

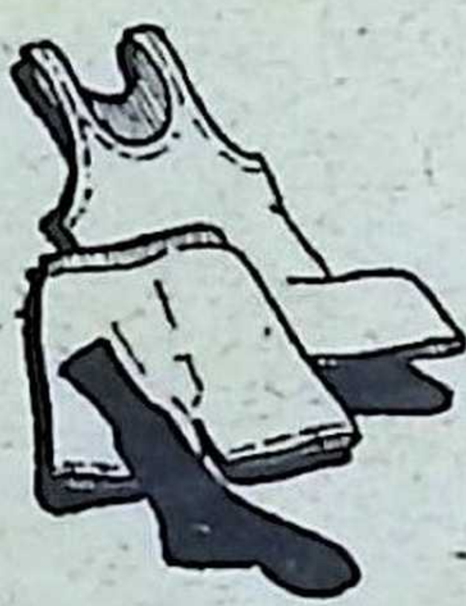

الحياة تصبح اسهل

مع هذه الجوارب والفانلات!

مويل

للموبيليات والزخرفة

٣٧ - شارع عبد الخالق ثروت

١٠ شارع عدلي باشا

٣١ شارع مصطفى علام

ت ٥٠٨١٩ - ٥٣٤٣٩

س.ت: ٥٥٢٥٠

« مطبوعات كتابى » ترتاد بك أفقا جديدا فى الأدب العالمى ، فتقدم لك فى منتصف يونيه التحفة التالية :

الظمأ .. للحب

قصة طويلة للكاتب الفنلندى " ميكا والتارى "

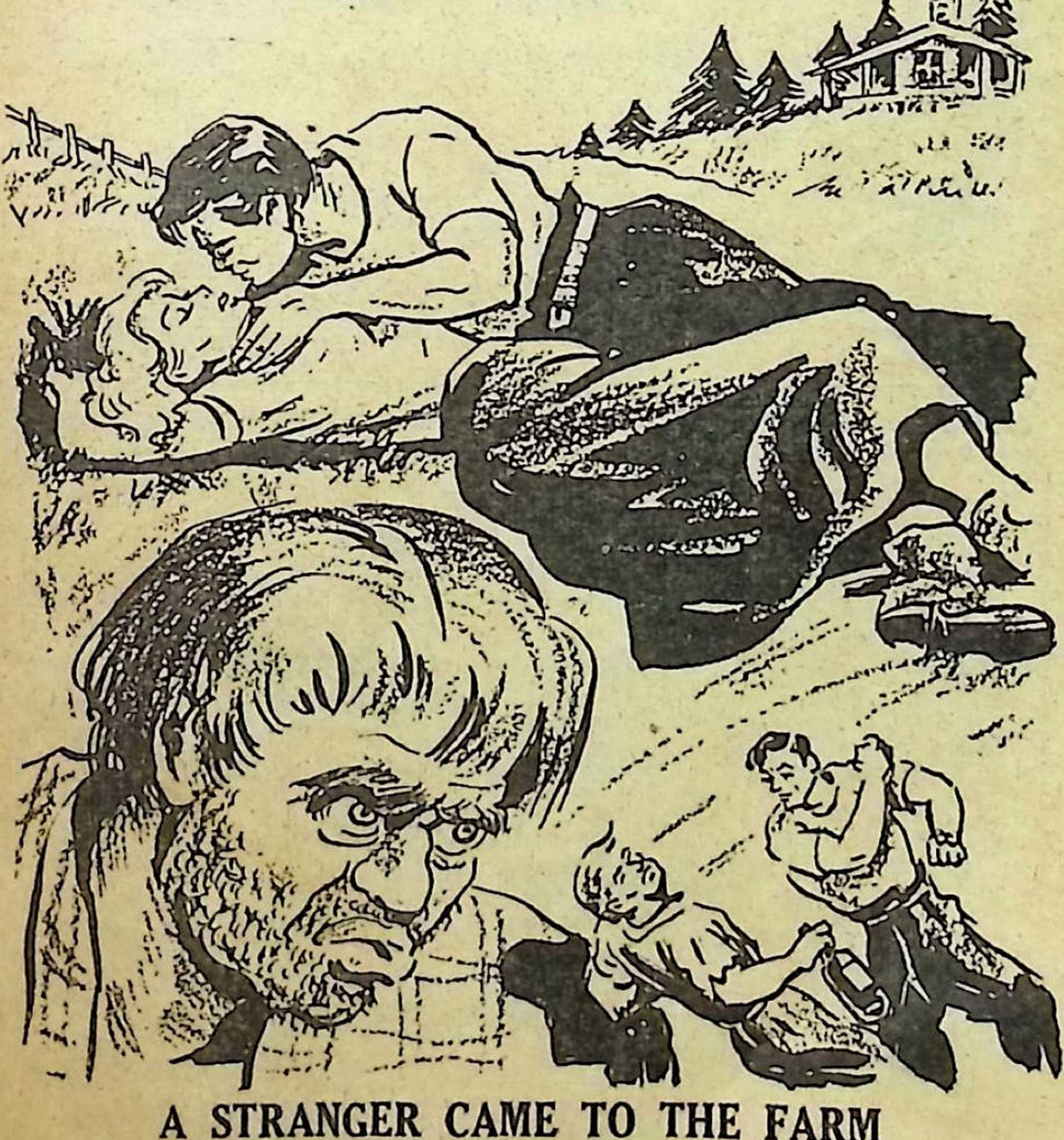

A STRANGER CAME TO THE FARM

By: MIKA WALTARI

« زيوس » (جوبيتر) رب الآلهة عنـــد الاغريق ، مـع
الحسناء « تيتيس » •• (لوحة رائعة للفنان « انجر »)

« الحسناء والقط ! » لوحة من روائع الفنان « شارل شابلن »

مطبوعات كتابي

يصدرها: حلمي مراد

ميكا والتارى

.. بعد أن قدمت لك نماذج من كل من الأدب الإنجليزى، والفرنسى، واليونانى والنمسوى، والأيطالى، والهندى ..

تفتح أمام قارئ العربية أفقاً جديداً، فتنقل لك النص الكامل لنموذج فريد من أدب جديد، هو:

الأدب الفنلندى!

فتقدم لك فى منتصف يونيه الحالى قصة كاملة لأديب فنلندا الأكبر الذى أخذ مكانه فى مصاف الأدباء العالميين:

ميكا والتارى

مؤلف قصة «سنوحى، المصرى»

وقد اختارت لـ«مطبوعات كتابى» أحدث قصصه وأروعها، كى تتحفك بها فى عددها القادم

ما اسم القصة؟.. وما موضوعها الشائق؟.. وجوها الفريد؟

إنها مفاجأة العدد القادم من «مطبوعات كتابى»